الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العـــالي والبحث العلمـــي

جـــامعـــة وهـــران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قســـم التاريـــخ وعـــلم الآثـــار

الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني

1519-1830م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
محمد مقصودة

إشراف الأستاذ الدكتور:
محـــمد دادة

أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة

أ.د/فغرور دحو	جـــامعة وهران	رئيســـا
أ.د/دادة محمد	جـــامعة وهران	مشرفـــا
أ.د/مجاود محمد	جـــامعة سيدي بلعباس	مناقشـــا
أ.د/مكحلي محمد	جـــامعة سيدي بلعباس	مناقشـــا

السنة الجامعية 1435 هـــ-2014م

" يأيها الناس إنا خلقناكم مـــن ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند
الله أتقيكـــم إن الله عليم خبير"

سورة الحجرات الآية 13

شكر وتقدير

الحمد لله على توفيقه وإحسانه، ثم الشكر الجزيل و كل التقدير والإمتنان لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع، وأخص بالذكر:

الأساتذة الذين درست على أيديهم بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران. والشكر موصول الى كل الزملاء الذين تشاركنا عناء البحث العلمي وتبادل المعلومة خـــاصة الأخ درقاوي منصور.

شكري وتقديري لكل الأسرة العلمية بجامعة بشار قسم التاريخ، خاصة الدكتور برشان محمد والأستاذة رفاف شهرازاد على مساعدتهم لي.

أما أسرتي الكبيرة والصغيرة فلهم مني بالغ العرفان والإمتنان على ماوفروه لي من ظروف مناسبة لإنجاز البحث، والصبر على التنقل في سبيل ذلك، للوالدين الكريمين،ولزوجتي التي أسأل الله أن يعينها ويوفقها في تحضير رسالة الدكتوراه، ولإخوتي وأخواتي راجيا لهم التوفيق والسداد.

الإهـــداء

يشرفني أن أهدي هذا العمل المتواضع إلـــــــــى:

- الوالدين الكريمين اللذين كان دعائهما خيرمعين لي.
- فقيد العلم والجزائر، المؤرخ الكبير أبو القاسم سعد الله الذي صنع لنفسه عمرا ثانيا لايفنى، بفضل ما تركه من مؤلفات تاريخية وأدبية نفيسة.
- وإلى كـــل من قدم علم أو عمل فيه خير وصالح الإنسانية.

قـائمة المختصرات

أولا: باللغة العربية

ج : الجزء

د .م.ج : ديوان المطبوعات الجامعية

ش.و .ن.ت :الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

ش.و.ن.إ : الشركة الوطنية للنشر و الإشهار

ط : الطبعة

ع : العدد

م.ت.د.م: المجلة التاريخية للدراسات المغربية

م.ك.ث : مؤسسة الكتب الثقافية

م.ت .م : المجلة التاريخية المغربية

م. و.ك : المؤسسة الوطنية للكتاب

م.ج.ط :المؤسسة الجزائرية للطباعة

م: التاريخ الميلادي

هـ : التاريخ الهجري

ثانيا: باللغة الفرنسية

A.N.E.P : Entreprise Nationale De Cominication d'edition et de Publicité
C.R.A.S.C : Centre National de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle
ED :Edition
Édit : Éditeur
Imp : Imprimerie
O.P.U : Office des publication universitaires
PUB : Publier
P.U.F : Presse Universitaire De France
R.A : Revue Africaine
R.H : Revue Historique
R.O.M.M :Revue d'Occident Musulman et Méditerranée
T :Tome
Trad : traduction
VOL :Volume

المقدمة

1- التعريف بالبحث وأهميتـــه:

شهدت الجزائر بعد انضمامها للسلطنة العثمانية مطلع القرن 16م تحولات جذرية وعميقة شملت مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها، وشكلت مادة تاريخية ثرية وملهمة، شغلت حيزا كبيرا من دراسات وكتابات المؤرخين المعاصرين منهم لتلك الفترة والمتأخرين.

وإذا كانت حقائق التاريخ تؤكد أن العثمانيين خلال وجودهم في الجزائر بين القرنيين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين، قد أثـــروا وبدرجات متفاوتة في مختلف مجالات الحياة، فإن ذات الحقائق تؤكد على التأثير الكبير الذي طال الحياة الاجتماعية والسياسية خاصة، والذي تجلى في عدة مظاهر كان من أبرزها نشوء علاقات مصاهرة بين الوافدين العثمانيين والسكان المحليين، والتي نتج عنها ظهور فئة اجتماعية جديدة ارتبطت بالوجود العثماني في الجزائر هي فئة الكرا غلة المولدون في الجزائر، هذه الأخيرة قامت بدور بارزا في تاريخ الجزائر العثمانية نلمسه في ثنايا مختلف الكتابات التاريخية. إلا أن أغلب الدراسات التي عنيت بمرحلة الوجود العثماني في الجزائر عادة ما تمر على موضوع الكرا غلة دون الوقوف عند الكثير من الحوادث واللحظات التاريخية المفصلية المرتبطة بهم، هذه الحوادث التي انسحب تأثيرها على الحياة العامة للمجتمع الجزائري ككل فضلا عن الكرا غلة، بحيث لا يشكل هذا الموضوع أكثر من عنصر أو فصل في إطار دراسة عامة، ونفس الاستنتاج يمكن الخروج به من خلال مراجعة مختلف المصادر المعاصرة لفترة البحث والقريبة منها والتي كثيرا ما تركز على الأحداث السياسية المرتبطة بالكراغلة أكثر من تركيزها على هذه الفئة بحد ذاتها.

هذه المعطيات وغيرها كانت دافعا للاطلاع على ما تيسر لي جمعه من مصادر ومراجع ذات الصلة بالتاريخ العثماني في الجزائر، ما جعلني أقف على العديد من المعلومات والحقائق، الأمر الذي حفزني لتوسيع البحث حول موضوع الكرا غلة في إيالة الجزائر ومختلف علاقاتهم.

إن أهمية موضوع الكراغلة وعلاقتهم بالسلطة العثمانية في الجزائر تتجلى في كونه يشكل مدخلا وسانحة لدراسة وفهم عدة جوانب ذات الصلة بالموضوع يأتي على رأسها :

- أوضاع إيالة الجزائر خاصة السياسية والعسكرية والاجتماعية منها، ومدى تأثرها بظهور مكون اجتماعي جديد ، ومختلف التفاعلات بين هذه الجوانب.

- دراسة خلفيات ودوافع عمليات المصاهرة التي عرفها مجتمع الجزائر العثمانية بين الوافدين الجدد والسكان المحليين، ونتائج هذه المصاهرة المتمثلة خاصة في فئة الكرا غلة التي أثرت في البنية الاجتماعية و تأثرت بدورها، فكان لها حضورها القوي الذي لا يمكن تجاهله في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وحتى بعد نهاية هذا الوجود .

- فهم طبيعة السلطة العثمانية في الجزائر من خلال ممارسات رجالها، وكيفية تعاملهم مع مختلف مكونات المجتمع الجزائري وعلاقاتهم به خاصة فئة الكرا غلة الذين هم من أصلابهم .

- محاولة مقاربة مختلف الكتابات والدراسات التي تناولت هذا الموضوع الشائك بطبعه من خلال استغلال المعلومات والحقائق ومقارنة النتائج والأحكام.

وفي مجال التاريخ الاجتماعي يكتسي هذا الموضوع أهميته أيضا كونه يتناول بالدراسة، التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وطبيعة العلاقات بين مختلف فئات المجتمع ثم علاقة هذه الفئات مع السلطة العثمانية، ومدى تفاعلها في إطار سنة المدافعة.

وإذا كانت هناك دراسات تاريخية تناولت بالبحث والتدقيق موضوعي الانكشارية ورياس البحروعلاقتهم بالمجتمع الجزائري، فإن علاقة الكراغلة بهاتين الطائفتين من جهة وبالمجتمع الجزائري من جهة أخرى، كانت من نوع خاص لخصوصية الكرا غلة الذين اجتمع فيهم الدم العثماني والجزائري، وهذه ميزة اختلف المؤرخون والدارسون حولها. فمنهم من يرى أنها كانت ذات قيمة وتحمل دلالات إيجابية كون فئة الكرا غلة تعكس مدى انصهار العثمانيين والجزائريين في إطار الوحدة الإسلامية التي من شأنها أن تزيد من تلاحم وانسجام الفريقين . ومنهم من يرى أن فئة الكرا غلة تعبير عن ذلك الانشطار الاجتماعي و الأنثروبولوجي بين الأتراك الحاكمين وأبناء الجزائر المحكومين، لأنهم نتاج ضعيف لزيجات نادرة وصورة اجتماعية بائسة من صور ذلك الامتزاج القليل للبعض وليس للكل، كما حدث في أقاليم وولايات عربية أخرى[1].

أخيرا فإن موضوع الكرا غلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني من شأنه أن يميط اللثام عن كثير من الحقائق المتعلقة بخصوصية نظام الحكم العثماني في الجزائر، وكيف استطاع الحيلولة دون تحول السلطة العثمانية إلى حكم وطني محلي باسم السكان لا باسم أقلية أصرت على الانعزال والانغلاق على نفسها حفاظا على مكتسباتها المادية[2] .

2-دواعي وأسباب اختيار الموضوع:

أصل هذا الموضوع كان مجرد بحث عادي كلفني به أستاذي المشرف ضمن سلسلة البحوث المقررة، وقد جلب انتباهي أثناء التحري والبحث في مصادر الموضوع و مظانه مدى أهميته، وأنه أكبر من مجرد بحث عادي ففكرت في استغلال المعلومات التاريخية المتناثرة بين مختلف الكتابات ذات الصلة بالموضوع، وجمعها في شكل دراسة اجتماعية وسياسية تؤرخ لفئة الكرا غلة في الجزائر.

---

[1]- سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1997 ، ص 215.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، م .و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص138.

وقد كان لترحيب الأستاذ المشرف بفكرة تحويل الموضوع لرسالة تعنى بالبحث فيه أكثر، ثم موافقته للإشراف عليه، أكبر محفز لي للشروع في هذه الدراسة رغم التخوف الذي اعتراني في ظل الصعاب التي تكتنف عملية أي بحث أكاديمي ينشد الموضوعية والحقيقة.

هذا فضلا عن الرغبة في المساهمة ولو بشكل بسيط ومتواضع في معالجة الإشكالية الشائكة المتعلقة بدور الكرا غلة في الجزائر وخصوصيتهم و حقيقة علاقتهم بالسلطة العثمانية.

ومما زاد في تحميسي للموضوع تباين تحليلات وتفسيرات المؤرخين والدارسين للمعطيات والحوادث التاريخية المتعلقة بالكرا غلة، خاصة فيما يتعلق بمدى اندماجهم في المجتمع الجزائري من جهة ومدى مرونة العثمانيين في التعامل مع هذه الفئة من خلال إدماجهم في صفوف الجيش الانكشاري أو احتوائهم وإشراكهم في الحياة السياسية والاجتماعية للعثمانيين من جهة أخرى.

وأخيرا فإن هذا البحث شكل بالنسبة لي سانحة وفرصة لخوض غمار الكتابة التاريخية و استيعاب مناهجها وقواعدها، فضلا عن تقديم مساهمة متواضعة في مجال الدراسات التي تغطي التاريخ الوطني خلال الفترة العثمانية.

3- أهـــداف البحث:

إن عملي في هذا البحث يهدف بالدرجة الأولى إلى محاولة جمع واستقصاء الحقائق التاريخية المتعلقة بفئة الكرا غلة في الجزائر، وذلك من خلال تتبع كل ما كتب حول هذا الموضوع في مضانه الأولية أساسا ثم مختلف الدراسات التاريخية التي تيسر لي جمعها وتحصيلها. وذلك بغية تكوين صورة متكاملة حول فئة الكرا غلة وفهم خلفيات وطبيعة الصراع الذي عرفته إيالة الجزائر بين العثمانيين وأبناءهم، ولم أبتغ من هذه الدراسة المتواضعة الوقوف على الأحداث التاريخية فقط ، بل كانت المعلومات التي جمعتها وسيلة لفهم الأحداث كما وقعت ودوافعها والنتائج التي أسفرت عنها.

هذا إلى جانب المساهمة المتواضعة في وضع لبنة وإثارة تساؤلات من شأنها أن تكون محل بحث في دراسات أخرى أعمق وأدق، فضلا عن اكتساب أدوات وخبرة البحث وفق المنهج العلمي ورؤية "المدرسة الجزائرية" في الكتابة التاريخية، لأجل الإسهام بمجهـــودات أكبر ونتائج أحسن وأفضل في المستقبل إن شاء الله في مجال كتابة تاريخ الجزائر والتأصيل له .

4-إشكـــالية البحث :

تعد إشكالية السلطة وعلاقتها بالمجتمع من أعقد وأوسع الإشكاليات التي يطرحها واقع البحث في التاريخ السياسي للدول والمجتمعات، خاصة إذا تعلق الأمر بمحاولة التركيب التاريخي لهذه العلاقة لرصد صيرورتها وتجلياتها، كونها تشكل مدخلا لفهم طبيعة مختلف العلائق والتفاعلات بين السلطة والمجتمع بمختلف أطيافه. وفي هذا السياق فإن سؤال العلاقة بين فئة الكراغلة والسلطة العثمانية في الجزائر يشكل نموذجا ممتازا ليس فقط لفهم طبيعة السلطة العثمانية بل ولطبيعة الوجود العثماني في الجزائر ككل. وعليه وانطلاقا من تصوري للموضوع طرحت إشكالية تهدف لمحاولة معالجة هذا السؤال الكبير من خلال تساؤلات فرعية وفروض تحاول دراسة الموضوع من جميع أبعاده :

- من هم الكرا غلة وماهي الظروف العامة المحيطة بظهورهم في إيالة الجزائر؟

- كيف كانت أوضاع الكرا غلة في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها؟ وما مدى اندماج الكرا غلة في المجتمع الجزائري؟ وكيف كانت علاقتهم بمختلف فئات ومكونات هذا المجتمع ؟

- وفي مجال العلاقة بين الكرا غلة والعثمانيين نتساءل كيف كان ينظر كلا الفريقين للأخر؟ وكيف تم إسقاط تلك النظرة في واقع الحياة من خلال التعامل والاندماج على مختلف الصعد والمستويات؟.

- وهل يمكن اعتبار مشاركة الكرا غلة في بعض حركات الحكام العثمانيين ضد طائفة الانكشارية كحركة خضر باشا سنة 1596م والداي علي خوجة سنة 1817م، أنها كانت عن قناعة وفي إطار رؤية كرغلية بعيدة المدى تهدف إلى الانفصال عن الدولة العثمانية ومن ثم تشكيل حكم وطني محلي؟ أم أنها كانت مجرد تعبير عن مطالب ضيقة بدون أي أفق تم استغلال الكرا غلة لأجلها؟.

- هل كان إشراك العثمانيين للكرا غلة في حركاتهم وصراعاتهم عن قناعة منهم بأهمية هذه الفئة ودورها في الحياة السياسية والعسكرية أم كان مجرد استغلال لأوضاع الكرا غلة وتطلعاتهم؟.

- ماهية السلطة العثمانية في الجزائر وكيف استطاعت أن تحافظ على وجودها وسط التناقضات الكبيرة التي ميزت هذا الوجود؟ وكيف أثرت على واقع ومستقبل المجتمع الجزائري؟

- وفي نفس السياق هل يمكن اعتبار حركات الكرا غلة وثوراتهم أنها كانت تهدف للانفراد بالسلطة وإقامة نظام بديل أم فقط للضغط على العثمانيين وتشكيل نوع من المعارضة المحلية لتحقيق أهداف وتحصيل امتيازات محدودة السقف دون أي استراتيجية بعيدة المدى؟.

- وأخيرا كيف أثرت الأوضاع المختلفة التي عاشها الكرا غلة على مصيرهم ومستقبلهم مع نهاية الوجود العثماني بالجزائر؟

5- منـــاهج البحث:

فيما يتعلق بالمنهج المتبع في الدراسة فقد اقتضت طبيعة البحث استعمال مناهج متنوعة بتنوع مضامين الفصول وما تتطلبه الأفكار المدروسة والأسئلة المطروحة وطبيعة الدراسة البحثية التاريخية.

ولأن الظواهر التاريخية في حقيقتها مجرد أشياء تحكمها قاعدة السببية مما يقتضي توخي الموضوعية في تحليل ظواهر الماضي من خلال تحكيم القوانين الاجتماعية وإعادة بناء الأحداث وفق تسلسل منطقي تسبق فيه الأسباب النتائج. وعليه فلدراسة الأوضاع العامة للإيالة والتركيب التاريخي لنظام الحكم العثماني في الجزائر، استخدمنا المنهج الوصفي لترتيب وعرض الأحداث التاريخية، وكذا الشأن فيما يتعلق بدراسة أوضاع الكراغلة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية خلال كل مرحلة من مراحل الوجود العثماني بالجزائر.

أما عند الانتقال لدراسة طبيعة السلطة العثمانية في الجزائر ومختلف العلاقات التي تقتضي طبيعة البحث دراستها وتدقيقها، فإننا حتما نلجأ للمنهج التحليلي الذي يقف وراء دواعي التأليف وتحليل القضايا وتفكيكها وإعادة تركيبها من خلال استقراء الأحداث التاريخية المؤسسة لها.

ولفهم طبيعة مختلف العلاقات والأحداث التاريخية ومقاربتها ومقارنتها بعضها ببعض وفق رؤية منطقية تربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات استعملنا المنهج المقارن الذي يسمح بمثل هذه العمليات المهمة في الدراسات الأكاديمية.

ولأن موضوع البحث يتناول فترة زمنية تكاد تغطي كل العهد العثماني في الجزائر والذي تجاوز ثلاثة قرون، فإن هذا المعطى تطلب منا تقسيم الدراسة إلى فترات زمنية حتى يسهل علينا رصد جميع الأحداث المرتبطة بالكراغلة بصورة دقيقة، فضلا عن إجراء مسح وتدقيق في كل المصادر والمراجع الأجنبية والمحلية التي أمكننا تحصيلها من أجل جمع أكبر قدر من المعلومات لتحليلها ومقارنتها واستخلاص النتائج منها وفق المنهج التاريخي في البحث. وفي هذا الإطار فقد اتبعنا التقسيم

التاريخي المتعارف عليه بين المؤرخين للفترة العثمانية، والذي يقسمها إلى مراحل حسب طبيعة النظام السياسي وإن كان لبعض المؤرخين تحفظ على هذا التقسيم[1].

6- الإطار الزمني للبحث :

إن عبارة "خلال" الواردة في عنوان البحث تحمل دلالة مؤداها أن التطور هو محور الدراسة، وهذا التطور ليس بالضرورة إيجابي دائما ، ذلك أن الكلمة تحمل المدلولين معا الإيجابي والسلبي ، وهو ما كان عليه حال الكراغلة طوال الفترة العثمانية فقد عرفوا انتصارات وانكسارات وإن كان شأن الدراسات التاريخية تقييم الاتجاه العام والمحصلة النهائية في مسار الظواهر الإنسانية والجماعات البشرية والأحداث التاريخية و اجتناب الأحكام المجتزئة. ولأن طبيعة الموضوع تقتضي التركيز على المحطات التاريخية التي تعكس تطور الأحداث وصيرورتها وخلفياتها، وبغرض تغطية الموضوع من بدياته فإننا اخترنا أن تكون سنة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية هي الحد الزمني الأدنى للبحث أي بداية من سنة 1519م، باعتبار أن هذا الحدث هو السبب الرئيس في كل ما بعده، كما أن تلك الفترة شهدة إرهاصات مهدة لكثير من الأحداث ذات الصلة بموضوع البحث.

أما الحد الزمني الأعلى للبحث فهو نهاية الوجود العثماني بالجزائر، والذي عرف بعض الأحداث المرتبطة بالكراغلة، وعكس مدى الانسداد الذي وصل إليه المجتمع الجزائري خاصة في علاقاته البينية والبنيوية بفعل سياسات الحكم العثماني. وعليه فإن الإطار الزمني للبحث يقع خلال الفترة من 1544م إلى 1830م .

7-هيكـــــل الـــــدراسة:

أثناء مرحلة جمع المادة العلمية بذلت قصارى جهدي لتحصيل المصادر خاصة الأولية منها، والتي تناولت موضوع الكراغلة من ناحية أو أخرى، وبعد مراجعة الموضوع في مظانه المختلفة لاحظنا أن هناك قاسم مشترك بين معظم الكتابات حول الكراغلة، وهو أنها تركز على أحداث بعينها كثورات الكراغلة وعلاقتهم بالانكشارية أي الجوانب العسكرية والسياسية أساسا، في حين أن هناك جوانب أخرى تعاني نقصا من حيث المادة البحثية كدقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للكراغلة، والعلاقة بين الكراغلة في مختلف البيالك في الإيالة، فضلا عن تداخل بعض المعلومات الأمر الذي شكل صعوبة في بداية العمل حالت دون الاستقرار على خطة بعينها إلا بعد عدة محاولات

[1]- يرى العلامة المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله أن كثيرا من المؤرخين درجوا على تسمية أهم مراحل الوجود العثماني في الجزائر بعهد الباشوات والآغوات والدايات، وهي تسمية لا معنى لها إذ أنه لم يحدث خلال العهود المذكورة ما غير من سمة الحكم نحو الجزائريين، وكلما كانت تعنيه بعض التغييرات في علاقة الولاة بالسلطان للمزيد راجع: أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 133.

من التسديد والتقريب وإعادة مراجعة المادة التاريخية لأستقر على خطة بدت هي الأفضل من حيث الإجابة عن الإشكالية المطروحة، ومعالجة وعرض جميع عناصر الموضوع .

على هذا الأساس ولتحقيق التوازن بين فصول الموضوع من حيث التغطية العلمية الخبرية والتحليلية، قسمت البحث إلى مدخل تمهيدي وأربعة فصول تحتوي مجموعة مباحث، فضلا عن مقدمة وخاتمة.

شكل المدخل تمهيدا للموضوع من خلال دراسة مختصرة للوضع العام الداخلي للإيالة الجزائرية وتطوره من جميع المناحي، خاصة ما يتعلق بالتركيب التاريخي لنظام الحكم العثماني في الجزائر خلال مختلف المراحل التي مر بها، والأوضاع التي عرفتها الجزائر في ظل هذا النظام سياسيا، عسكريا، اقتصاديا واجتماعيا.

في الفصل الأول تطرقت للوجود التاريخي لفئة الكراغلة وخلفيات ظهورهم كفئة اجتماعية جديدة في المجتمع الجزائري نتيجة عمليات المصاهرة، حيث درست طبيعة علاقات المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين، مستعرضا مختلف أراء المؤرخين حول هذه العملية، لأنتقل إلى شرح وبسط الكلام حول مفهوم "الكراغلة" لغويا وسياسيا واجتماعيا، حيث حاولت تتبع جميع الشروح المتعلقة بهذا المصطلح الواردة في الدراسات التاريخية التي تناولته وعنيت به .

بعدها تعرضت لأوضاع الكراغلة ودورهم في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والعلمية وغيرها ، وكيف أثروا في هذه المجالات وتأثروا.

أما الفصل الثاني فخصصته للوضع السياسي والعسكري للكراغلة ، وإنما أفردت فصلا مستقلا لهاذين الجانبين لأنهما الأكثر بروزا وتأثيرا وتأثرا وتناولا من طرف المؤرخين، ولأن الكراغلة عرفوا بتطلعاتهم للانخراط في الجيش العثماني وحرصهم على تقلد أعلى الرتب العسكرية والمناصب السياسية. وقد خصصت مباحث لتحليل طبيعة الجيش العثماني في الجزائر وتكوينه ومهامه ود ور طائفة الإنكشارية في هذا الجيش و انعكاسات ذلك على الكراغلة .

المبحث الثاني تناولت فيه وضع الكراغلة ومساهماتهم في الحياة العسكرية ، كما تعرضت لعلاقة الكراغلة العسكرية والسياسية بالعثمانيين ، خاصة منهم طائفة الانكشارية التي تمثل حجر الأساس في الجيش العثماني والمهيمنة على الحياة السياسية، ذلك أن العثمانيين أساسا هم عسكريون قبل أن يتحولوا إلى سياسيين. وقد حاول الكراغلة أن يقتفوا أثرهم في هذا المجال من خلال العمل في صفوف الجيش كممهد للانتقال للحياة السياسية، وفي هذا المجال حاولت من خلال أربعة مباحث استعراض الواقع السياسي والعسكري للكراغلة خلال العهد العثماني في الجزائر متتبعا التقسيم المعروف لمراحل حكم العثمانيين، ابتداء بعهد البيلربايات مع حسن باشا بن خير الدين وانتهاء بعهد

الدايات، متوقفا عند المحطات التاريخية المرتبطة بالكراغلة في إطار صراعهم لانتزاع امتيازات أباءهم العسكرية والسياسية خاصة.

ولتحليل خلفيات ودوافع كل من العثمانيين و الكراغلة في إطار المدافعة حول السلطة ومكاسبها خصصت الفصل الثالث لدراسة طبيعة السلطة العثمانية في الجزائر، وذلك من خلال بحث المفاهيم المتعلقة بالسلطة وفلسفتها وممارستها، لأنتقل في المبحث الثاني لمحاولة إسقاط تلك المفاهيم على ما كان عليه واقع السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر من خلال ممارساتها وسياساتها والأحداث المرتبطة بها في شأن الكراغلة من منظور علاقة السلطة بالمجتمع، لأخلص في الأخير إلى مجموعة نتائج حول طبيعة تلك السلطة ومجالها الفعلي.

في المبحث الثالث حاولت الاقتراب من جوهر وطبيعة الإشكال الذي طبع العلاقة بين العثمانيين وأبنائهم الكراغلة ، من خلال تحليل خلفيات ودوافع وأهداف هذه العلاقة وصولا إلى نتائجها وانعكاساتها.

أما في المبحث الرابع فتوقفت عند أهم مشاركات الكراغلة في دوائر السلطة العثمانية، أو بمعنى أخر المناصب التي استطاعوا انتزاعها من العثمانيين خاصة العسكرية منها والسياسية وفي أي ظروف تم ذلك ، بما يمكننا من استنتاج مدى نجاح أو إخفاق الكراغلة في مسارهم نحو السلطة ومدى استفادتهم من مختلف الظروف والعوامل المساعدة واستغلاهم لها.

في المبحث الأخير حاولت استعراض وتحليل أهم الأحداث المرتبطة بالكراغلة مع نهاية الوجود العثماني بالجزائر، ومدى تأثير التراكمات التي أسس لها العثمانيون من خلال نظام حكمهم السياسي والعسكري وانعكاس ذلك على الدولة والمجتمع الجزائريين خاصة على مستوى منظومة العلاقات الاجتماعية التي من شأنها أن تشكل درعا قويا لحفظ الأمن الداخلي وصد الأخطار الخارجية.

أما الفصل الرابع والأخير فقد أردت أن يكون دراسة نموذجية لسيرة أربعة من أهم لشخصيات الكرغلية التي تركت بصماتها في تاريخ الجزائر، ويتعلق الأمر بشخصية كل من حسن باشا بن خير الدين، الباي محمد الكبير، حمدان بن عثمان خوجة، والحاج أحمد باي.

اختياري لهذه النماذج جاء على أساس كونها شخصيات جزائرية كرغليه فاعلة ومؤثرة في المجتمع والحياة السياسية والاجتماعية، ثم لارتباطها بمجموعة من الأحداث المهمة في تاريخ الجزائر العثمانية، والتي تؤشر لطبيعة العلاقة بين الكراغلة والعثمانيين. فحسن باشا بن خير الدين شهد عصره تمرد الانكشارية كرد فعل على محاولة تطعيم الجيش بعناصر محلية، وفي هذا إشارة بالغة إلى أن إشراك السكان المحليين في شؤون الحكم كان خط أحمر عند العثمانيين لا يسمح بتجاوزه من طرف أيا كان.

أما الباي محمد الكبير فإن دراسة هذه الشخصية تجعلنا نقف على جوانب من سلوك الكراغلة في السلطة، وذلك من خلال إنجازاته ومآثره في مختلف المجالات والتي يأتي على رأسها فتح مدينة وهران واستعادة هذا الثغر الاستراتيجي، وهو كذلك نموذج شاهد على ما يمكن أن يقدمه الكراغلة للجزائر لولا معوقات الصراع على السلطة وتبعاته التي حالت دون ذلك .

بالنسبة حمدان خوجة فهو نموذج مثالي للشخصية التي استطاعت أن تجمع بين عدة مهارات، فهو مثقف وسياسي وديبلوماسي ومفاوض بارع دافع عن قضيته الوطنية في الداخل والخارج، وخلد لنا مأثر تعتبر من أهم التراث العثماني في الجزائر، هذا فضلا عن أن حمدان خوجة يعتبر أحد شهود الكراغلة حول السياسة العثمانية والعلاقة الجدلية بين الطرفين ، وهذا من خلال ماجاء في كتابه الشهير والموسوم ب " المرآة" .

أما الحاج أحمد باي فقد اخترت هذه الشخصية كونها تمثل أخر رموز السلطة العثمانية في الجزائر، وهو أحد الكراغلة القلائل الذين تولوا مسؤولية رفيعة خلال فترة حاسمة من تاريخ البلاد، وفي تقديري فإن علاقة الحاج أحمد باي بكل من العثمانيين والجزائريين خلال تلك الفترة وبعدها تعتبر بحق مؤشر وعاكس جيد لطبيعة علاقة الكراغلة بكل من السلطة والمجتمع الجزائري ، فقد قاد الحاج أحمد باي مقاومة ضد الفرنسيين، وتعامله مع الانكشارية يستحق الدراسة والتوقف لما يحمله من مؤشرات ودلالات حول طبيعة العلاقة بين طرفي الصراع أواخر الوجود العثماني بالجزائر، كما أن موقفه من مقاومة الأمير عبد القادر كان ولايزال محل جدل ونقاش وتحليل من طرف المؤرخين والدارسين .

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من أهداف هذه الدراسة النموذجية إيراد ترجمة لهذه الشخصيات بقدر ما ركزت فيها على الجوانب ذات الصلة بموضوع البحث في سيرهم، دون التعرض للجوانب الأخرى التي لا تلتقي ومتطلبات هذه الدراسة أو تفي بأغراضها.

هذا وبالرغم من سعينا لتغطية الموضوع من جميع جوانبه إلا أن هناك العديد من نقاط الظل التي تبقى في حاجة إلى مزيد بحث وإثراء، الأمر الذي دفعنا خلال الدراسة لطرح مجموعة من التساؤلات التي استوقفتني أو بدت لي أنها جديرة بمزيد بحث وتمحيص .

أما خاتمة هذا العمل المتواضع فحوت ما توصلت إليه من استنتاجات تاريخية وقفت عليها، أو شخصية اقتنعت بها بعد التحليل والتدقيق وإن كنت لا ادعي أني أتيت فيها بجديد رغم أني لم آل جهدا في عملي هذا، إلا أني في ذات الوقت أقر بعديد نقائصه وكثير شوائبه.

8- التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث :

اعتمدت في إنجاز موضوع " الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني "على مادة بحثية استقيتها من أنواع مختلفة من المصادر، وبالنسبة للمصادر التي لم أتمكن من تحصيلها مباشرة فقد استعنت في ذلك بالدراسات الأكاديمية التي اعتمدت المصادر الأولية والأساسية.

ولعل أول ملاحظة يمكن تسجيلها في هذا الصدد أن الأخبار المتعلقة بالكراغلة خاصة خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر شحيحة جدا في المصادر المحلية، أما بالنسبة للمصادر الأجنبية فهي في أغلبها تتناول موضوع الكراغلة في إطار الحديث عن علاقات المصاهرة وعادات الزواج، أو عند التطرق للأحداث السياسية في إيالة الجزائر، ولذلك لا يمكن القول اني اعتمدت على مصدر بعينه بدرجة كبيرة، بل كنت أتنقل بين المصادر لانتقاء المعلومات .

بالنسبة للمصادر العربية فقد راجعت العديد منها في إطار تحضير البحث، وأفدت منها كثيرا خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الكراغلة والسكان المحليين، وكيف كان ينظر هؤلاء للنزاع بين العثمانيين وأبنائهم حول السلطة.

من أهم هذه المصادر أذكر:

- كتاب "غزوات عروج وخير الدين" ،و"مذكرات خير الدين" الذين تضمنا معلومات هامة وروايات حية مرتبط بالأحداث المؤسسة لأيالة الجزائر، ووصف من شهود عيان لتلك الأحداث.

- تاريخ باشوات الجزائر أو " تقييدات ابن المفتي" والذي انفرد بالإشارة إلى بعض مساهمات الكراغلة العلمية والقضائية وبعض الشخصيات الكرغلية التي تولت منصب الإفتاء في إيالة الجزائر.

- كتاب "المـــرآة" لحمدان بـــن عثمان خوجة، تضمن معلومات عـــن الكراغلـــة و ثـــورتهم سنة 1630م، فضلا عن تحليل لطبيعة العلاقة التي عايشها المؤلف بين الكراغلة والعثمانيين ، وأسباب ذلك ونتائجه.

- أما مسلم بن عبد القادر فقد تضمن كتابه" أنيس الغريب والمسافر" معلومات مقتضبة عن وضعية الكراغلة في تلمسان وحالتهم، ورغم تقارب وتقاطع تلك المعلومات مع ما جاء في كتابي " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" لمحمد بن يوسف الزياني، و" طلوع سعد السعود" للأغا بن عودة المزاري، فإنها تعتبر معلومات هامة خاصة فيما يتعلق بتاريخ بايات الغرب، وهو نفس الغرض الذي أفدته من كتابي محمد الصالح بن العنتري الموسوم " فريدة منيسة أو تاريخ قسنطينة" و" مجاعات قسنطينة" الذين تضمنا معلومات جد أساسية تتعلق بتاريخ بايات قسنطينة خاصة الحاج أحمد باي و أوضاع بايلك الشرق الاجتماعية والاقتصادية.

- أفدت كذلك من "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"، و" مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة"، خاصة فيما يتعلق بسير الحكام العثمانيين والأحداث التي عرفتها أيالة الجزائر ذات الارتباط المباشر أو غير المباشر بالكراغلة مع نهاية الوجود العثماني بالجزائر. ونفس الشيء فيما يتعلق بكتابات كل من أحمد بن سحنون الراشدي في " الثغر الجماني " ، وأحمد بن هطال التلمساني في " رحلة الباي محمد الكبير، وهما الكتابين الذين تناولا تاريخ الباي محمد الكبير وفتح وهران، وكذلك أفدنا من كتاب " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصر.

أما المصادر الأجنبية التي رجعت إليها في إعداد الموضوع فيأتي على رأسها كتاب الراهب والأسير الإسباني فراي دياقو دي هايدو (Haedo.F.D) الموسوم " طبوغرافيا تاريخ الجزائر العام"، والذي استخرجت منه العديد من المعلومات المتعلقة بتاريخ حكام الجزائر العثمانيين ،ووصف مجتمع ومدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر، فضلا عن المعلومات المتعلقة بالإنكشارية والكراغلة خلال عصر البيلرباي حسن باشا بن خير الدين في جزئه المعنون ب" تاريخ ملوك الجزائر" الذي ترجمه قرامون (Henri Delmas de Grammont)

كما أفادنا الاطلاع على كتاب المؤرخ والمترجم الفرنسي فونتير دي بارادي (Venture de Paradis) الموسوم " تونس والجزائر في القرن 18م" وهو عبارة عن مجموعة تقارير تتضمن معلومات سياسية واجتماعية حول إيالتي الجزائر وتونس وطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيهما، كما احتوى الكتاب بعض التفاصيل التاريخية المتعلقة بالكراغلة خاصة من الناحية السياسية والعسكرية والإدارية .

أيضا فقد استعنت بكتاب " تاريخ مملكة الجزائر" لصاحبه لوجي دي تاسي(Laugier de Tassy)، الذي نشره سنة 1725 و تضمن معلومات مهمة حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لإيالة الجزائر. وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يدحض بعض الأحكام المسبقة عن إيالة الجزائر .

هذا وقد كان لكتاب الرحالة الإنجليزي طوماس شو(Tomas Shaw) الموسوم" رحلة في إيالة الجزائر" فائدة كبيرة خاصة فيما يتعلق بجغرافيا إيالة الجزائر ومجال ونفوذ السلطة العثمانية فيها ودلالات هذا النفوذ، فضلا عن المعلومات التي غطت جوانب من حياة السياسية والاجتماعية للعثمانيين ايالة الجزائر.

كما أفدت من دفتر التشريفات" Tachrifat" ووثيقة عهد الأمان الذين نشرهما محافظ الوثائق ألبير دوفولكس(Albert Devoulx)، وبالنسبة لدفتر التشريفات فقد تضمن معلومات مهمة ذات صلة بموضوع البحث خاصة مايتعلق بطبيعة الجيش والموظفين العثمانيين في الجزائر وكذا دور الحاميات

العسكرية في البيالك. أما وثيقة عهد الأمان فقد أفدنا منها كونها وثيقة شاهدة على طبيعة العلاقة بين العثمانيين والكراغلة وجاءت على خلفية أحداث سياسية كان للكراغلة فيها نصيب.

أيضا فقد أفادتني كتابات كل من الأب دان(Père Pierre Dan)" تاريخ بربارية وقراصنتها"، وروزي (Rozet) " رحلـــــة في إيالة الجزائر"، ومذكرات القنصل فالي ولو بدرجات متفاوتة في استيفاء بعض المعلومات ومقارنتها بغيرها في المصادر والكتابات الأخرى.

أما بالنسبة للمصادر الأجنبية المعربة فقد أفدت كثيرا من مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر(William Shaler)، التي تضمنت معلومات تتعلق بالوضع الاجتماعي والاقتصادي للكراغلة، بالإضافة إلى مذكرات سيمون بفايفر(Simon Friedrich Pfeiffer) التي أشار فيها إلى بعض ميزات الكراغلة وعلاقتهم بالسكان المحليين فضلا عن معلومات تتعلق بكراغلة واد الزيتون أو الزواتنة.

أفادنا كذلك من مذكرات كل من الأسير و الخز ندار تيدنا (THEDNAT)، القنصل وليام شالر، الأسير كاثكارت(James Leander Cathcart)، وفندلين شلوصر في كتابه " قسنطينة أيام أحمد باي". لما حوته من معلومات تصف جوانب من الحياة العامة في إيالة الجزائر وجوانب تتعلق بدور وحياة فئة الكراغلة .

أما كتاب أوجين فايست (Vayssettes Eugène)حول "تاريخ بايات قسنطينة" فقد أفادني فيما يتعلق بالتأريخ لمرحلة الحاج أحمد باي وغيره من بايات قسنطينة خاصة الكراغلة منهم.

وعن المراجع العربية فقد كانت المعلومات التي وردت في مؤلفات أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني أكبر معين لي في ضبط تصور ورؤية حول الكثير من القضايا، خاصة كتاب تاريخ الجزائر الثقافي (الجزءالأول)، الذي تضمن تحليلا عميقا لطبيعة الوجود العثماني في الجزائر، ومؤلفات الدكتور سعيدوني "ورقات جزائرية"، " النظام المالي للجزائر، " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر" بجزئيه و" الجزائر في التاريخ"، لما ورد فيها من معلومات وتحليلات تناولت تاريخ الكراغلة وعلاقاتهم ووضعهم خلال فترة الوجود العثماني انتهاء بموقفهم من مقاومة الأمير عبد القادر.

هذا فضلا عن المعلومات القيمة التي تضمنها كتاب " تاريخ الجزائر" (الجزء الثالث) للمؤرخ عبد الرحمان الجيلالي، وهي معلومات تتعلق بتاريخ الحكام العثمانيين في الجزائر تساعد على فهم بعض الأحداث المرتبطة بهم والتي كان سببها الصراع بين مختلف منظومات المجتمع حول السلطة ومغانمها ، ويلتقي مع هذا الكتاب في نفس السياق كتاب الشيخ مبارك الميلي الموسوم بـــ " تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في جزئه الثالث، بالإضافة إلى كتابات المؤرخ أحمد توفيق المدني" محمد عثمان باشا". وهؤلاء المؤرخون وإن كانوا يعتمدون في كتاباتهم على مؤرخي المدرسة الفرنسية

خاصة دوغرامون ،إلا أن أعمالهم على غاية من الأهمية لما حوته من معلومات وشروح قيمة وتحليلات تؤسس لرؤية تاريخية وطنية.

بالنسبة للمراجع الأجنبية التي استعملتها فيأتي على رأسها مقال المحافظ الجهوي للأرشيف بيار بوير" Pierre Boyer" والمعنون ب "المشكل الكرغلي في أيالة الجزائر"، المنشور في مجلة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، وكذا كتابه" الحياة اليومية في الجزائر عشية الإحتلال الفرنسي" ، وتكمن أهمية دراسة "بوير" حول الكراغلة في اعتماده على كتابات هايدو والأب دان وفونتير دو بارادي، والملاحظ أن بوير يصور المسألة الكرغلية في الجزائر على أنها مشكلة، بحيث نجده يتحدث عنهم بنوع من الشفقة لما عانوه من تنكر الآباء وعدم القدرة على بناء علاقات متينة مع الأهالي، فضلا عن عدم نجاح كراغلة الجزائر في لعب نفس الدور الذي لعبه الكراغلة في بلدان أخرى عرفت الوجود العثماني .

هذا بالإضافة إلى كتاب دي غرامون (H.D de Grammont) الموسوم " تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي1515-1830"، والكاتب وإن كان من أقطاب المدرسة الاستعمارية التي ترى بأن تاريخ الجزائر العثمانية يجب أن يدرس من خلال الروايات والملاحظات الأوربية لاعن طريق المصادر المحلية في الجزائر[1]، إلا أنه لا يمكن تجاهل الكتاب كونه اعتمد على مصادر أولية من شهادات وأرشيف مع التعامل معه بحذر.

كما اعتمدت كثيرا على دراستي كل من المؤرخين ناحوم ويسمان (Nahoum Weissman) حول الانكشارية وطال شوفال (Tal Shuval) حول " مدينة الجزائر في أواخر القرن 18م " وهي دراسة أكاديمية جد مهمة تضمنت إحصائيات ومقارنات واستنتاجات علمية انطلاقا من مصادر أولية، كما تضمنت معلومات دقيقة حول النشاط الإجتماعي والاقتصادي للإنكشارية والكراغلة من خلال عقود الأوقاف، الشيء الذي يجعل معلومات الكتاب أصلية وفي غاية الأهمية.

أما كتابات لويس رين(Rinn Louis) وتقارير الجاسوس بوتان (Boutin .C) حول مملكة الجزائر فهي غزيرة بالمعلومات المهمة خاصة ما تعلق بأوضاع مختلف الفئات الاجتماعية في ايالة الجزائر مع نهاية الوجود العثماني.

بالنسبة للمراجع المعربة أفدت من كتاب " الجزائر وأوروبا" للمؤرخ جون وولف(John Wolf) لما حواه من تحليلات ومعلومات حول التطور السياسي والاجتماعي لإيالة الجزائر. وأفدت أيضا من

---

[1]- للمزيد حول موضوع طبيعة الكتابات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية راجع:

ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000، ص ص 9-39.

حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر،2008، ص ص 101-120.

كتاب " الجزائر في عهد رياس البحر" لصاحبه سبنسر وليام (William Spencer) خاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية في إيالة الجزائر ودور الكراغلة في هذا الجانب الحيوي.

ولضبط تصور متكامل حول نشاط وطبيعة العلاقة بين كل من طائفة الإنكشارية ورياس البحر والكراغلة رجعت إلى بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، نذكر منها الدراسة القيمة للمرحوم مولاي بالحميسي حول البحرية والبحارة في الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة الدكتورة معاشي جميلة حول الانكشارية في بايلك قسنطينة، دراسة كل من مارسيل كولمب، جون ديني، ناحوم وايزمن وطال شوفال حول سجلات الانكشارية.

بالإضافة لما تقدم من مصادر ومراجع اعتمدت في إعداد هذا البحث على الكثير من المقالات خاصة التي تضمنتها المجلة الإفريقية التي تكتسي أهميتها من اعتمادها على المصادر والوثائق الأصلية. من هذه المقالات ما كتبه خاصة كل من لويس رين، دوفولكس، يربروجر(BERBRUGGER Adrien) وفيرو(FERAUD L. Charles). هذا بالإضافة إلى مجلات أخرى أفدت منها كالمجلة التاريخية المغربية والتي تضمنت بعض المقالات التي تعالج موضوع الانكشارية و الكراغلة في الجزائر.

أيضا فقد شكلت الرسائل الجامعية زادا مهما لي في رحلتي للبحث في الموضوع، ذلك أن الأعمال الجامعية ذات قيمة وأهمية علمية كبيرة لاعتماد أصحابها على المنهج العلمي ، وقد رجعت في هذا الصدد خاصة للرسائل التي اعتمدت الوثائق والأرشيف العثماني سواء في الجزائر أو خارجها، ويأتي على رأس هذه الأعمال رسالة الدكتور خليفة حماش حول " الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني" والتي تعتبر مرجع مهم في دراسة التاريخ الاجتماعي للجزائر العثمانية. بالإضافة إلى رسالة نفس المؤرخ الموسومة" العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي"، وقد أفدت منها خاصة فيما يتعلق بالمقارنات التي تضمنتها حول أوضاع الكراغلة والانكشارية في إيالة الجزائر وإسطنبول .

أيضا فقد كانت رسالة الدكتورة معاشي جميلة الموسومة "الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة نهاية العهد العثماني" مفيدة لي في كثيرا من خلال المعلومات والتحليلات ذات الصلة بموضوع البحث.

هذا بالإضافة إلى الرسائل الجامعية التي اهتمت بالتاريخ السياسي والاجتماعي للجزائر في العهد العثماني واعتمدت أساسا على الوثائق والأرشيفات، أذكر منها رسالة كل من الباحثة الوليش فتيحة الموسومة" الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر"، ورسالة الباحث سلطانة عابد الموسومة "التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر" وغيرها من الرسائل القيمة التي رغم أن موضوعها الأساسي لا يتعلق بالكراغلة، إلا أنها

شكلت بالنسبة لي نبراسا ونموذجا اتبعته في إنجاز عملي، كما أنها ومن خلال تناولها لجانب أو أخر من تاريخ الجزائر العثمانية، فقد مكنتنا من إجراء مقارنات والخروج باستنتاجات والاستفادة من المعلومات من مصادرها الأولية بطريقة غير مباشرة.

هذا ويبقى الموضوع دائما بحاجة إلى مزيد بحث وتدقيق يصوب أخطاؤه ويزيل غموضه ويثبت حقائقه من خلال وثائق أو مصادر جديدة فاتتي استعمالها أو صعب تحصيلها.

9- الصعوبـــات :

بالنسبة للصعوبات التي اعترضتني بين يدي البحث فشأني في ذلك شأن معظم الطلبة المبتدئين، وإذا كانت من خصوصية فيمكن ذكر ما يلي :

- إن الدراسات المتعلقة بالعهد العثماني معقدة من حيث المنهج وشحيحة من حيث المادة الخبرية، الأمر الذي يتطلب استعمال عدة مناهج في البحث، ووقت طويل لتحصيل المصادر الأولية .

- صعوبة تحصيل المادة التاريخية من مصادرها الأولية خاصة المتواجدة على مستوى المكتبة الوطنية ومراكز الأرشيف الوطني، فبالإضافة إلى البيروقراطية التي لا تريد أن تغادر هذه الدور وعدم التوفر الدائم لوسائل النسخ والتصوير، فإن استخلاص المادة التاريخية يتطلب زيارة هذه المراكز عدة مرات .

- ندرة الوثائق والدراسات ذات الصلة بموضوع البحث، وما وجد منها تضمن نتفا من المعلومات المتفرقة، من الصعب على الباحث حصرها والخروج منها بنتائج ذات مدلول تاريخي محدد. هذا فضلا عن عدم وجود مذكرات أو كتابات تعود للكراغلة الذين صنعوا تلك الأحداث اللهم إلا ما تعلق بكتابات حمدان خوجة ومذكرات الحاج أحمد باي وغيرها من القليل الذي لا يغطي عدة جوانب مهمة ومفصلية. وهذا المعطى دفعنا بدوره للعودة إلى مظان الموضوع المختلفة أي كل الكتابات التي تناولت التاريخ العثماني بشكل أو بأخر، والتي تتناثر وتتداخل فيها المعلومات المتعلقة بالكراغلة مع المعلومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما يتطلب وقتا وجهدا لاستخلاص ما يتعلق بموضوعنا.

- معظم المصادر والمراجع التي تناولت أوضاع الكراغلة في إيالة الجزائر هي كتابات أجنبية ذات لغة فرنسية قديمة، الأمر الذي يستغرق وقتا طويلا لأجل فهمها وترجمتها، و يتطلب حذرا أثناء التعاطي معها.

- إن معظم المصادر والمراجع التي تعرضت لموضوع الكراغلة سواء كانت محلية أو أجنبية ركزت على الجانب السياسي في نشاط هاته الفئة وعلاقاتها السياسية بالعثمانيين وبشكل خاص طائفة

الإنكشارية منهم، كما تناولت الأحداث المرتبطة بالكراغلة وواقعهم في مدينة الجزائر بشكل مستفيض متكرر على حساب بقية مناطق الجزائر، مما يضع الباحث أمام تساؤلات منهجية وفراغات قد تخل بالتوازن العلمي والمنهجي للبحث وتشكل صعوبة في كيفية تغطية الجوانب الأخرى ما يجعل المعلومات ذات الصلة بموضوع البحث شحيحة ومبعثرة. الأمر الذي يشكل بدوره صعوبة في التحكم في موضوع البحث ككل.

- إن الكتابات التي تعرضت لموضوع الكراغلة وتاريخ الجزائر العثمانية بشكل عام تضمنت في أغلبها وصف ومشاهدات متبوعة بتفسيرات شخصية لا تعكس بالضرورة الحقيقة أو الواقع، بالإضافة إلى تضارب بعض المعلومات والتفسيرات، وبالتالي يجب التعامل بحذر مع هاته الكتابات .

- نظرا لطول الفترة المدروسة (1519م – 1830م) وتعدد أحداثها التاريخية، فقد شكل هذا الأمر صعوبة كبيرة في جمع المادة العلمية المتناثرة، والتي يجب أن تغطي كل هيكلة البحث بشكل متوازن دون الإخلال بعنصر أوأخر.

- عدم توفر معظم أعداد الدوريات التاريخية المتخصصة، ما يتطلب التنقل والبحث عنها في مظانها وأماكن تواجدها المتفرقة والمتباعدة وصعوبة ذلك، كان ولايزال يشكل عقبة كؤود أمام الطلبة الباحثين.

وقد حالت هذه الصعوبات وغيرها دون إخراج البحث بشكل أحسن كنا نرومه، وإن كانت خبرت الترحال بين دور النشر والمكتبات، والبحث في بطون الكتب أكسبتنا معارف ومعلومات جديدة ذللت هذه الصعوبات وشجعتني لخوض غمار البحث في هذا الموضوع، مسترشدا في ذلك بتوجيهات ونصائح أستاذي المشرف الدكتور محمد دادة الذي لا يسعني إلا أن أتقدم له بجزيل الشكر والتقدير على رعايته لهذا العمل منذ أن كان مجرد فكرة إلى أن صار مذكرة.

والله الموفق

المدخل

الأوضاع العامة في الجزائر خلال العهد العثماني1519-1830م

- أولا: التطور التاريخي لنظام الحكم والإدارة في الجزائر خلال العهد العثماني
  1. التطور السياسي لنظام الحكم العثماني في الجزائر
  2. المنظومة الإدارية العثمانية في الجزائر
- ثانيا: الأوضاع العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني
- ثالثا: السياسة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني
- رابعا: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني

إن دراسة موضوع الكراغلة وعلاقتهم بالسلطة العثمانية في إيالة الجزائر يستدعي بالضرورة تسليط الضوء على الظروف العامة التي عرفتها الجزائر أو "المغرب الأوسط"، والتي أدت إلى انضمامها للسلطنة العثمانية ونتائج وانعكاسات هذا الانضمام على مختلف الصعد خاصة السياسية والعسكرية والاجتماعية، وذلك حتى نستطيع فهم الظروف المحيطة بظهور فئة الكراغلة في الجزائر من جهة، ومن جهة أخرى ضبط تصور متكامل للأوضاع التي أفرزتها تلك الظروف والتي أثرت على مختلف فئات ومكونات مجتمع الجزائر العثمانية بما فيه الكراغلة. وعليه ولدراسة هذه الأفكار نستعرض فيما يلي مختلف التطورات التاريخية التي عرفتها إيالة الجزائر بداية من التغيرات الحاصلة في منظومة الحكم خاصة في جانبها السياسي والعسكري وانتهاء بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

أولا– التطور التاريخي لنظام الحكم والإدارة في الجزائر خلال العهد العثماني:

1– التطــور السياسي لنظام الحكم العثماني في الجزائر:

عرف غرب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي صراعا بين القوى المسيحية ممثلة خاصة في إسبانيا الكاثوليكية، وبين القوى الإسلامية ممثلو في السلطنة العثمانية التي كانت تشكل إمبراطورية ما فتئ نفوذها يتزايد، والحقيقة أن هذا الصراع كان في جوهره استمرار للنزاع التاريخي المستعر بين المسلمين والمسيحيين الذين إلى وقت قريب كانت تمثلهم بيزنطية[1]، فمنذ منتصف القرن الخامس عشر بدأ العثمانيون فتوحاتهم في أوروبا الشرقية، فسيطروا على القسطنطينية سنة 1453م، ولم تتلق بيزنطة من الكنيسة الكاثوليكية في روما أي دعم، فقد اشترط البابا "نيكولاس الخامس" لقاء تأييده لها اتحاد الكنيستين[2]، وحسب النظرية العربية في الجغرافيا الإنسانية "إنه صراع تاريخي عقائدي مزمن بين دارين ، دار الإسلام ودار الحرب، أي بين العالم الإسلامي وأوروبا، وما بينهما تشكلها الثغور (أي التخوم العازلة) بين عالمي الصراع أنداك[3].

وقد كان لسقوط غرناطة في الأندلس سنة 1492 م، واضطرار المسلمين لمغادرتها قسرا ، ثم تزايد الأطماع الإسبانية في احتلال الأراضي المغاربية من خلال غاراتها المتكررة بدعوى ملاحقة

---

[1]- سقطت القسطنطينية عاصمة البيزنطيين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح(1451م-1481م) في 1453م ، وقد كان لسقوطها دوي كبير، سواء في الشرق أو الغرب، كما يعد أحد أكبر وقائع التاريخ العالمي ، وحدا فاصلا بين تاريخ العصور الوسطى وتاريخ العصور الحديثة، للمزيد أنظر:
محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط2، دار النفائس، بيروت لبنان،2008، ص ص 101-112.

[2]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط9، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص430.

[3]- سيار الجميل، مرجع سبق ذكره، ص 45

المورسكيين الذين شكلت هجرتهم سببا لتعليل التدخل الإسباني[1]، حيث تمكنوا من احتلال عدة مدن جزائرية ساحلية منها المرسى الكبير سنة 1505م، وهران في 1509م وكلا من بجاية وصخرة البنيون الواقعة في ميناء بوابة مدينة الجزائر عام 1510م[2].

كانت هذه الأسباب والتحرشات أكبر دافعا للجزائريين للبحث عن تحالفات لصد العدوان الخارجي خاصة في ظل الضعف العسكري الذي عرفته بلاد شمال إفريقيا خلال تلك الفترة[3]. فيما يجمع المؤرخون على أن هذه التحركات التوسعية لإسبانيا جاءت أساسا على خلفية السعي لتشكيل إمبراطورية تهيمن على العالم الجديد خاصة بعد اكتشاف قارة أمريكا، ولأجل تحقيق هذا المسعى وجهت إسبانيا أنظارها إلى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط لكي تستكمل دائرة توسعها[4]. وفي هذا السياق فقد أرجع المؤرخ العلامة أبو راس الناصر[5] سبب قيام إيالة[6] عثمانية في الجزائر" إلى تغلب النصارى على السواحل"، الأمر الذي جعله يساند قيام هذه السلطة الجديدة لأنها حمت بلاد المسلمين، ودافعت عنها باسم الجهاد في وقت كانت السلطة الشرعية أي الزيانيون والحفصيون، تتخاذل عن الجهاد ضد الإسبان الذين احتلوا المدن الساحلية الواحدة تلو الأخرى[7]. وقد لفت انتباه سكان مدينة

---

[1]– وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر،1980 ، ص 27.

[2]– ARAMBURU, Don Joseph De, Oran et l'ouest Algérien au 18es.Presentation et Trad. de ELKORSO Mohamed et MIGUEL DE Epalaza، Bibliothèque Nationale,Alger1978.p 35

[3] -BRAUDEL, Fernand, Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492à 1577,in RA N°69,1928,pp212-216.

[4] – حكمت ياسين، الغزو الإسباني للجزائر في القرن 16م، مجلة الأصالة، الجزائر1973، العدد14–15،ص 242.

[5]– هو العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الناصر، الراشدي قبيلة و المعسكري دارا، اختلف في سنة مولده، فرجح بعض الباحثين انه ولد سنة 1150هـ(1737م) وقال آخرون أنه ولد سنة 1165هـ(1751م)، فيما ذهب المحقق محمد بن عبد الكريم إلى أن مولده كان سنة 1150هـ أي سنة1737م، أما عن وفاته فذكر مسلم بن عبد القادر في الأنيس أنه توفي بمرض الطاعون يوم 15شعبان سنة 1238هـ(1822م). نشأ أبوراس نشأة فقيرة جدا، تلقى العلم على يد شيوخ كثر في المشرق والمغرب بسبب الرحلات العلمية العديدة التي قام بها، كما كان له تلاميذ ورثوا علمه. ألف العلامة أبوراس الناصر في شتى أصناف العلوم. للاطلاع على عدد المؤلفات التي تركها هناك مصدران اثنان من تأليف أبي راس هما: "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، و" شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف".
للمزيد حول سيرة العلامة أبي راس الناصر راجع: محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق طرف محمد غالم، ج1 منشوراتCRASC، وهران، 2005، ص ص 9– 29.
محمد بن أحمد أبي راس الناصر، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، ط1، تقديم وتحقيق سليمة بنعمر، دار صنين للطباعة والنشر، بيروت، 2002.ص ص 31–60.

[6]– الإيالة: اصطلاح إداري يقصد به الولاية أو النيابة(Régence)، والتي تعني تلك الوحدات الإدارية التي يرأسها والي أو حاكم، وقد تطور هذا المنصب في الجزائر خلال العهد العثماني بداية من بيلرباي أي أمير الأمراء أو باي البايات إلى باشا، ثم أغا(القائد الأعلى للقوات المسلحة)، ثم الداي. وتقسم الأيالة إلى بايلكات أو بايلكات (كان يطلق عليها في المشرق سناجق أو صناجق وجمعها سنجق) يحكمها باي. كما يقصد "بإيالة أو نيابة الجزائر" تلك الشخصية المعنوية التي تعبر عن الكيان السياسي للجزائر في الداخل والخارج. وقد كان يطلق على بلاد الجزائرفي المعاهدات والمراسلات الدبلوماسية تسمية مدينة و مملكة الجزائر، أو مملكة الجزائر أو جمهورية الجزائر. ولم تستعمل كلمة "الإيالة" إلا عند بداية المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث كان يرد هذا المصطلح في المراسلات بين حين وأخر، ولم يصبح سائدا في الاستعمال إلا بعد عام 1790، أما في المعاهدات فقد بقي استعمال التسميات الأنفة الذكر.
للمزيد أنظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1830 م، م.و.ك، الجزائر،1987، ص91.
توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان، الدار العثمانية، الجزائر،2009، ص 147.

[7]– محمد بن أبي أحمد أبوراس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مصدر سبق ذكره، ص ص 48–49.

الجزائر، تلك الجهود الصادقة وذلك الإصرار المستميت الذي بذله الأخوين عروج وخير الين لمساعدة السكان على تحرير مدينتي بجاية وجيجل، ودفعهم بدورهم إلى طلب مساعدتهما لفك قيود الذل الذي وضعهم فيه الإسبان، "سمعنا بكم أناسا تحبون الجهاد وأخذتم بجاية وجيجل[1] من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون. لابد أن تقدموا علينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة"[2]. ولم يتردد عروج في تلبية نداء سكان مدينة الجزائر الذين راو فيه خير رجل لمواجهة الأعداء وقيادة حركة الجهاد انطلاقا من هذه القلعة.

كان لهذه الأحداث الأثر الكبير في نفوس المسلمين، وكانت مع غيرها من الأسباب خاصة الوازع الديني أهم دوافع المغرب الأوسط للانضمام للسلطنة العثمانية تحت اسم إيالة الجزائر[3].

أما عن الأسباب الداخلية التي دفعت سكان المغرب الأوسط للالتحاق بالسلطنة العثمانية، فيمكن أن نذكر منها خاصة :

– التفكك الداخلي: ويتمثل في مختلف المظاهر التي كانت سائدة في المغرب الأوسط خاصة الانقسام السياسي الذي ظهر بشكل واضح، فقد أصبحت القبائل والأمراء وزعماء الطرق الدينية يتمتعون بالاستقلالية، كما كانت بعض المدن والقرى تشكل وحدات دول مستقلة.

– الضعف العسكري: إن نجاح الإسبان في النيل من سكان شمال إفريقيا ناتج عن الوضع الذي كان يسود بلادهم، وخاصة في تدني مستواهم العسكري بالمقارنة مع الإسبان. ويبدو أن المغاربة لم يواكبوا تطور فنون الحرب والسلاح على شاكلة ما كان في أوروبا آنذاك، كما أنهم لم يعرفوا التقنيات المستجدة في هندسة وبناء القلاع وحصارها، بحيث استمر هذا الوضع طوال القرن السادس عشر.

– سوء الحالة الاجتماعية: كان المجتمع الجزائري في أغلبه يعيش حياة ريفية، يعاني حالة البؤس وانعدام التماسك الشعبي، فضلا عن كثرة العصيان والتمردات في وجه الحكومات المتهاوية، وشيوع الخرافات بين أوساط السكان مما تسبب في ضعف المقاومة في بعض الأحيان[4].

إن العثمانيين دخلوا الجزائر أساسا بطلب من أهلها، وربطوا مصيرهم بمصير أهل البلاد وتحالفوا معهم تحالفا شديدا سياسيا وعسكريا، فامتلأت القلاع والثكنات والرباطات والسفن بالجنود

---

[1]– تم استرداد جيجل سنة 1514م ، وقد اتخذ منها الأخوان عروج وخير الدين قاعدة لعملياتهما ضد بجاية التي لم ينجحا في حصارها بسبب نقص البارود ورفض السلطان الحفصي تزويدهم به ما أجبرهم على الارتداد عنها في آخر الأمر وهم قاب قوسين من النصر، للتحول مدينة جيجل إلى مركز لنشاطهم البحري في الحوض الغربي المتوسط. للمزيد أنظر جما قنان ، مرجع سبق ذكره، ص19 وما بعدها.

[2]– جمال قنان، مرجع نفسه، ص 21.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الفترة العثمانية،1800–1830، ش.و.ن.ت الجزائر، 1979، ص 02.

[4] –عبد القادر فكايـــر، الغـــزو الأسبـــاني للسواحل الجزائرية وآثاره1505–1792م، دار هومة ،الجزائر2012، ص ص 43–46

الجزائريين، الذين خاضوا حروب الجهاد في البر والبحر، جنبا إلى جنب مع العثمانيين، أحيانا قوادا وأحيانا مقودين، كما تحالفوا معهم في الداخل لتوطيد الأمن والاستقرار وتقدم التجارة والسفر[1].

وقد تمكنت هذه القوة الجديدة في وقت قصير من البرهنة على أنها رأس الحربة التي ستواجه أية قوة معادية، بعد أن أثبتت فعاليتها القتالية في ساحات الوغى، وأصبحت أحد الفاعلين و المتحكمين في البحر الأبيض المتوسط ، حيث وصفهم الرحالة التمقروتي بقوله " ورياس البحر موصوفون بالشجاعة وبقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في عقر ديارهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو "[2].

أما عن الأوضاع الأمنية والعسكرية في الجزائر بعد دخول العثمانيين إليها فقد وصفها أحمد بن سحنون الراشدي في الثغر الجماني بقوله : "...ثم إن دولة الترك ضربت الأرض بجرانها، وألقت بهذا المغرب الأوسط ككلها، ومدت روافدها على ما بين وجدة إلى منتها أعمال تونس، واتصلت بأطراف عمالة الخليفة في القديم فدوخوا عصاتها ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتن، وذهبت مواد الشقاق ولم يبق بها صائل غيرهم، ولا ثائر من سواهم، واختصروا ما كان يكثر غيرهم لطلب الملك من الثورة بالقبائل، وإقامة الحروب وإثار الفتن الجلائل فصار ذلك مقصورا على دار الملك"[3].

ولأن الدولة العثمانية كانت جيشا قبل أي شيء آخر، فقد كان الوجود العسكري هو الظاهرة المميزة للحكم العثماني في الجزائر[4]، وذهب بعض المؤرخين إلى وصف نظام الحكم العثماني الذي كان سائدا في إيالة الجزائر بالعسكري، وأن الجزائر تحولت معه إلى جمهورية عسكرية[5]، في حين وصف كل من الدكتور طوماس شو[6] و فونتير دي بارادي وغيرهما الجزائر بالمملكة[7]، ووصف هايدوا حكامها بالملوك[8]. أما الدكتور العربي الزبيري فيرى أن الجزائر عرفت نظام حكم خاص بعد دخول العثمانيين إليها لم يعرفه أي بلد أخر. أهم ميزاته أنه كان يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية،

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ، مرجع سبق ذكره، ص135.

[2]– التمقروتي، علي بن محمد بن علي، النفحة المسكية في السفارة التركية. أنظر مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش و ن ت ، الجزائر، 1979، ص57.

[3]– الراشدي، أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، سلسلة التراث، الجزائر، ص ص 441–442.

[4]– أبو القاسم سعد الله ، مرجع سبق ذكره ، ص 135.

[5]– وليام شالر، مذكرات وليام شالر1816–1824،تعريب وتقديم إسماعيل العربي ،ش.و.ن.ت ،الجزائر1982 ،ص 42.

[6]-SHAW,(T), Voyage dans la régence d'Alger, Trad. de l'anglais par J mac carthy, 2éd, Bousalama, Tunis1980, pp1-3.

[7]-Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18ᵉsiécle,bib, Arabe Sandbad, Paris 1983,p89.

[8]-HAEDO(FD) :Histoire des rois d'Alger, Trad., de l'espagnol par Delmas de Grammont, éd, grand Alger liver,Alger2004,p4.

بحيث تتجلى الصبغة المدنية في أن الداي كان دائما يلجأ إلى العلماء لحل المشاكل العويصة ولا يستطيع مخالفتهم في شيء، أما الصبغة العسكرية فتتمثل في الديوان الذي كان يعين الداي أو يعزله، والذي كان يتكون من غالبية عسكرية[1].

إن هناك عنصرين أساسيين عملا على إضفاء الصبغة العسكرية على الأيالة، يتمثل أحدهما في الظروف الحرجة التي أسست فيها هاته الأخيرة ، ويتمثل الثاني في كونها امتداد للدولة العثمانية التي أخذت عنها الأيالة خصائصها ومنها خاصيتها العسكرية[2].

من جهته يصف المؤرخ أبو القاسم سعد الله نظام الجزائر العثمانية بأنه كان نظاما جمهوريا عسكريا مغلقا، فهو جمهوري لأن منصب الحاكم انتخابي وليس وراثي، وهو عسكري لأن الحاكم كان من العسكريين ، وهو مغلق لأنه نظام لا يسمح فيه إلا للوجق بممارسة السلطة ولكن انتقال السلطة من حاكم إلى أخر كان يتم بالعنف الشديد وأحيانا بوحشية قليلة النظير[3].

وقد ترسخ نظام الحكم العثماني في الجزائر عبر مراحل عديدة عرف خلالها عدة تطورات وأحداثا سياسية وإن لم تفارقه الصبغة العسكرية ، سواء في شكل الحكم نفسه أوفي علاقته بالسكان، حيث توالت عدة أنماط من الحكم على السلطة ، ويرجع هذا إلى طبيعة الوجود العثماني في الجزائر، فسياسة العثمانيين تجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان الخاضعة مما يجعل الحكم العثماني ظاهريا أكثر منه حقيقيا، أما في المناطق النائية فكان يتضاءل تدخل السلطة المركزية إلى درجة العدم[4].

كان حكام الجزائر في بداية العهد العثماني من رجال البحرية الذين عرفوا بطائفة الرياس، وكان خير الدين بربروس أول حاكم حمل لقب البيلرباي منذ عام 1519[5]، وقد استقر خير الدين أميرا بالجزائر من قبل السلطان الأعظم سليم خان[6]، حيث عرفت هذه المرحلة عند المؤرخين بمرحلة أو

---

[1]– محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت، الجزائر1972، ص 19.
للإشارة فقد أطلق على مدينة الجزائر باعتبارها مقر الحكم وقاعدة السلطة عدة نعوت منها "دار الجهاد ومقر الإمارة العلية"، كما استبدل الأتراك كلمة جزائر بني مزغنة وجزائر الثعالبة في العهد الإسلامي بجزائر الغرب في عهدهم، وأطلقوا عليها في بعض الأحيان إسم المحروسة ودار الجهاد. للمزيد أنظر: حليمي عبد القادر علي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830،ط1، الجزائر 1972، ص 219 وما بعدها.

[2]– خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالي 1798–1830، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية،1988،ص 91 .

[3] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 138.

[4]– محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط1، دمشق، 1969، ص54. ص54.

[5]– عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، م.ت.م، العدد 8 السنة 1976، زغوان، ص116.

[6]– مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تحقيق ونشر عبد القادر نور الدين، مطبعة رودوسي قدور، الجزائر1934، ص 44.

عهد باي البايات[1] أو الباي لارباي "أمير الأمراء"، وامتدت من سنة 1519 إلى1587 م، ابتدأت بحكم خير الدين وانتهت بمغادرة علج علي الجزائر عام 1587م[2]، تميزت هذه المرحلة بقوة الحكام الذين استطاعوا إعادة النظام والأمن[3] للبلاد وبسط السيطرة على عدة مناطق واسعة وصلت إلى الواحات الجنوبية في عهد صالح رايس، كما شهدت هذه المرحلة تأسيس أول نواة للجيش الجزائري والبحرية الجزائرية[4]، وقد كان معظم ولاة هذا العهد من طائفة رياس البحر الذين يعينهم السلطان العثماني أو يوافق على من يقترحه الرياس، والذين لم يكونوا يتقيدون كثيرا بأراء الديوان الذي سيصبح فيما بعد الحاكم الفعلي للجزائر، وكانوا يمارسون سلطتهم على باشوات طرابلس وتونس[5]. وقد تركزت جهود البايلربايات في دحض الخطر الإسباني وتصفية جيوبه وتقديم المساعدة لمسلمي الأندلس للانتقال إلى البلاد الإسلامية، وأهم شيء اتسمت به هذه المرحلة هو العمل على تحقيق وحدة البلاد الجغرافية والسياسية، فقد عمل الأتراك على إحلال فكرة الحدود المضبوطة محل التخوم غير الدقيقة التي كانت سائدة[6]. فكان من شأن هذه الإنجازات وغيرها تشجيع سكان البلاد ودفعهم للالتفاف حول هؤلاء القادة القادة الجدد ودعم عملهم الجهادي، الأمر الذي سهل ترسيخ وإرساء قواعد الحكم العثماني في الجزائر، وهذا خير الين يصف في مذكراته علاقة السكان المحليين بالعثمانيين فيقول " إن أهالي الجزائر يحبوننا وهم يعرفون جيدا قيمة النعمة التي يعيشون في كنفها منذ أن حللنا ببلدهم، فقد استطعنا أن نوحد إمارات وقبائل هذا البلد الكبير، وازدهرت التجارة مرات كثيرة، وأمن المسلمون من ظلم الإسبان، فصاروا أحرارا يسيرون مرفوعي الرؤوس، كل ذلك لأنهم تابعون لأكبر سلاطين الدنيا"[7].

استمرت مرحلة البايلربايات حتى سنة 1587 لتبدأ مرحلة الباشوات(1588–1659) أو عهد الباشوات الثلاثين، والذين حددت فترة حكمهم بثلاث سنوات، أما عن أسباب تغير النظام السابق فيرى أغلب المؤرخين أن تخوف السلطان العثماني من إزدياد قوة ونفوذ البيلربايات و إحتمال تمردهم أو انفصالهم عن السلطنة والاستقلال ببلادهم، هو السبب الرئيس وراء إتخاذ قرار تقليص مدة حكم الوالي

---

[1]– البيلرباي: يكتب بالقلم التركي "بيجرباجي " أو " بكلر بك" ويلفظ بالكاف ياء خفيفة ومعناه أمير الأمراء. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 85.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 23.

[3]– مذكرات خيرالدين، ترجمة وتحقيق محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010، ط1، ص 131.

[4]– أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 41. أنظر كذلك :

WEISSMAN (Nahoum) , les Janissaire (etude sur l’organisation militaire des Ottomans),th.de Doctorat, F.des lettres de Paris,1938, librairie orient Edition, Paris, 1964, p59.

[5]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 57.

[6]– شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة،ج2، الدار التونسية للنشر، 1983، ص 341.

[7]– مذكرات خير الدين، مصدر سبق ذكره ،ص 101.

إلى ثلاث سنوات فقط والتنقيص من إمتيازاته السابقة[1]وصلاحياته مما يجعله أكثر إرتباطا بالسلطنة، ولذلك فإن أهم إختلاف بين نظامي الحكم يكمن في طريقة تعيين الحكام ، إذ أصبح السلطان يعين الباشوات مباشرة من إسطنبول لمدة محدودة، وهذا على عكس ما كان عليه الأمر سابقا إذ كان دور السلطان يقتصر على المصادقة على الحكام الذين يرشحهم الرياس والإنكشارية ، ولمدة زمنية مفتوحة وبصلاحيات مطلقة.

خلال عهد الباشوات[2]ويسمى كذلك بعهد الموظفين، ارتبطت الجزائر بالسلطة المركزية ارتباطا مباشرا وقويا بعد أن كان مطلقا لا مركزيا[3]، وهؤلاء الباشوات المعينين لم يلقوا من الإنكشارية دعما ولا احتراما، بل حدث صراع بين الطرفين أدى إلى توتر الأوضاع السياسية في الإيالة، كما حدث مع الكراغلة موضوع دراستنا، حيث أن النزاع بين الإنكشارية والحكام على امتيازات السلطة جعل فئة الكراغلة تظهر كطرف مهم في المشهد السياسي والعسكري لنيابة الجزائر. فقد أفرز عهد الباشوات وضعا جديد ا تمثل في بداية صراع طويل بين الحكام العثمانيين وطائفة الإنكشارية والذي كانت تتدخل فيه طائفة الرياس من حين لأخر حسب معطيات الوضع .

عموما فقد كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات، مما دفع الأوجاق إلى إنهاء حكم الباشوات[4] بسبب سياستهم المالية خاصة، فقد اتهم الجند إبراهيم باشا[5] بنهب المعاشات والضرائب مما أثار رد فعل شديد دفع الديوان إلى اتخاذ قرار بإلغاء امتيازات الباشا[6]، حيث جرد من جميع صلاحياته ولم يبقى له إلا اللقب الشرفي ، واستولى الأغوات على مقاليد السلطة خلال الفترة الممتدة من 1659 إلى سنة 1671م .

يصف معظم المؤرخين عصر الأغوات[7] بالدموي، وذلك لكثرة عمليات الاغتيال التي يرجعون يرجعون سببها أساسا إلى طريقة تعيين الأغا، والمتمثلة في انتخاب أغا جديد من طرف الجند كل شهرين بحسب الأقدمية، وهو ما يشكل بحد ذاته خطرا على السلطة، انعكس بدوره سلبا على المجتمع، ما جعل فترة الأغوات تمثل أحلك الفترات في تاريخ الحكم العثماني بما عرفته من تمردات واغتيالات

---

[1]– يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، د.م.ج، الجزائر،2009، ج2،ص 34

[2]– الباشا: أصل هذه الكلمة هو جزء من باش آغا ومعناها رئيس الرؤساء، وهي مشتقة من "بادشاه" الفارسية، وهما كلمتان : "باد" بمعنى تخت أو عرش، و"شاه" بمعنى صاحب أو سيد، أي سيد العرش أو الملك، وكان لفظ باشا يطلق على أرباب الأقلام والسيف في مراتب معينة من نظام الجندية، ثم توسعوا فيه فصار يمنح كلقب شرفي للمدنيين من غير رجال الدين. للمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره ، ص 115 ومابعدها.

[3]– سيار الجميل، مرجع سبق ذكره، ص 213

[4]– Grammont (H.D.de), Histoire d'Alger sous la domination Turque(1515-1830),éd Leroux,Paris,1887,p147.

[5]– إبراهيم باشا : تولى من 1656م إلى 1659م وهو أخر الحكام خلال عهد الباشوات .

[6]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 66 .

[7]– كلمة "أغا" فارسية استعملها الأتراك كلقب شرفي معناه العظيم أو الآمر والرئيس ويدخل في معناه الشيخ والسيد، وله وله معان أخرى كثيرة في اللغة التركية الشرقية. للمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 159.

وعجز عن توفير الأمن والاستقرار الداخلي[1]، وبرغم قصر فترة نظام الأغوات فقد تعاقب أربعة منهم على الحكم كلهم قضوا اغتيالا[2]، حتى أن الجند لم يجدوا من يقبل بهذا المنصب الذي أصبح أقرب السبل للموت، وربما يكون هذا الوضع هو الذي جعل المؤرخ "دي غرامون" يصف عهد الأغوات بأنه كان مجرد تمرد طويل الأمد للمليشيا[3].

كانت هذه المعطيات كافية للحيلولة دون استمرار هذا النوع من نظام الحكم ليتخذ شكلا جديدا يطلق عليه المؤرخون عهد الدايات[4]، والذي يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل التواجد العثماني في الجزائر ويمتد من سنة 1671 حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر في 1830.

يعتبر نظام الدايات انتصارا لطائفة الرياس كما يدل على ذلك اختيار الدايات الأربع الأولين من بين طائفة الرياس[5]، وقد كانت سلطة الداي مطلقة وإن كانت نظريا مقيدة بالديوان، فهو الذي يبث في مسائل الحرب والصلح، وهو الذي يختار وزراءه بنفسه[6].

خلال الفترة من 1671 إلى 1689 م كان الدايات ينتخبون من طرف الرياس، ثم استرجع الأوجاق نفوذهم[7]، فأصبح الداي يختار من بين ضباط الانكشارية، وذلك بسبب الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية خلال عهد الدايات والتي ألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري وأضعفت مركز الرياس، ما أعطى للإيالة الجزئرية نظاما حكوميا شبيها بالحكم الجمهوري الحديث، يمارس فيه الداي سلطة شبه مطلقة في مجال جمع الضرائب وحفظ الأمن الداخلي[8]، فكان يتصرف كحاكم مستبد برأيه وسيد مطلق الصلاحيات بالإيالة[9].

---

[1]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 68.

[2]- هؤلاء الأغوات الأربع هم على التوالي: خليل بلوكباشي(1659-1660م)، رمضان بلوكباشي(1660-1661م)، شعبان آغا(1661-1665م)، الحاج علي آغا(1665-1671م).

[3] – Grammont (H.D.de),op.cit.p 149.

[4]– الداي : كلمة تركية تعني الخال ، ولكنها فيما يبدوا لم تستخدم للدلالة على عمل وظيفي إلا في الجزائر وتونس ،وكانت في بادئ الأمر لقبا شرفيا مثل كلمة ألب عند الأتراك القدامى التي يتطلب الحصول عليها إثبات الجدارة في البحر والحرب كما أشار ابن أبي الضياف إلى أن "سنان باشا نظم الإنكشارية في تونس وجعل على كل مئة منهم أمير يسمى (الداي) لقب مشعر بالتعظيم. للمزيد أنظر محمد خير فارس، نفس المرجع، ص 69.

[5]– مبارك بن محمد، الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 178.

[6]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 72

[7] – الأوجاق: " UCAK" معناها في الأصل "موقد" أي الموقد الذي تجتمع حوله الأسرة، ثم تطورت وأصبحت تطلق على الفرق النظامية في جيش الدولة العثمانية، مثل "يكيرجي أوجاغي" أي الفرقة الإنكشارية ،و" طوبجي أوجاغي" أي فرقة المدفعية. أما في الجزائر فقد كان لمصطلح "أوجاق" ثلاث معاني.فكان يستعمل من جهة بمعنى "أورته" (أي وحدة عسكرية من وحدات الجيش الإنكشاري)، كما كان يستعمل من جهة ثانية بمعنى " الجيش النظامي" مثلما كان في إستانبول، فضلا عن إستعماله ليدل على الأيالة ذاتها. للمزيد أنظر
خليفة إبراهيم حماش ، مرجع سبق ذكره، ص ص 93–96. وكذلك
Jean,Deny, les Registre de Solde des Janissaires d'Alger,in R.A N° 61,1920 ,pp36-38.

[8]– حنيفي هلايلي، مرجع سبق ذكره، ص 136.

[9]- PANANTI, Filippo , Relation d'un séjour à Alger, le normant ,Paris,1820,p411.

كان يتولى منصب الداي في الغالب إحدى الشخصيات البارزة في الدولة، وهي الخزناجي، الأغا أو خوجة الخيل[1].

إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة إذ كان بإمكان الجندي البسيط أن يصل إلى منصب الداي في حالة الاضطرابات والفوضى[2].

وقد حدث أهم تطور في التركيبة التاريخية لنظام الحكم العثماني سنة 1711م، إثر إلغاء منصب الباشا الذي كان أصلا مجرد مبعوث شرفي للسلطان وممثلا له، وفي سياق هذا التطور أيضا نسجل ازدياد نفوذ السلطة التنفيذية على حساب السلطة التشريعية، من خلال ازدياد نفوذ الموظفين السامين ذوي الوظائف الحيوية مدعمين بذلك سلطات الداي على حساب مجلس الديوان وعلى رأسه الكاهية[3]، والذي تحول إلى مجرد هيئة تقليدية ملزمة بقبول قرارات الداي ومساعديه من الموظفين السامين[4].

أما بالنسبة للعلاقة مع السلطان العثماني، فإنه ومنذ حادثة الداي علي خوجة سنة 1711، الذي رفض استقبال الباشا الجديد بصفته مبعوث السلطان العثماني، والتي يرى المؤرخون أنها كانت إيذانا ببداية مرحلة جديدة من العلاقات مع الباب العالي، إذ منذ ذلك الحين تحول الدايات من تابعين للسلطان في إسطنبول إلى حلفاء له يتبادلون معه الهدايا في المناسبات[5]، وفي المقابل لم يسجل أي رفض من طرف السلطان للداي الذي يختاره الجند في الجزائر، وذلك لسبب بسيط وهو أن طلب تأكيد

---

[1]- N.WEISSMANN, op.cit.p69.

خوجة الخيل : يسمى بالتركية آت خوجاسي (AtKhojasi)، وهو موظف سام يشرف على الأملاك الوطنية ، وتدخل في اختصاصاته إدارة جميع الأملاك المنقولة والغير منقولة، كمواشي الدولة والجمال المخصصة لنقل الجيوش والعتاد الحربي والمواشي التي يقدمها الأهالي في شكل ضرائب، كما يسهر على تجنيد الفرسان، مما أعطى له نفوذا على عرب الصحراء ، فكان يقود الفرق العسكرية لتأديب الثائرين والخارجين عن القانون، فهو بمثابة وزير الحربية. أما الخزناجي ويلقب كذلك بالدفتردار فهو بمنزلة وزير المالية، يشرف على الخزينة، ويتمتع بصلاحيات واسعة فهو القائد الأعلى للقوات البرية، وهناك أغا العرب الذي يتولى قيادة فرق الإنكشارية والصبايحية (هم الجنود الخيالة) المعسكرة خارج مدينة الجزائر. للمزيد حول صلاحيات الموظفين السامين أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 18 ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 214 و ما بعدها .

–DEVOULX ,(A), Tachrifat, recueil de notes historiques sur l’administration de l’ancienne régence d’Alger, imp du gouvernement, Alger1852,p27.

[2]- Venture (De Paradis), op.cit.p204.

[3]- الكاهية: هو رئيس مجلس الديوان، ويلقب بالسيد الدولاتلي والقائم مقام، وهو الذي بيده مفتاح خزينة الدولة، كما يشرف على مجموعة من الضباط الذين يعينون في قصر الداي. فكان أقدم كاهية يخلف الآغا الذي هو القائد الأعلى لقوات الجيوش البرية بعد إحالته على التقاعد. للمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 18.

[4]– سلفاتور بونو، العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي ، ترجمة أبي القاسم بن التومي ، مجلة الأصالة، العدد 7، السنة 1972، ص117.

[5]–SHAW,(T), Voyage dans la régence d’Alger, Trad de l’anglais par J mac carthy, 2éd, Bousalama, Tunis1980, p152.

أنظر أيضا: إسماعيل العربي، العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة1776–1816، ش.و.ن، الجزائر، 1978، ص22 وما بعدها.

الاختيار كان دائما ترافقه هدية طيبة[1]، ولا يتم تنصيب الداي بصفة رسمية إلا بعد وصول الفرمان أو المرسوم والقفطان والسيف من السلطان[2]، ونظرا لحاجة الداي لتزويد الأيالة بالجنود من الولايات العثمانية فقد استغل السلاطين العثمانيين هذه الحاجة كورقة ضغط لإرغام دايات الجزائر على تنفيذ أوامرهم حتى يخول لهم حرية التجنيد[3]. وللإشارة وحسب ما جاء في كتاب ملوك الجزائر لهايدو فإن رفض إرادة السلطان العثماني فيما يتعلق بتعيين حكام الجزائر بدأت بوادره منذ عهد الباشوات وذلك من خلال إجبار عدد منهم على العودة لاستانبول وعدم تمكنهم من إكمال مدة ثلاث سنوات في الجزائر مع فارق وهو أن الباشا كان يترك خليفته إلى أن يعين الباشا الجديد[4].

أما أهم إنجاز تم في عهد الدايات فهو بلا شك تحرير مدينة وهران من الإسبان والذي تم على مرحلتين ، فكان التحرير الأول عنوة عام 1708 على يد مصطفى أبو الشلاغم باي الأيالة الوهرانية وصهره أوزن حسن، وذلك بعد أن مكث فيها الإسبان مائتين وخمسة أعوام[5]، وقد انكسرت شوكة النصارى بعد هذا التحرير، أما التحرير الثاني والنهائي فكان سنة1792م الموافق يوم الرابع أو الخامس من رجب الفرد ضحى يوم الاثنين سنة ست من القرن الثالث عشر(1206ه) حسب ما ذكره محمد بن يوسف الزياني[6]، وقد تم هذا التحرير خلال فترة شهدت استقرار داخلي نسبي امتد حتى سنة 1805، لتليها فترة عرفت فيها البلاد عدة اضطرابات وثورات، يرجع المؤرخون أسبابها إلى سياسة العثمانيين التعسفية والضريبة من جهة، ومن جهة أخرى زوال مبرر وجودهم في البلاد بزوال الاحتلال الإسباني لوهران، ولعدم سعي العثمانيين للاندماج، وإيثارهم الانغلاق رغم روابط الدين والمصاهرة، فكانت هذه المعطيات سببا في انتشار نوع من السخط العام تجسد في شكل ثورات داخلية أوائل القرن التاسع عشر الميلادي منها الثورة الدرقاوية التي قادها كل من ابن الأحرش في الشرق الجزائري وابن الشريف في غرب البلاد، والثورة التيجانية التي قادها سيدي محمد التيجاني في الجنوب الغربي الجزائري، وقد أسهمت هذه الثورات في الإسراع بنهاية الحكم العثماني في الجزائر بشكل كبير[7].

---

[1]– إسماعيل العربي، مرجع سبق ذكره،ص 22.

[2]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص43.

[3] -BOYER(P),l'évolution de l'Algerie médiane- ancienne département d'Alager-de 1830 à 1956,Adrien-Maisonneuve, Paris,1960,p12.

[4]- HAEDO(FD),op,cit p221.

[5]– محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن بن عبد الكريم،ش.و.ن.ت،الجزائر،1981،ص203.

[6]– محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق الشيخ المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، الجزائر،1978،ص 167 .

[7]– تعتبر ثورة الدرقاوي (1805–1816) والثورة التيجانية بعين ماضي سنة 1816 م وقبلهما ثورة ابن الأحرش في الشمال القسنطيني عام 1804 م وثورات منطقة القبائل، أصدق تعبير عن دخول العلاقة بين الحكام العثمانيين=

هذا وتجدر الإشارة إلى أن تغير أنماط الحكم العثماني في الجزائر كان يعني العثمانيين أكثر من السكان المحليين الذين لم ينعكس ذلك التغير في نظام الحكم عليهم إيجابا، وكل ما تعنيه تلك التسميات يتصل بعلاقة الولاة في الجزائر بالسلطان أما بالنسبة للجزائريين فلم تكن تعني شيئا[1].

2- المنظومة الإدارية العثمانية في الجزائر:

منذ عهد حسن باشا ابن خير الدين عرفت الجزائر تقسيما إداريا ظل معمولا به إلى نهاية الوجود العثماني دون أي تغييرات جوهرية ، فقد قسمت البلاد إلى أربع مقاطعات أو بايلكات[2]، هي دار السلطان (الجزائر)، بايلك الشرق عاصمته قسنطينة، بايلك الغرب عاصمته مازونة ثم معسكر ثم وهران وبايلك التيطري عاصمته المدية.

وقد روعي في بايلك الجزائر أو دار السلطان العامل الجغرافي، فهذه المقاطعة كانت ضم المنطقة السهلية، المتيجة والساحل، الواقعة بين البحر والأطلس التلى، والعامل السياسي المتمثل في ضمان أمن السلطة المركزية في مدينة الجزائر ، كما كان أصغر المقاطعات وأكثرها تميزا فهو مقاطعة تابعة مباشرة للسلطة المركزية في مدينة الجزائر[3]، ويعود تاريخ ظهور النواة الأولى لهذا البايلك لسنة 1516 م، عندما استنجد سليم التومي حاكم الجزائر بعروج(بضم العين) وخير الدين لتحرير صخرة البنيون، الواقعة في مدخل ميناء الجزائر من السيطرة الإسبانية[4]، وقبل مدينة الجزائر كانت مدينة جيجل أول منطقة أقام عليها الأخوين بربروسة نواة حكمهما وفيها استقبل عروج وفد مدينة الجزائر الذي جاء يطلب الدعم لتخليص المدينة من الحامية الإسبانية في قلعة البنيون[5].

=والمجتمع الجزائري مرحلة جديدة تميزت بالحدة والثورة على الأوضاع، خاصة بعد زوال المبرر الديني لوجود العثمانيين بتحرير آخر منطقة محتلة من الصليبيين وهي وهران، وعدم نجاحهم في الانصهار في المجتمع الجزائري بحيث بقوا منعزلين يعاملونه من موقع الحاكم والمحكوم ، فضلا عن تراجع الحياة الاقتصادية وزيادة الضرائب. للمزيد حول الموضوع راجع: – محمد الصالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر،1974،ص 33 و مابعدها. وكذلك

– محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة أوتاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، د.م.ج، الجزائر، 1991، ص 69 وما بعدها.

– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 308 وما بعدها.

–CH, Feraud, les chérif Kabyles de 1804-1809 dans la province de Constantine ,in R.A,N°13,1869,pp 211-218.

[1]– أبو القاسم سعد الله ، مرجع سبق ذكره ،ص 133.

[2]– البايلك: مصطلح يطلق على المقاطعة أو العمالة وقد تسمى بشالك أو سناجق، وقد جرى استعمال هذه الكلمة بمعنى كل ما هو ذو طبع عمومي أو ملكية عمومية فأراضي البايلك مثلا هي التي أصبحت ملكا للدولة. لمزيد انظر محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 189 وما بعدها. عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص95.

[3]– صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–830 ، ط3، دار هومة، الجزائر ،2011، ص 281.

[4] -WATBLED.E, Etablissement de la domination turque en Algérie, in R.A N°17Alger 1873pp294-295.

[5]- DEVOULX Albert، Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville, in RA ,N°20,1876,p67

تتكون دار السلطان أساسا من المناطق التي تم إخضاعها على يد عروج وخير الدين وتضم جغرافيا المدن الخمس الهامة وهي البليدة، القليعة، شرشال، دلس وأوطانها[1]، وقد خضع إقليم دار السلطان لتسيير مركزي وتنظيم محكم وهذا عكس المقاطعات الأخرى التي لم تتأثر مباشرة بالحكم المركزي، وإن كانت تخضع لتنظيم إداري مشابه لدار السلطان، الشيء الذي حال دون تطور وتبلور الأنظمة الإدارية لهذه المقاطعات[2].

- بايلك التيطري: كان أصغر البايلكات مساحة مقره المدية[3]، وهو ثاني بايلك من حيث التأسيس بعد دار السلطان، فقد أسس سنة 1540م[4]، كان باي[5] التيطري يقيم في أوائل العهد العثماني في المدية تارة وفي برج سباو[6] تارة أخرى، إلى أن استقر نهائيا في المدية التي كان العثمانييون قد ضموها لسلطتهم في مدينة الجزائر منذ سنة1517[7]، وبحكم قربه من مركز السلطة فإن حاكمه كان أقل استقلالا وأكثر خطرا من بايات وهران وقسنطينة، وكان يتقدم زملائه البايات في المراسم العامة.

ولإضعاف مركز وخطر باي التيطري فقد سحبت منه صلاحية إدارة مدينة المدية وأوكل أمرها إلى رئيس يعينه الأغا، مما أوجد تعقيدا في إدارة هذا البايلك[8]، أما جغرافيا فإن بايلك التيطري يحده من الشمال سهل المتيجة ومن الشرق وطن بني سليمان وبني جعد وعريب وقيادة سباو الذي يحد عمالته وطن يسر، ومن الناحية الشرقية وطن حمزة وهو من عمالة باي قسنطينة[9].

- بايلك الشرق: كانت عاصمته قسنطينة، أسس سنة 974هـ/1567م[10]، وهو من أكبر وأهم البايلكات من حيث المساحة والثروات، يحده شمالا البحر، وغربا وادي الصمار الذي يعرف بوادي بني منصور وبني عباس، والذي يأخذ مجراه من أعالي برج حمزة ويصب في البحر قرب بجاية[11]،

---

[1]- صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 281.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره ،ص 273.
[3]- محمد خير فارس ، مرجع سبق ذكره ،ص 75
[4]- حنيفي هلايلي، مرجع سبق ذكره ، ص147
[5]- الباي عند أتراك الجزائر لقب لمن ولي أيالة(مقاطعة)، أو هو قائد القياد، وعند أبوراس الناصر في "الخبر المعرب" فإن الباي هو الذي يوليه الباشا ناحية كبيرة، وعند محمد بن يوسف الزياني الباي هو من يوليه باشة الجزائر جهة مثل قسنطينة. للمزيد أنظر محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 189 ومابعدها.
[6]- يقع برج سباو ضمن محيط دار السلطان، وإن كان جغرافيا ضمن بلاد القبائل الكبرى، وقد ظلت قيادة سباو تابعة لبايلك التيطري حتى سنة 1769 بعد تمرد قبيلة فليسة، حيث نقلت إدارة سباو إلى دار السلطان، كان قائد سباو يسمى قائد يسر إلا أن الآغا هو الذي يتصرف فيه. للمزيد انظر صالح عباد، مرجع سبق ذكره ص 290.
أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد شريف الزهار1754-1830، تحقيق وتقديم احمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر،1980، ص 47-56.
[7]- صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 292.
[8]- محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره،ص 75.
[9]- أحمد الشريف الزهار ، مصدر سبق ذكره، ص ص 47-48.
[10]- محمد بن ميمون الجزائري ، مصدر سبق ذكره، ص 36
[11]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 154، كما يورد المؤلف أن تسمية وادي "الصمار" هي نسبة إلى النبات المعروف بهذا الاسم(Joncs)، وهو نفسه الوادي المشهور بوادي "بالصمام" وإنما حرفت الكلمة، يأخذ مجراه من أعالي برج حمزة وترفده أودية كثيرة من جرجرة.

فيما حدد فايسيت[1] بايلك الشرق بجبال البيبان غربا وبسيدي هجرس من الجنوب الغربي وجعل سيدي عيسى الحد الفاصل بينه وبين بايلك التيطري[2].

وقد لعب هذا البايلك دورا كبيرا في مراقبة إيالة تونس وساهم في إخضاعها لنفوذ أتراك الجزائر[3]، ونظرا لشساعته فقد قسم إداريا إلى أربعة أقسام على كل قسم حاكم مستقل عن الأخر يخضع يخضع مباشرة للباي بقسنطينة[4].

– بايلك الغرب: تأسس سنة 1563[5]، كما أن أول من حمل لقب الباي هو باي الغرب بوخديجة[6]، في البداية كانت عاصمته مدينة ما زونة لكن معطيات عديدة جعلت العاصمة تنتقل إلى إلى معسكر سنة 1710 م، هاته المعطيات يلخصها الوزان[7] من خلال وصف مدينة ما زونة أوائل القرن السادس عشر بقوله " كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب حتى أصبحت اليوم قليلة السكان، وهم إما نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريبا فقراء لأن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات، والأراضي الزراعية جيدة تعطي غلة حسنة"[8].

بعد تحرير مدينة وهران سنة1792 م أصبحت عاصمة لبايلك الغرب، وقد غلبت على هذا الأخير الصبغة الحربية بسبب الاحتلال الإسباني وتوتر العلاقات العثمانية المغربية بسبب محاولاتهم الإستيلاء على تلمسان، فضلا عن حركات التمرد التي عرفها هذا البايلك.

جغرافيا يمتد بايلك الغرب من الحدود المغربية غربا إلى ولاية التيطري شرقا، ومن البحر الأبيض شمالا إلى الصحراء جنوبا، ويحتل الدرجة الثانية بعد ولاية قسنطينة من حيث المساحة[9]

---

[1]– أوجين فايست: كان عضو بارز من أعضاء جمعية قسنطينة للآثار،جاء مبكرا للجزائر فتعلم اللغة العربية وتعمق في في معرفتها، كان أستاذا بالمدرسة الفرنسية والإسلامية التي أسست بقسنطينة، ثم اصبح مديرا لها، إعتمد فايست على بعض المخطوطات، ولكنه إعتمد على الرواية الشفهية في كثير من الوقائع التي ذكرها في كتابه تاريخ قسنطينة تحت الإحتلال التركي 1517مإلى 1837م، والذي نشره في شكل مقالات من سنة 1867م إلى 1869م ونشرة في المجلة الإفريقية. للمزيد أنظر: أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، ط 1، تحقيق صالح نور، دار قرطبة، الجزائر،2010، ص 16 وما بعدها.

[2]-VAYSSETTES, E, Histoire des derniers Beys de Constantine in R.AN° 3,1858,p117.

[3]– صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 292

[4]– محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة ، مصدر سبق ذكره، ص18.

[5]– حنيفي هلايلي، مرجع سبق ذكره، ص 146

[6]– عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[7]– الوزان: هو الحسن بن محمد الوزان ولد في غرناطة قبيل سقوطها في أيدي الاسبان سنة 1492م، وان كان هناك خلاف بين المؤرخين في تحديد سنة ولادته، فقال بعضهمأنه ولد عام 1495 وبعضهم عام1500م ، اشتهر بليون الأفريقي أو يوحنا ليون الأفريقي أو يوحنا الأسد الأفريقي. كما اشتهر بتأليفه الجغرافي في عصر النهضة، والمعروف بـــ " صف إفريقيا"، وهو كتاب أشبه ما يكون بمذكرات و انطباعات المؤلف عن البلدان التي زارها. للمزيد عن حياة وسيرة الوزان أنظر مقدمة الجزء الأول من كتاب "وصف إفريقيا"، ص 3 وما بعدها.

[8]– الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1983، لبنان،1983، ط2،ج 2، ص36 .

[9]– عزيز سامح الترء الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد علي عامر،دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ط1، ص 140.

والأهمية الاقتصادية، وقد ذكر بير بروجر أن واد ملوية هو الحد الفاصل بين المملكة المغربية وبايلك الغرب[1]

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الحدود الجنوبية للجزائر العثمانية لم تكن واضحة ومحددة، وحسب لويس رين فإن الأراضي الخاضعة مباشرة للسلطة التركية لم تكن تتعدى سدس مساحة الجزائر الشمالية الحالية[2]، وقد كان البايلك ينقسم إلى أوطان على رأس كل واحد منها قائد عربي أو من العثمانيين، والوطن نفسه مكون من مشايخ تجمع الواحدة قبيلة أو أكثر ويرأسها شيخ من الأهالي[3]، ونظرا لطبيعة الحكم العثماني المركزية فقد كانت السلطة في دار السلطان هي التي توجه القضايا السياسية في البلاد بالاعتماد على الجنود المسمون اليولداش (الانكشارية) وعلى قبائل وفية تحظى بامتيازات عديدة تدعى قبائل المخزن[4].

وقد تأثرت الإدارة المحلية بما كان يجري على مستوى الإدارة المركزية إذ يقوم الباي الجديد بدوره على مستوى البايلك بعزل معظم الموظفين الذين سبق لهم أن اشتغلوا مع الباي المعزول لعدم الثقة فيهم وإبعاد إي احتمال للمؤامرة ضده[5]، وإذا كان الداي هو الحاكم نظريا، فإن الباي كان في الواقع مستقلا ولا يخضع للداي إلا فيما يتعلق بجمع الضرائب ودفع الدنوش أو الغرامة التي تؤدى كل ثلاث سنوات، كما أن الباي مسؤول عن الأمن في مقاطعته[6]، وهذا ما يعكس نوع من اللامركزية في الإدارة حيث أن كل باي كان يتصرف كعاهل مستقل، مثلما كان محمد الكبير وصالح باي قسنطينة وقد كان البايات يحاولون تقليد الإدارة المركزية من حيث تنظيم جهاز الإدارة المحلية، كما كان للبايات

---

[1] -BERBRUGGER(Adrien)، des frontières de l'Algérie, in R.AN°4,1860,p60.

[2]- RINN(L)، Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey.in R.A N°41,1897.p137.

[3]– محمد العربي الزبيري ، مرجع سبق ذكره ، ص 21.

[4]– قبائل المخزن: هي مجموعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها، فمنها من أقرها الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة، ليؤلف جماعات شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية. وبفعل الاستقرار على الأرض اكتسبت هذه القبائل كيانا مستقلا متمايزا ولم تعد تعرف من أنسابها القديمة ومواطنها الأصلية إلا ما علق بتسمياتها الجديدة كقبائل الصحارى وهاشم والعبيد والعثامنة، في حين اتخذت الغالبية الكبرى من هذه القبائل تسميات محلية وألقاب مستمدة من مواطنها الجديدة أو مشتقة من وظائفها ومهامها أو مستعارة من نوعية السلاح الذي كانت تحمله (الزمالة، الدوايرـ المكاحلية). وحسب فايست فإنه يوجد على رأس فرقة الزمالة قائد الزمالة وهي تساعد الباي في تحركاته المختلفة، أما فرقة الدوايرـ فكانت تضم كل الرجال القادرين على حمل السلاح ويعرف قائدها بأغا الدوايرـ و لا يختلف دورها عن دور فرقة الزمالة إلا أن امتيازاتها أقل منها.للمزيد راجع
ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سبق ذكره، ص ص 257–272.وكذلك
VAYSSETTES، E، Histoire des derniers, op, cit p123.

[5]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800–1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 30 .

[6]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشوراتANEP الجزائر،2005، الجزائر،2005، ص ص 116–117

الحق المطلق في إصدار العقوبات ضد الأهالي ومصادرة الممتلكات[1]، غير أن الباي لا يقدر أن يقتل أحدا من الأتراك إلا بمشاورة الباشا بالجزائر.[2]

بالنسبة لموظفي الإدارة فعلى المستوى المركزي كان هناك مجموعة أساسية من الموظفين الساميين الذين يعتمد عليهم الداي يمكن ترتيبهم بحسب أهمية وظائفهم أواخر العهد العثماني كما يلي:

الخزناجي وهو المشرف على الخزينة، أغا العرب وهو قائد فرقة الانكشارية، بيت المالجي وهو المتصرف في الأملاك والثروات التي تؤول للدولة، خوجة الخيل يدير أملاك البايلك ويضمن للموظفين التزود بالمواد الغذائية الضرورية و أخيرا وكيل الحرج الذي يشرف على النشاط البحري وقد يتسع نشاطه ليشمل العلاقات الخارجية[3].

أما على مستوى البايلكات فيساعد الباي في مهامه خليفتان أحدهما ينوب عنه في الخروج للرعية لآخذ مال الدولة منها وفي القدوم إلى مدينة الجزائر، والأخر يقال له خليفة الكرسي ينوب عنه في قاعدته إن غاب وله كاتبان ووزيران من العرب[4] يستشيرهما في قضايا الأهالي ، كما أن منصب الباي لم يكن يسند إلا لمن كان من أصل تركي أو كرغلي[5].

ويخضع لأوامر الموظفين السامين مجموعة كبيرة من الموظفين الثانويين مثل كتاب الدولة أو الخواجات وموظفي الخدمات الاجتماعية و الاقتصادية ورجال الأمن[6].

هذا وقد عرفت الإدارة العثمانية على عهد البايلربايات نوع من الحزم والجدية في التسيير وكذا الشأن على عهد الداي محمد بن عثمان باشا (1766م-1791م)، لا كنها كانت في أغلب فترات الوجود العثماني بالجزائر فوضوية من حيث القرارات والتسيير الأمر الذي أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار في أوساط الجماهير[7].

➢ ثانيا/ <u>الأوضاع العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني</u> :

كان من أهم ما ترتب على إلحاق الجزائر بالسلطة العثمانية عام 1519 م، أن زود السلطان سليم الأول (1512-1520) خير الدين بألفي جندي ومدافع وذخيرة حربية[8]، فضلا عن فتح باب

---

[1]- SHAW.(T),op.cit p163.

[2]-محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص190.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني،م.و.ك، الجزائر،1984، ص ص 16-17.

[4]- محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 190.

[5]- المصدر نفسه، ص 192.

[6] -ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 28.

[7]-Grammont, (H.D.de), op.cit p317.

[8]- HAEDO .(FD),op.cit p 119.

التجنيد للمتطوعين الذين وصل عددهم إلى أربعة ألاف جندي[1]، وقد منح هؤلاء المتطوعون نفس امتيازات الإنكشارية[2]، كما شكل هذا المدد بالإضافة إلى جند خير الدين أساس أوجاق[3] جزائر الغرب[4] الغرب[4]

لم يكن الجيش الإنكشاري في الجزائر يختلف من حيث التنظيم عن ما هو معمول به في الدولة العثمانية ، فقد كان يتم تقييد أسماء الوافدين الجدد في سجلات جرايات الجند وبعد أن تمنح لكل جندي مستلزماته خاصة السلاح فإنه يلتحق بثكنته[5]، وقد ذكر فونتير دو بارادي أن الجندي كان يسدد ثمن السلاح الذي يتسلمه[6]، وفي المقابل كان يعيش على نفقات الدولة وتدفع له زيادة عن الأجرة كل المواد

---

[1]-WEISSMANN .N, op.cit.p59.

[2]– الإنكشارية: كلمة عثمانية مركبة من كلمتين، يكي (YENI) بمعنى جديد وجري(CERY) بمعنى العسكر، أي العسكر الجديد أو يكيجري وقد تكتب ياني سيري، والإنكشارية جيش من المشاة أسس في عهد السلطان أورخان سنة 1326م، كان الهدف الأول من إنشاء هذا الجيش هو الحيلولة دون بروز عصبية قبلية من خلال تشكيل جيش من الأسرى المسيحيين الذين تتراوح أعمارهم مابين 8 و18 سنة، ثم صار جلب الأطفال غير المسلمين لتكوين جيش منهم عرف بالجيش الإنكشاري، بحيث كانت العملية تتم عن طريق ما يسمى "ديوشيرمة" أو ضريبة الغلمان وتعني جمع أطفال النصارى في بلاد البلقان كل خمس سنوات لتتركيهم وتنشئتهم على الإسلام. في الجزائر يرجع تأسيس الإنكشارية إلى سنة 1520م عندما أرسل السلطان سليم الأول إلى خير الدين ألفين من الجنود الإنكشارية. كما أعطى للأيالة حرية تنيظيم عملية التجنيد بين المسلمين في أقاليم الدولة العثمانية، ومن ثم ففي الوقت الذي كان إنكشارية إستانبول يعودون بأصولهم إلى أسر غير مسلمة ومسيحية بشكل عام، كان إنكشارية الجزائر على العكس من ذلك يعودون إلى أسر مسلمة في أغلب الحالات. للمزيد حول الموضوع أنظر:

– عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة،ج1، ص470 وما بعدها.

– كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510–1541، ترجمة جمال حمادنة، د.م.ج،الجزائر،2007، ص64 و ما بعدها.

– خليفة إبراهيم حماش، مرجع سبق ذكره، ص 93 وما بعدها.

[3]– يرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله أنه "من الخطأ إطلاق إسم الأتراك على الوجق وأهل السلطة خلال العهد العثماني في الجزائر، وذلك لأن الوجق كان يتكون من عثمانيين، وهو بهذه الصفة كان يضم أجناسا مختلفة اللسان والعرق والجغرافيا، ولكنها جميعا تتفق في الولاء للإسلام والسلطان، فالصفة الموحدة للوجق إذن هي العثمانية وليست التركية". لكن نشير إلى أن هناك العديد من الكتابات التاريخية التي أطلقت صفة التركية على مجموع العثمانيين في الجزائر، ربما على أساس التغليب لأن أغلب إنكشاريي الجزائر كانوا ينحدرون من الأناضول . للمزيد أنظر أبو القاسم سعد الله ، مرجع سبق ذكره ، ص133 و ما بعدها .

[4]– عزيز سامح التر، مرجع سبق ذكره، ص 132.

[5]- BOYER(P),La vie qotidienne à Alger a la ville de l’intervention francaise,Hachette,Paris1963,p127.

[6]-Venture (De Paradis), op.cit.p57.

الضرورية للتغذية، فطعام اليولداش[1] كان يعده الأرقاء المسيحيين الذين كان عليهم كذلك أن يبقوا على المساكن نظيفة، أما أعضاء الإنكشارية المتزوجين فكان عليهم أن يجدوا منازل لهم[2].

كان التجنيد يتم من خلال نظام الدفشرمة[3]، كما كان معظم إنكشارية الجزائر ينتمون لأصول مسلمة، فقد ذكر هايدو أنه ولسنوات طويلة لا نجد في الجزائر من يلتحق بالإنكشارية من الأسرى المسيحيين المعتنقين للإسلام و لا من رياس البحر، إذ لم يكن يسمح بذلك إلا للأتراك الأصليين[4].

لقد كان بقاء السلطة العثمانية في الجزائر مرهونا بقوة أوجاق الانكشارية، الذي شكل عماد الجيش النظامي للإيالة، لدى فقد حرص الحكام على تجنيد وتجديد عناصر الانكشارية كلما اقتضى الأمر ذلك ، ونظرا لأهمية هذه العملية فإنها تحولت إلى مؤثر كبير في العلاقة بين الجزائر واستانبول حيث كثيرا ما يلجأ إليها هذا الأخير كورقة ضغط على حكام الجزائر.

و في الجزائر كما في استانبول كان الجيش قائما على قاعدتين هما الجيش البري والجيش البحري، وكان الجيش البري يتمثل في دعامتين، الجيش النظامي المتمثل في فرق الأوجاق وفي

---

[1]– اليولداش : تعني رفيق الدرب أو الزميل، وقد كان الجندي الإنكشاري في الجزائر يعرف في السجلات الرسمية باسم "يولداش"،وهي أدنى رتبة في الجيش الإنكشاري،كانوا يشكلون أغلبية عظمى في الجيش ،يترقى اليولداش إلى رتبة "أسكي يولداش" أي الرفيق القديم ،بعد إكمال ثلاث سنوات من الخدمة في الجيش،وقد سجل المؤرخ تال شوفال من خلال دفتر تركات بيت المال أنه خلال الفترة من 1699إلى 1701م بلغ عدد اليولداش 264فرد من مجموع 330عنصر سجلت أسمائهم في هذا الدفتر. أي مانسبة80 % من مجموع المجندين . للمزيد حول الموضوع أنظر: – خليفة حماش،مرجع سبق ذكره ص 99 ومابعدها.

-Shuval, TAL. La ville déAlger vers la fin du XVIIIe siècle. Population et cadre urbain, CNRS EDITION, Paris, 1998, p68.

[2]– جون وولف، الجزائر وأروبا1500–1830، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص162.

[3]– الدفشرمة: وتكتب كذلك على شكل "الدوشرمة" و" ديوشيرمه" (Devsirme)، ومعناها اللفظي يجمع أو يقطف أو قانون "التوليد والتنشئة"، وهي عملية جمع الصبية المسيحيين "ضريبة الغلمان"، وتربيتهم تربية عسكرية إسلامية بعيدا عن الأهل والوطن مما يجعلهم عند الالتحاق بالعمل العسكري لا يعرفون أبا لهم غير السلطان و لاحرفة لهم غير الجهاد. وقد كانت عملية "الدفشرمة" تتم كل خمس سنوات ثم تقلصت إلى أن أصبحت تتم كل سنة، بحيث يجمع الصبية من مختلف المناطق المسيحية الخاضعة للدولة العثمانية، وحسب بعض الدارسين كان هناك من العثمانيين من يرفضون ما يسمى بضريبة الغلمان. للمزيد حول الموضوع راجع : – جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2007–2008، ص 3 ومابعدها . وكذلك : – عبد العزيز الشناوي، مرجع سبق ذكره، ص 473.

[4] - HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger",trad. de l'espagnol par berbrugger et monnereau, in R.AN°14,1870, p 504.

مقدمتها الجيش الإنكشاري والجيش الاحتياطي غير النظامي، والمتمثل في قبائل المخزن والكراغلة موضوع هذه الدراسة، وبعض الفرق الأهلية .بينما كانت البحرية تشكل جانبا هاما ومميزا في قوة الجزائر العسكرية[1].

كانت مدينة الجزائر تشكل نقطة تمركز قوات الأوجاق أين يقيم الجنود العزاب في ثكنات[2] قدرها هايدو بخمس ثكنات كبيرة تضم كل واحة منها ما بين أربعمائة وخمسمائة عسكري موزعين على عدد من الأوضات[3]، بالإضافة إلى ثكنتين صغيرتين يقيم فيهما ما بين مائتين وثلاثمائة عسكري[4]، أما الانكشارية ميسوري الحال فكانوا يقيمون في فنادق تكاد تكون خاصة بهم، في حين كان المتزوجون يفضلون كراء منازل في المدينة أو ضواحيها[5].

هذا ومن خلال استغلال الدراسة التي أجراها مارسيل كولمب[6]، والمنشورة في المجلة الإفريقية الإفريقية نلاحظ أن عمليات التجنيد كانت تتم في كل أنحاء الإمبراطورية العثمانية الأوروبية والآسيوية منها، فضلا من مدن الأناضول التي ينحدر منها أغلب المجندين في الجزائر، كما أن عمليات التجنيد كانت تكلف الخزينة الجزائرية نفقات باهظة، وبالنسبة لعدد الجنود فيشير كولمب بشكل إجمالي إلى إنه كان عدد كبير طيلة فترة ازدهار القرصنة إي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وحتى اوائل القرن الثامن عشر، ثم أخذ هذا العدد يتضاءل بالتوازي مع تراجع موارد القرصنة، حيث أنه خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر بلغ المجموع العام للمتطوعين8533 متطوعا، وقد وصل

---

[1]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ، دار الهدى،الجزائر،2007،ص 12.

[2]– الثكنات هي المؤسسات التي تأوي الجنود، فكل الثكنات أو "القشلة" باللغة العثمانية، كانت توجد في مدينة الجزائر فقط، أما في المدن الأخرى فهي عبارة عن أبراج تقيم بها الحاميات العسكرية، ولم يكن عدد الأجناد بها يتجاوز المئة جندي. وقد اختلفت المصادر التاريخية حول عدد ثكنات مدينة الجزائر، ففي حين قدرها هايدو في عصره بخمس ثكنات كبيرة وثكنتان صغيرتان، قدرها فونتير دو بارادي سنة 1788م مابين 7 و8 ثكنات. أما جون ديني فحددها بثماني ثكنات وذلك بالاعتماد على ما جاء في سجلات أجور الإنكشارية. وهي ثكنة "صليح باشا"، ثكنة "علي باشا"، ثكنة "دارالإنجشارية باب عزون"، ثكنة "إسكي أوده لر" أو الثكنة القديمة، ثكنة "يكي أوده لر" أو الثكنة الجديدة، ثكنة" أسته موسى أوده لرى" أو ثكنة دار أوسطة موسى، ثكنة"دارالإنجشارية مقرون"، ثكنة "يلي أوده لرى" أو ثكنة يالي. للمزيد حول الموضوع أنظر: – أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في التاريخ العسكري، مرجع سبق ذكره، ص ص 27–30.
– جميلة معاشي، مرجع سبق ذكره، ص ص 20–26.

–Jean,Deny, op.cit,p219-221.

[3]–الأوضة أو "الأودة" هي الغرفة، وبالتحديد غرفة النوم، وتدل على المأوى الذي يضم عادة أفراد الأسرة، ولكل "أودة" قدرها الخاص الذي يجب الحفاظ عليه. للمزيد أنظر:
جميلة معاشي، مرجع سبق ذكره، مرجع سبق ذكره، ص 8.

[4]– HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger", op.cit,p 394.

[5] –Shuval,TAL, op.cit,p 101.

[6]– مارسيل كولمب : مؤرخ وأستاذ جامعي فرنسي، أنجز دراسة حول المجندين في الحاميات الإنكشارية بالجزائر المعروفة با لأوجاق خلال السنوات الأخيرة من تاريخ إيالة الجزائرية، وذلك من خلال استغلال المعلومات الواردة في بعض الدفاتر المتعلقة بالجيش الإنكشاري التي لم تحظ بالعناية من سابقيه كدوفو(A.DEVOULX)، وقد تضمنت هذه الدفاتر إحصائيات ومعلومات عن المجندين الجدد في فرق الإنكشارية الوافدين على الجزائر خلال الفترة مابين 1801 و1829م. للمزيد حول الموضوع أنظر: ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره ، ص ص 11–55 وص ص 80–84 .

منهم خلال الفترة من 1801إلى 1809م حوالي 2264 مجند، ليرتفع هذا العدد إلى4115، ثم ينخفض إلـــــى 2145 فرد في الفترة مابين 1820-1829م[1].

من جهته قدر الضابط الفرنسي بوتان عدد أفراد الجيش الجزائري البري سنة 1808ب 15 ألف جندي[2]، وتجمع معظم المصادر الأجنبية على أن أغلبية هؤلاء المجندين والمتطوعين كانوا من البؤساء المنبوذين والمتشردين الذين التحقوا بالجزائر بحثا عن الثروة والحياة الكريمة بل والسلطة، فقد وصفهم هايدوا بقوله: "كانـــوا مـــن المتسولين واللصوص الذين قدموا إلى الجزائر من أجل كسب الثروة "[3].

أما الفارس دارفيو (D'Arvieux) فيخبرنا أن المليشيا كانت تتألف من "صعاليك و عصاه وهاربين من دفع الديون أو من جرائم ارتكبوها"[4]، وهو نفس الاستنتاج الذي خلص إليه المؤرخ حنيفي حنيفي هلايلي من خلال دراسته للوثائق العثمانية المتعلقة بعمليات التجنيد، والتي تعزز ما جاء في المصادر الأجنبية بخصوص الوضع الاجتماعي للمجندين، فهم بالفعل من الطبقات الدنيا الذين كانوا يجدون كل تشجيع من طرف السلطات المحلية من أجل إبعادهم ونفيهم إلى الجزائر[5].

كذلك لابد من الإشارة إلى أن نظام الانكشارية كان يضم فئة الأعلاج[6](les renégats)، التي التي تتكون من الأطفال المسيحيين الذين أسروا وبيعوا، بحيث كان هؤلاء يجدون من السهل عليهم التخلي عن دينهم[7]، وهناك البالغون المسيحيون الذين أسلموا بغرض الانضمام إلى الانكشارية وتحصيل وتحصيل امتيازاتها المادية والسياسية وهم الذين سماهم هايدو "أتراكا بالوظيفة "[8].

لقد تميز الجيش الانكشاري بميزات تفرد بها عن بقية جيوش العالم، فهو مكون أساسا من عناصر أجنبية لضمان انضباطه وفاعليته، في حين تشترط الدول خلو جيوشها من الأجانب لضمان

---

[1]– Marcel, colombe, Contribution à l'étude du recrutement de l'oudjaq d'Alger dans les derniers années de l'histoire la régence d'Alger, in RA N°87,1943,p180 .

[2]- أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في التاريخ العسكري، مرجع سبق ذكره، ص 64.

[3]- - HAEDO (FD) , Histoire des rois d'Alger ,op.cit,P238.

[4]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 161

[5]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص25.

[6]– الأعلاج : لقب كان يطلق على المسيحيين الذين يلحقون بفئة الأتراك العثمانيين بعد أن يعتنقوا الإسلام، وتعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا، خاصة المطلة منها على البحر المتوسط، وقد اتخذت هذه الفئة من الجزائر وطنا لهم لتحسين أوضاعهم المادية وتحقيق طموحاتهم. وفد الأعلاج على الجزائر بواسطة الشراء أو الغارات والغزو في الشواطئ الأوروبية وجزر البحر المتوسط أو عن طريق الهدايا. يقابل لقب علج مرادفتين هما: المرتد أو " Renégat " ويستعمل هذا اللفظ في المصادر والكتابات الأوروبية خاصة، والمهتدي أو" Converti" التي تستعمل في الكتابات العربية. للمزيد حول الموضوع راجع :

–Moulay belhamissi, marine et marinsd'alger1518-1830,Bib nationale d'Alger 1996,3T,T1,p116.

– أشرف صالح محمد السيد، المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر)أواخر العصر التركي، مجلة أمارباك الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الرابع، العدد السابع ، السنة 2013، ص 64 .

[7]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 163.

[8] – HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger", op.cit,p496.

ولاءها وإخلاصها. كما أن مهمة الانكشارية لم تقتصر على العمل العسكري بل تعدته إلى المهام السياسية والإدارية الشيء الذي حفز الكثيرين للانخراط فيه، فضلا عن تنظيمه الأسري الفريد حيث أن الجنود يعيشون حياة اجتماعية لا تختلف عن حياة الأسر ذات الروابط الدموية، أو هذا ما رمى إليه مؤسسوه[1]، بيد أن هذه المعطيات التي ميزت انكشارية الجزائر ستكون لها نتائج وعواقب ليست محمودة في أغلبها على العثمانيين في الجزائر والمجتمع الجزائري ككل بطبيعة الحال كما سيرد بيانه.

1- **البحـــرية الجـــزائريـــــة:**

شكلت البحرية الجزائرية في العهد العثماني الحلقة الأهم والأقوى في الجيش الجزائري النظامي، خاصة وأنه في بداياته كان يتشكل أساسا من رجال البحر الذين كانوا طليعة التدخل العثماني في الجزائر، ولعبوا دورا حاسما في خلق النيابات العثمانية في شمال إفريقيا[2]، وقد عرف رجال البحرية باسم طائفة الرياس أو رياس البحر، ولهذا يمكن القول أن النوة الأولى للجيش الجزائري كانت بحرية[3]، وقد كانت مصادر التجنيد في البحرية الجزائرية تتكون أساسا من الأعلاج، والعثمانيون القادمون أصلا من مناطق نفوذ الإمبراطورية العثمانية، وأخيرا السكان المحليون الذين كانوا يشكلون أقلية.

وقد ذكر وليام سبنسر أنه في بداية الأمر كان الأسطول الجزائري يتكون من بحارة عثمانيين إذ كانوا هم الأوائل الذين دخلوا الجزائر لينظم إليه في أواخر القرن السادس عشر الأندلسيون، والأهالي، والعناصر المسيحية الوافدة من مختلف الدول الأوروبية خاصة تلك المطلة على البحر المتوسط[4].

إن اهتمام الجزائر بالقوات البحرية كان نتيجة للأخطار الخارجية المحدقة خاصة من طرف إسبانيا والبرتغال خلال القرنين 16 و17 م. وهكذا ظهرت طائفة الرياس وتشكلت بسبب التطور الهائل الذي عرفته القرصنة [5]، حيث أصبحوا يشكلون قوة فاعلة على المستويين الخارجي من خلال صد الهجمات الأوروبية، وعلى المستوى الداخلي باعتبارهم المحرك الاقتصادي للإيالة ومصدر ثراء عاصمتها[6]، مما جعلهم طرفا أساسيا في كل القضايا المتعلقة بالسلطة[7].

---

[1]- جميلة معاشي، مرجع سبق ذكره، ص 6.
[2]- محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 89.
[3]- أرزقي شويتام، دراسات ووثائق، مرجع سبق ذكره، ص 41.
[4]- وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره، ص 61.
[5]- القرصنة : كلمة إيطالية الأصل (corso)، تطلق أساسا على عمليات الاعتداء التي تقع على السفن والبواخر في أعالي البحار، وهي مناطق في البحر لا تخضع لسلطة أي دولة ، تطور المصطلح وأصبح يطلق على نشاط الغزو البحري الذي تقوم به سفن خاصة لمصلحة دولة أو جهة ما في حالة حرب. وهي تحمل دلالات تختلف حسب خلفية من يستعمله. للمزيد راجع : Moulay Belhamissi, op.cit,pp 60-68

[6]-Boyer, P, « Des Pachas Triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey1571-1817 », in RH.N°244 , 1970, p101.

[7]- أرزقي شويتام ، دراسات ووثائق ، مرجع سبق ذكره ، ص43.

وعن موضوع النشاط البحري للبحرية الجزائرية والذي وصفه الكتاب الغربيون "بالقرصنة PIRATERIE"، فقد سلط الكثير من مؤرخيهم الضوء على قراصنة شمال إفريقيا ولاسيما الجزائر، ليس لأن قراصنة هذه الأخيرة كانوا أنشط وأبرع فحسب، بل لان نشاطهم كان موجه ضد السفن الأوروبية وسببوا الكثير من المتاعب لدول أوربة خاصة المطلة على البحر المتوسط ، ونقلوا معهم الكثير من الأسرى إلى موانئ شمال إفريقية، كما أن موضوع افتكاك الأسرى كان الشغل الشاغل لكثير من المؤسسات الدينية والسياسية.[1] أما عن سلاح الأسطول الجزائري وتعداده، فقد تأرجح بين القوة والضعف تبعا لطبيعة المرحلة ونتائج المعارك البحرية إذ نجد مثلا أنه في سنة 1571م وبعد معركة ليبانت" Lépante" كان تعداد الأسطول الجزائري ثلاث سفن وحوالي 30 بارجة بحرية مختلفة الأحجام، وحسب دوفولكس فقد ارتفعت هذه القوة سنة 1762م إلى 47 سفينة تحمل 58 مدفع، لتنخفض إلى 14 سفينة تحمل 320 مدفع سنة 1820م[2]. فيما يشير المؤرخ الأمريكي جون وولف اعتمادا على تقارير القناصل الأوروبيين في الإيالة إلى وجود أكثر من خمسمائة مدفع لدى الأسطول الجزائري سنة 1663م، أما في سنة 1717م فلم تعد الإيالة تملك سوى تسعة عشر سفينة في الخدمة[3] نتيجة حملة اللورد أكسمونت سنة 1816م[4]. وبطبيعة الحال فإن هذا الانخفاض الكبير مرجعه أساسا إلى الحملات والمعارك التي خاضها الأسطول وتكبد في بعضها خسائر فادحة[5].

لكن أهم ظاهرة عرفها الجيش الجزائري خلال العهد العثماني هي التنافس الذي نشب بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية حول المغانم والسلطة، فقد أثارت امتيازات الرياس الاقتصادية حسد الانكشارية، وما زاد هذا الشعور تأججا هو تدخل طائفة الرياس في المسائل السياسية واحتقارهم

---

[1]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره ، ص 89.

[2] – DEVOULX Albert :La marine de la Régence d'Alger, in RA ,N°13,1869,p391-418.

[3]– جون وولف، الجزائر وأروبا 1500–1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص 183–196.

4– ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 193.

[5]– عن هذه الخسائر نشير هنا خاصة إلى معركة ليبانطو أو ليبانت البحرية الشهيرة والتي وقعت في 07 أكتوبر 1571م بجنوب بلاد اليونان بين الحلف الأوروبي المسيحي و أساطيل الدولة العثمانية بما فيها الأسطول الجزائري، وذلك بدافع الانتقام من سيطرة العثمانيين على قبرص التي كانت تابعة للبندقية. تكبد الأسطول العثماني والجزائري في هذه المعركة خسائر فادحة، فقد أغرق الأوروبيون 94 سفينة من بينها 30 سفينة جزائرية واستولوا على 130 سفينة أخرى عليها نحو300 مدفع و30 ألف رجل ، ولم يسلم من بين 208 سفينة عثمانية سوى 92 فقط. هذا وتجدر الإشارة إلى عديد الحملات التي شنت على الجزائر أواخر العهد العثماني نذكر منها خاصة حملة الولايات المتحدة الأمريكية 1815م، الحملة الإنجليزية الهولندية 1816م، الحملة الإنجلزية الثانية 1824م، دون أن ننسى معركة نافرين البحرية سنة 1827 م التي شاركت فيها الجزائر بعشر سفن تحطم معظمها ولم تنج منها سوى اثنتان. للمزيد حول هذه المعارك والحملات أنظر: عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سبق ذكره ، ص 98.
أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص ص373–374.
وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص104 وما بعدها.

الجنود الانكشارية بوصفهم "ثيران الأناضول"[1]، وقد كان هذا التنافس على أشده في عهد البيلربايات الذين كانوا من رجال البحر ويعتمدون على رجال الطائفة ضد شغب الانكشارية، لكن هذه المنافسة بدأت تخف منذ عام 1568م[2]بعد أن أصدر حاكم الجزائر قرارا سمح بموجبه للانكشارية بالانضمام للبحرية والاستفادة من امتيازاتها[3].

يعتقد الكثير من المؤرخين أن حالة الصراع والتنافس بين طائفتي الرياس والانكشارية قد انعكست بشكل مباشر على الحياة السياسية في الجزائر وأثر على تتابع الأحداث وصيرورتها، حتى أن منهم من يرى أن كل ما عرفته إيالة الجزائر كان رهينة الصراع بين هاتين الطائفتين[4]، والذي يبدوأن هذا الموضوع يحتاج لمزيد بحث وتمحيص خاصة فيما يتصل بانعكاساته على طبيعة نظام الحكم السائد والحياة العامة للمجتمع الجزائري.

2- **<u>ألقـــاب الجنـــد ورتبـــهم</u>** :

يتدرج الجندي الانكشاري خلال حياته العسكرية عبر العديد من الرتب ابتداء من رتبة اليولداش أي الجندي البسيط ومعناه رفيق الدرب، وحسب دراسة تال شوفال فقد كان اليولداش يشكلون معظم عناصر الجيش العثماني النظامي[5]، كما كان عليهم في إيالة الجزائر أن يقضوا مدة ثلاث سنوات حاملين لقب "يني يولداش" أي الجندي الجديد[6]، قبل أن يترقوا في مختلف الرتب وصولا إلى أعلى رتبة وهي أغا الإنكشارية في قمة الهرم، مرورا بالرتب التالية:

- بعد ثلاث سنوات في رتبة يني يولداش يترقى الجندي إلى رتبة الأوضة باشي الذي يقود من 10إلى 15 جندي.
- رتبة الأوسطراق أو إسكي يولداش أي الجندي القديم.
- رتبة البولكباشي وهو قائد الكتيبة التي تتكون من عديد الجند.
- رتبة الباشا بولكباشي ويعرف كذلك باسم الكاهية وهو ينوب عن الأغا ويساعده وفي حالة عزل الأغاأووفاته يخلفه، هذا بالإضافة إلى العديد من الألقاب العسكرية التي ذكرها هايدو مثلا

---

[1]- شارل أندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص335.

[2]- محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص95.

[3]- HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p144.

المراد بالحاكم هنا هو البيلرباي محمد باشا بن صالح رايس الذي حكم خلال الفترة من 1567 إلى 1568م .

[4]- للمزيد حول الموضوع أنظر: محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 89-96.
ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص187 ومابعدها .

[5]-Shuval,TAL, op.cit,p 68.

[6]- جميلة معاشي، مرجع سبق ذكره، ص 27.

البادوشة، الصولاجية، ياباشي وكلها ألقاب للوظيفة العسكرية التي تؤهل لها الرتبة في الجيش[1] .

3- <u>مهـــــام الجيــش</u> :

عن مهام الجيش العثماني في الجزائر، فبالإضافة للمهام التقليدية المتمثلة في حماية البلاد من الأخطار الخارجية وضمان الاستقرار الداخلي، فقد كان للجيش دور اقتصادي هام تمثل في جمع الضرائب خاصة في المناطق الريفية عن طريق ما سمي بالمحلات[2]، التي كان على رأسها قائد يدعى أغا المحلة وقد كانت تشكل محلات توجه لضمان تحصيل الضرائب في بيالك الشرق، الغرب والتيطري[3].

كما كانت المحلات تخرج من مدينة الجزائر استثنائيا للقضاء على التمردات القبلية التي يعجز البايات عن إخمادها، حيث يلتزم هذا الأخير بتقديم مكافأة لجنود المحلة شهريا.

بالإضافة للمحلات فقد أنشأ العثمانيون ما سمي بالنوبات أو الحاميات في المدن الرئيسة، وهي مكلفة بضمان أمن المدينة أو الموقع المكلفة بحراسته، لكل نوبة قائد يعرف باسم أغا النوبة، يغير جنود النوبة كل سنة، وكل جندي انكشاري يعمل سنة في مدينة الجزائر وسنة أخرى خارجها ليستريح في السنة الثالثة وهي عطلة مؤقتة يبقى خلالها في الثكنة بمدينة الجزائر، حيث يستمر في تسلم راتبه وطعامه إن كان زبنطوطا (أعزب) كما يمكن استدعائه في الحالات الاستثنائية[4]، وقد ذكر هايدو أن عدد الحاميات في الجزائر كان16 حامية، وقدر عدد جنودها خلال القرن 16م بين 3500و4000 جندي[5]،أما وليام شالر فذهب إلى أن هذا العدد تراوح بين 1500و4000 جندي في بدايات القرن 19م[6]، في حين بلغ عددهم3661 رجل سنة 1829م حسب دوفولكس[7].

أما على المستوى الخارجي فقد كان للجيش دور فعال في مساندة الدولة العثمانية في حروبها كمعركة ليبانت أو ليبانطو(Lépante)سنة 1571م، وفي صد الحملات التونسية والمغربية شرقا

---

[1] –HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger", op.cit, pp 503-508.

[2]– المحلة : جمعها محلات وهي الفرق العسكرية التي كانت تنطلق من مراكز البايليكات بقصد إستخلاص الضرائب ، ومعاقبة الممتنعين عن أداء المطالب المخزنية، وحفظ الأمن وتأديب العصاة، وتتشكل هذه المحلات من القوة التركية المقيمة بمراكز البايلكيات، ومن فرسان المخزن، بالإضافة إلى قوة عسكرية تركية يبعث بها آغا العرب من مدينة الجزائر ويقوم البايات بتقديم المؤونة لها. وللمحلة أهداف أخرى عدى تلك المتعلقة بالجباية فقد تأخذ شكل حملة عسكرية واسعة النطاق بقصد توسيع نفوذ البايلكيات وإخضاع المناطق النائية. ويبدوا أن مصطلح "المحلة" قد يستعمل كذلك بغرض الإشارة إلى الحملة العسكرية بشكل مطلق دون أن يكون الغرض منها الجباية فقط، كما ورد في كتاب غزوات عروج وخير الدين. للمزيد أنظر: – كتاب غزوات عروج وخير الدين، مصدر سبق ذكره، ص 46.
– سعيدوني ناصر الدين، المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 36 وما بعدها.

[3]– DEVOULX ,(A) :Tachrifat,op.cit,p29.

[4]- FEDERMANN, Henri et AUCAPITAINE,L Baron , Notes sur L'histoire et L'administration du Beylik de Titri , in RAN°11,1867,p299.

[5]- HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger", op.cit,p510.

[6]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 77.

[7]–DEVOULX ,(A) :Tachrifat,op.cit,p35.

وغربا كحملة سلطان سجلماسة على الجزائر سنة 1648، والتي تم صدها الجيش عن طريق تجهيز حملة نحو الغرب إنتهت بإبرام معاهدة صداقة وصلح سنة 1654م[1]، فضلا عن دوره في إنقاذ مسلمي الأندلس. بل إن خير الدين كان يأمل في استرجاع الأندلس وإنقاذ المورسكيين من سياسة الاحتواء الثقافي والديني التي مارستها محاكم ودواوين التفتيش، فكان الأسطول الجزائري يحمل أعضاء من الجيش الانكشاري ممن يملكون الخبرة ليكونوا عونا للمورسكيين[2].

لقد كانت الصبغة العسكرية هي الغالبة على الوجود العثماني في الجزائر نظرا لطبيعة الدولة أساسا، وانعكس هذا الوضع على تسيير البلاد من خلال تدخل الجيش في كل مناحي الحياة وعدم التزامه بصلاحياته الأساسية، مما أضعف دوره العسكري. وتجمع أغلب الدراسات المهتمة بتاريخ الانكشارية أن هذه الأخيرة كانت مصدر ضرر وفوضى وتمردات في جميع المناطق التي تواجدت فيها، وكما ساهمت في بناء مجد الإمبراطورية في البداية فقد تسببت في انحطاطها في النهاية[3]. ضف إلى هذا ضعف التسليح وعدم اهتمام العثمانيين بتطوير أسلحتهم وأسطولهم البحري على غرار ما كان عليه حال الدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر، وقد كان لهذا الضعف في التسلح نتائج وخيمة على الجزائر ظهرت جليا خلال الحملة الفرنسية سنة 1830م والتي لم يصمد أمامها الجيش الجزائري النظامي طويلا.

- **ثالثـــا/ السياسة الاقتصادية والمالية في الجزائر خلال العهد العثماني :**

انعكس الاهتمام الكبير للعثمانيين بالجوانب العسكرية والسياسية سلبا على الجانب الاقتصادي، ويتجلى ذلك من خلال عدم اهتمام الحكام الأتراك بتطوير البنية التحتية لإيالة الجزائر، فمثلا بالرغم من اهتمام العثمانيين بالبحر لا نجد للدولة أثرا في إنشاء الموانئ الصالحة للتجارة، وكان ميناء الجزائر هو الميناء الوحيد الصالح للتجارة في حين كانت باقي الموانئ مهملة، وقد بدأ اهتمام الحكومة بميناء الجزائر منذ أيام خير الدين، ولكن الاهتمام لم يكن بقصد التجارة بل لإيجاد مرسى آمن لسفن القرصنة، كما لم تتدخل الدولة لتحسين وسائل الزراعة البدائية، ولم تسهم في الوقاية من الأضرار الطبيعية ، أو الآفات الزراعية التي كانت تتعرض لها البلاد بصورة مستمرة[4].

ومن خلال دراسة التاريخ الاقتصادي للجزائر العثمانية تبرز حقيقة مفادها أنه لم يكن للعثمانيين سياسة اقتصادية واضحة المعالم من شأنها أن تنهض بالبلاد، ولا أدل على ذلك من أن

---

[1]– صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 126. انظر كذلك عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 140–141.

[2]– عبد الجليل ، التميمي، " الدولة العثمانية وقضية المورسكيين"، م.ت.م، العدد 23–24، تونس، نوفمبر 1981م، ص ص 195–198.

[3]– WEISSMANN,N, op.cit.p2.

[4]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 99.

سياستهم المالية ارتكزت أساسا على الضرائب، بحيث تحولت السياسة الضريبية إلى عامل مؤثر ليس فقط في الحياة الاقتصادية، بل وفي طبيعة العلاقة بين الحكام والسكان[1]، فلم يكن الولاة بصفتهم المسؤولين الأولين عن مالية الدولة يولون أهمية فقط لاستخلاص مداخيل ضريبية كافية لموازنة النفقات، بل كانوا يحرصون أيما حرص على تحصيل أكبر فائض ممكن يحتفظون به لأنفسهم، و شيئا فشيئا تزايدت أطماعهم حتى أصبحوا يثقلون كاهل الأهالي بالضرائب[2]، ولذلك كان من بين النقد الذي وجهه القنصل الأمريكي في الجزائر وليام شالر لنظام الحكم العثماني هو تجاهله لقواعد الاقتصاد السياسي، وما يقتضيه من موازنة الدخل والخرج (الإيرادات والنفقات)، ومن قيام النظام الجبائي على أسس معقولة من العدل والإنصاف[3] .

وقد تعددت الموارد المالية للإيالة ، وإن كانت في مجملها عبارة عن ضرائب ورسوم[4] يمكن تقسيمها كما يلي :

– إيرادات ومداخيل ثابتة: وهي التي تحصل بشكل دوري، أي مرة واحدة في السنة مثلا، وتكون قيمتها ثابتة أيضا، وكانت هاته الموارد تأتي من مصادر متعددة منها الضرائب على الزراعة والتي تختلف حسب نوعية ملكية الأراضي والمحاصيل والمساحة، فأصحاب الملكيات الخاصة يدفعون ضريبة العشور والزكاة، بينما يدفع الفلاحون الذين يستغلون أراضي البايلك رسوم الحكور، أما أصحاب أراضي العرش فكانوا يدفعون ضريبة الغرامة واللزمة والمعونة[5]، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الضرائب أهمها ضيفة الدنوش أو ضيفة الباي وضريبة الفرح وخيل الرعية[6].

---

[1]– للمزيد حول موضوع السياسة الاقتصادية والمالية في الجزائر خلال العهد العثماني، راجع الدراسة القيمة للمؤرخ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، الموسومة ب" النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1800–1830 ". وكذلك الدراسة القيمة للمؤرخ الدكتور محمد العربي الزبيري، الموسومة ب " التجارة الخارجية للشرق الجزائري".

[2]– أمين محرز ، الجزائر في عهد الأغوات 1659–1671، دار البصائر،الجزائر،2011،ص 50.

[3]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 16

[4]– الفرق بين الضريبة والرسم هو أن الضريبة تكون بدون مقابل مادي لأنها في فلسفتها تعبير عن واجب من واجبات المواطنة والانتماء، أما الرسم فهو ما يدفع مقابل تلقي خدمة معينة كرسوم النقل والطوابع البريدية مثلا.

[5]-JULIEN,CH.A, Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et la débuts de la colonisation1827-1871,P.U.F ,Paris,1964,p14.

[6]– سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ص 95–99.

الدنوش : لفظ محلي معناه المحاسبة على الضرائب وهي ضريبة يدفعها البايات للخزينة العامة بمدينة الجزائر، وتدفع غالبا كل ستة شهور، يطلق عليها أهالي التيطري غرامة الصيف وغرامة الشتاء. تسلم الدنوش في مواعيد محددة وحسب طرق متعارف عليها، فإذا تكفل الباي بتقديمها شخصيا مرة كل ثلاث سنوات عرفت بالدنوش الكبرى، وإذا قام خليفة الباي بتبليغها في فصلي الربيع والخريف أطلق عليهل لفظ الدنوش الصغرى أو العوائد. وكان موسو الدنوش مناسبة احتفالية كبيرة تدوم أسبوعا كاملا. وقبل ذلك يتوقف وفد الدنوش في عين الربط على مشارف العاصمة ثم الدخول وفق مراسيم . أما اللزمة فهي ضريبة عينية أو نقدية تدفعها قبائل الرعية الخاضعة، بينما المعونة تطلب من كل القبائل الداخلة تحت نفوذ القياد أو المتعاملة معهم وهي كذلك ضريبة عينية. أما ضريبة الفرح أو البشارة فهي رمز الفرح بتولية الباي أو إقراره من جديد أو بمناسبة الأحداث السعيدة و تدفع سنويا، فيما ضريبة خيل الرعية تلتزم بها

كانت السياسة الضريبية مرتبطة بنوعية الأراضي، ولهذا فقد عرفت الأراضي في الجزائر العثمانية عدة أوضاع من حيث الملكية، منها الملكية الخاصة، ملكية الدولة أو البايلك، ملكية الأوقاف و ملكية العرش، وبسبب انخفاض مداخيل البلاد فقد لجأت الدولة إلى الرفع من قيمة الضرائب المفروضة على الفلاحين ما أدى إلى ارتفاع رسوم الحكور[1].

نذكر أيضا من المداخيل الثابتة ضرائب الملكيات الخاصة متمثلة خاصة في العشور (أي دفع عشر المحاصيل الزراعية) والزكاة، ومنها فوائد ورسوم أراضي البايلك المستغلة عن طريق نظام الخماسة (أي استغلال الأرض مقابل دفع خمس الإنتاج)، أو كراء الأرض الزراعية مقابل منافع عينية تسلم للجباة. ومنها الرسوم المفروضة على أصحاب النقابات المهنية والدكاكين التجارية[2]، وحقوق كراء الشموع والجلود والأصواف والزيوت ومكوس الأسواق والضرائب المقررة على الشركات الأجنبية، ورسوم الجمارك، ورسوم رسو السفن في الموانئ الجزائرية[3]. كما كانت هناك ضرائب مفروضة على اليهود والنصارى يتكفل بدفعها أمين كل جماعة نيابة عن أفراد طائفته حيث يذكر الأب دان في هذا الصدد أن جزية اليهود السنوية تعادل ستة ألاف قطعة ذهبية[4].

– إيرادات ومداخيل غير ثابتة: من أنواع المداخيل غير الثابتة يذكر فونتيردوبارادي عائدات بيت المال التي كانت تحصل عليها الدولة من الأملاك العقارية التابعة لها، وكذلك من ممتلكات وودائع الأموات أو المفقودين الذين ليس لهم ورثة شرعيين[5]، ومنها كذلك الإتاوات المقررة على الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية مقابل ضمان حرية الحركة والملاحة في البحر المتوسط،

قبائل الرعية بالناحية الغربية بالخصوص، وهي عبارة عن مساهمة من طرف هذه القبائل تشمل عدد من الخيل . للمزيد حول الموضوع راجع : مذكرات الحاج أحمد الزهار، مصدر سبق ذكره، ص ص 35–52 .
سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي ، ص ص 95–99.

[1]- VAYSSETTES,E, Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517-1837,Présentation O.S Tengous.éd.Bouchene,Paris2002,p116.

– أراضي العرش: هي الأراضي التي تحوز فيها القبيلة أو العشيرة الإقليم بشكل جماعي، وهذا النوع من الأراضي لا يسمح بقيام ملكيات خاصة، وتنتشر في السهول العليا وفي الصحراء. أما أراضي الملك فهي الأراضي ذات الملكية الخاصة وقد أخذ هذا النوع من الأراضي في التوسع مع أواخر الوجود العثماني في الجزائر، عندما أخذت الدولة تتخلى عن بعض أراضيها لقادة المخزن وفرسانه. أما أراضي البايلك فهي الأراضي التي أصبحت ملكا للدولة بطرق مختلفة مثل المصادرة و امتلاك ما لا وارث له وتقع أغلبها بالقرب من المدن. أما أراضي الوقف فهي أراضي تابعة للمؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا أو الحرمين الشريفيين، كان يتولى أمرها وكيل الأوقاف تحت إشراف الناظر. للمزيد حول الموضوع أنظر صالح عباد، مرجع سبق ذكره ، ص ص 377–380. وكذلك:
JULIEN,CH.A, op, cit p5-14.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، مرجع سبق ذكره، ص ص88 –106.

[3]– LAUGER DE TASSY, Histoire du Royaume d'Alger, Henri du Souzet,Amsterdam1725,p300.

[4]-DAN,(P).Histoire de la barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoly, Seconde, éd P.Rocdet,Paris1637,p83.

[5]- Venture (De Paradis), op, cit p183.

بالإضافة إلى الهدايا التي يدفعها القناصل عند تعيينهم[1]، ومن بين موارد الخزينة غير القارة نجد كذلك الغنائم البحرية وفدية الأسرى المسيحيين ومختلف الغنائم الأخرى.

يضاف إلى هذه العوائد، ما تدفعه الجماعات الحرفية في المدن وكذلك الطوائف مثل طوائف اليهود والنصارى وبني ميزاب، في مدينة الجزائر، وما تدفعه الدكاكين والحانات التي كان أصحابها ملزمين شهريا بدفع اثنين دوروإسباني أي حوالي ثلاثين فرنكا عن دكانه وبوجو واحد، أي حوالي ستة فرنكات عن كل برميل خمر يبيعه مع كراء شهري إذا كانت الحانة ملكا للدولة، مع العلم أن الحرفيين ملزمون بالعمل المجاني (السخرة) في المشاريع الكبرى التي تقررها السلطة، خاصة المشاريع المتعلقة بالمسائل العسكرية[2].

ونظرا لعدم وجود عملة موحدة للتعامل داخل إيالة الجزائر، حيث كانت المعاملات المالية تتم بمختلف أنواع العملات الأجنبية بالإضافة إلى العملة المحلية، فإن هذا المعطى يصعب عملية التقدير والإحصاء الرقمي للمبلغ الإجمالي لمداخيل خزينة الإيالة، ولذلك نجد اختلافا بين المصادر التي تناولت هذا الموضوع، فمثلا نجد أن شالر قدرها سنة 1822ب 434800 دولار، وحسب نفس المصدر فإن خزينة الإيالة سجلت عجزا في نفس السنة قدره424,200 دولار أمريكي[3]، بينما قدر دوطاسي مداخيل الإيالة سنة 1825م ب 641400 بياستر[4].أما في المصادر المحلية فلم أعثر على معلومات بهذا الخصوص على الأقل فيما تيسر لي جمعه.

بالنسبة للنفقات فبالرغم من تعدد أوجه الإنفاق التي كانت تتحملها خزينة الإيالة، إلا أنها لم تتعدى من حيث الشكل العام أو التخصص، بنود متقاربة تمثلت أساسا في رواتب الجند والموظفين، فضلا عن نفقات بيت المال والمتمثلة في تسيير الأملاك العائدة لليتامى والغائبين وضمان حصة الدولة من التركات حسب الأحكام الشرعية .

كما عرفت الإيالة نفقات أخرى كهدايا الحرمين الشريفين، والهدايا المتبادلة بين الجزائر وإسطنبول، ونفقات المرافق العامة والتي كانت مخصصاتها لا تكلف الخزينة كثيرا إذا ما قورنت ببقية النفقات الأخرى، وتشمل جميع المنشأة العمرانية والاقتصادية والدينية، ولعل من أهم المرافق التي كان يعنى بها كثيرا هي المرافق الدفاعية كالحصون والأبراج خاصة مع توالي الحروب والثورات الداخلية[5]، وقد جاء في الثغر الجماني أن الدفاع عن وهران استلزم شراء الآت القتال من بارود

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ج1، ص 114.

[2]– صالح عباد ، مرجع سبق ذكره، ص ص 348–349.

[3]-وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص ص 60–61.

[4] –LAUGER DE TASSY,op cit,P301.

[5]– سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ص 139–163.

ورصاص وإقامة المدافع والمهارس (المتاريس)التي كان يدفع لمن يقوم عليها يوميا عشرين درهما شرعيا للصغار و ما بين المائة إلى الأربعين للكبار[1].

ونظرا لأهمية و دور الخزينة في الحياة الاقتصادية والمالية للإيالة فإن أغلب الموظفين كانت تتصل أعمالهم من قريب أو بعيد بنشاط الخزينة [2]، وإن كان المتصرف الأول والفعلي في الخزينة هو الداي ويليه الخزناجي، أما الداي فسلطته تتمثل في ضمان وجود المداخيل والمصادر المالية وضمان دفع أجور الجند والموظفين، أما الخزناجي فهو صاحب الخزينة وحارسها المكلف بإيداع الإيرادات المالية فيها وعادة يكون هذا الموظف تركيا، ويوجد نفس المنصب على مستوى البايلكات، وقد يباشر الباي بنفسه هذه الوظيفة فيخرج للوطن يستخلص الخراج من الأموال[3] .

وقد تحدث تيدينا في مذكراته عن نفوذ وصلاحيات الخز ناجي فقال" يمكنه أن يعمل الشر والخير للعديد من الناس لأن بواسطته تمنح المهن"، وعن أجرة الخز ناجي يقول أنه كان يتقاضى 10 سكات كل شهر من الباي، بالإضافة إلى مايمنحه له الأشخاص المعينون في المناصب ويبلغ من ثلاثة إلى أربعة الالاف ليرة في السنة وقد يزيد[4]، كما يخلف الخزناجي الداي في حالة غيابه أو مرضه وغالبا ما يختار لهذا المنصب على أساس ثقة الداي في شخصه[5]، ونظرا لأهمية منصب الخزناجي فقد فقد كان الداي وأعضاء الديوان هم من يرشحون صاحب هذا المنصب، بحيث يراعى في شخصه الأمانة والإخلاص بغض النظر عن الكفاءة المهنية، وقد أطلق عليه فونتيردوبارادي لقب الوزير الأول[6]، أما تيدينا فيعتبره كبير البلاد بعد الداي، يخضع لأوامره البايات ويتقربون إليه ويمكنه أن يعمل يعمل الخير والشر للناس لأن بواسطته تمنح المهن[7].

أما عن العملات التي تداولت في الإيالة فهي عديدة كما كانت تختلف بعض الشيء من منطقة لأخرى، منها العملات الأوروبية والعثمانية وعملات تونس والمغرب ،كالسلطاني والمحبوب العثماني، والسلطاني المغربي والمثقال والموزونة المغربية والدرهم الناصري والفلس أو الإسبر القفصي التونسي[8]، وتعود أسباب إنشار العملات الأجنبية في الجزائر إلى عوامل كثيرة، منها تعامل الجزائر مع الشركات الأجنبية ومداخيل الإتاوة من بلدان أوروبا وأمريكا، وفدية الأسرى وغنائم البحر وما

---

[1]– أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص296.

[2]- DEVOULX ,(A) ,Tachrifat ,op.cit, pp 20-23.

[3]– محمد بن الصالح العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص 55

[4]– عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني "مذكرات تيدينا نموذجا"، دار الهدى، الجزائر،2003، ص ص 63-64.

[5]– عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962،ج2، دارالمعرفة، الجزائر،2009، ص111.

[6]– VENTURE (De Paradis), op.cit.p115.

[7]– عميراوي احميدة، مصدر سبق ذكره، ص ص 58-63.

[8] –HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger", in R.AN°15,1871,pp93-96.

كانت تخلفه الحملات الأوروبية وراءها[1]، كما استعملت النقود الأجنبية لضرب النقود المحلية حيث يشير دوبارادي إلى أنه يستخرج من البياستر الإسباني الواحد(1بياستر= 36 موزونة)42 قطعة[2]. ولعل في تنوع العملات المتداولة دلالة على أن النقود التي ضربها الأتراك العثمانيون لم تتمكن من فرض نفسها في السوق، وقد كانت العملات المحلية وحتى سنة 1817 متضرب بدار النقود أو دار السكة التي كان موقعها قريبا من قصر الداي في الجنينة، قبل أن ينقلها الداي علي خوجة إلى حصن القصبة مع الخزينة العامة، كما كان الصناع اليهود هم الذين يضربون العملة تحت المراقبة الشديدة لأمين السكة التركي، ويذكر هايدو أن اليهود كانوا يغشون عند صناعة هذه النقود[3].

هذا وقد تأثرت السياسة الضريبية بتراجع الموارد الاقتصادية، خاصة عوائد الغنائم البحرية التي بدأت بالتراجع منذ القرن الثمن عشر، فبعد أن كانت تشكل العشر1/10العشر من دخل الخزينة العمومية حسب الأب دان[4]، ارتفعت هذه النسبة إلى الخمس1/5 حسب ما يورده حمدان خوجة سواء بالنسبة للجزائريين أو غيرهم[5].

وقد أدى تراجع هذه المداخيل إلى زيادة قيمة الضرائب خاصة على النشاط الفلاحي، قصد تعويض الخسائر، لكن هذا الإجراء أثر سلبا على نشاط المزارعين الذين وتحت الضغط الضريبي أصبحوا يتخلون عن أراضيهم الزراعية لينسحبوا إلى الجبال والصحاري فارين من جباة الضرائب[6]، وهذا الوضع أثر بدوره على الحياة العامة للمجتمع، بحيث أدى إلى انتشار الفقر في أراضي كانت من أغنى وأخصب الأراضي فأصبحت مهجورة وجرداء[7].

كانت أخصب الأراضي ملكا لأفراد الطائفة التركية وجماعة الكراغلة والحضر الموسورين كحمدان خوجة الذي كتب عن نفسه يقول " إنني أحد المالكين في المتيجة، وأزرع سنويا في هذا السهل ولحسابي الخاص، حوالي مائة وستين حمولة جمل من القمح، وحوالي مائة أو مائتين وعشرين من الشعير[8]، وقد عبر صالح العنتري القسنطيني في كتابه "سنين القحط والمسغبة" عن وضعية الفلاحة في في أواخر العهد العثماني فقال: "لا تجد في ذلك الزمان ولافي الذي قبله وبعده من يهتم بأمر الزراعة أبدا، ومن أجل بخس قيمته كانت أمور الحراثة زمن الترك ضعيفة لم تتعلق بها أعراض الناس[9].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ص194–196.

[2]- VENTURE (De Paradis), op.cit.P 113.

[3]- HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale d'Alger,R.A,N°15,op.cit p91.

[4]- DAN,(P).OP.cit.p83.

[5]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره ، ص 71.

[6]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره ، ص 59 .

[7]– مولاي بالحميسي، سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أعمال الملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب ،ج1 د.م.ج، الجزائر،1983، ص 209 .

[8]– حمدان خوجة ، مصدر سبق ذكره،ص 49

[9]– محمد الصالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سبق ذكره، ص 35.

وهكذا فإن غياب سياسة أو استراتيجية اقتصادية واضحة المعالم انسحب على الواقع الاقتصادي مباشرة، والذي سجل تراجعا في جميع قطاعاته، فظل القطاع الفلاحي بجميع إمكانياته الطبيعية والبشرية بدائيا من حيث الوسائل ضعيفا من حيث النمو والإنتاج رغم خصوبة المناخ، وإن كانت الكوارث الطبيعية[1]التي تعرضت لها البلاد خاصة في الفترة الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر، قد أسهمت في تراجع الزراعة كما ونوعا وتقلص المساحات المزروعة.

أما الصناعة فلم يولها العثمانيون كبير عناية، عدى صناعة السفن للأغراض الحربية، فيما يرجع الفضل في المحافظة على بعض الصناعات المحلية إلى تلك الأسر الحضرية والأندلسية وكذا اليهود والذين اختصوا بصناعة الجواهر والأحجار الكريمة، وفي وقت الذي شهدت فيه أوروبا ثورة ونهضة صناعية[2]، كان الطابع التقليدي هو السمة الغالبة على الصناعة الجزائرية، ولعل مرجع ذلك في تقديري للعوامل التالية :

– عدم وفرة المواد الأولية وارتفاع أسعارها متأثرة بتراجع القطاع الفلاحي والزراعي باعتباره يشكل مادتها الأساسية.

– السياسة الضريبية التي أثقلت كاهل الصناع والحرفيين، وأدت إلى ما يسمى حديثا بظاهرة " الضريبة تقتل الضريبة "[3]، والتي تجسدت في شكل تهرب ضريبي أو ثورات وتمردات.

– المنافسة الأجنبية جراء سياسة الاستيراد والاحتكار التي انتهجتها الدولة، والتي اقتصر دورها على الإجراءات الإدارية والتنظيمات الجمركية[4]، مما أدى إلى خراب التجارة الجزائرية وقضى على الزراعة قضاء مبرما[1].

---

[1]– عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية العديد من الكوارث الطبيعية التي أثرت على الحياة العامة للسكان، نذكر منها الزلازل التي ضربت كل من وهران سنة 1790م، عنابة1815م، مدينة الجزائر1818م، فضلا عن موجات الجفاف والجراد التي كانت تجتاح البلاد كما حدث سنة 1814م، والتي أدت إلى انتشار المجاعة خاصة المجاعة المروعة التي عرفتها الجزائر عام 1815م، هذا بالإضافة إلى الأمراض خاصة مرض الطاعون كوباء الطاعون الذي ظهر مع نهاية شهر جوان(19جوان1817) وشملت عدواه جميع بلدان المغرب من طرابلس إلى طنجة، واستمرت وطأته حتى سنة 1822م للمزيد حول الموضوع راجع :
فلة القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الإحتلال الفرنسي1518–1871، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2003–2004،ص ص 90–93. وكذلك :
الحاج أحمد شريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[2]– الثورة الصناعية : يقصد بها أساسا استبدال وإحلالا اليد العاملة بالماكنات و الآلات (المكننة)، وهي نتيجة للنهضة العلمية التي عرفتها أوروبا بداية من القرن الثامن عشر، فقد بدأت مظاهر التقدم الصناعي تظهر قبل الثورة الصناعية خاصة خلال الفترة من 1750م إلى 1850م، كانت بريطانيا أسبق دول أوروبا جميعا في ميدان الصناعة، من مظاهرها قيام نظام المصانع، تركز السكان في المدن، نمو التجارة الخارجية وكبر حجم المشروعات فضلا عن=
=الزيادة الواسعة في الإنتاج الصناعي. للمزيد حول الموضوع أنظر: فليح حسن خلف، النظم الاقتصادية، عالم الكتب الحديث ، عمان الأردن، ط1،2008، ص 88 وما بعدها..

[3]-نظرية" الضريبة تقتل الضريبة" تنبه إلى أن الزيادة المفرطة في الضرائب من طرف الدولة، قد تجعل المكلفين بدفعها يبتكرون وسائل للتهرب من دفع الضرائب المستحقة عليهم، وبالتالي على الدولة وضع سياسة ضريبة مدروسة تشجع على دفع الضرائب بدل التهرب .

[4]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 240.

أما بالنسبة للقطاع التجاري فقد عرف هو الأخر ركودا بسبب إهمال العثمانيين للعلاقات التجارية مع إفريقيا والدول الأوروبية، وذلك بسبب سيطرة القرصنة(النشاط البحري)على الحياة الاقتصادية في الأيالة، مما جعل الجزائر أقل بلدان المغرب حظا في ميدان التجارة العالمية حسب وليام شالر[2].

وحسب الدراسات فقد كان الاحتكار الحكومي العائق الأساسي أمام النشاط التجاري، إذ كان الديوان الحكومي أكبر تاجر في الإيالة، فله الحق وحده في بيع الحبوب، وهو الذي يسعرها، ويمنع بيع المنتوجات للشركات الأجنبية إلا بفوائد تتراوح ما بين 50%إلى 60%[3].

مع بداية القرن التاسع عشر استولى اليهود على مقاليد التجارة الخارجية والداخلية بموافقة الدايات، الذين أدت تصرفاتهم إلى الحيلولة دون تشكل برجوازية جزائرية وعوضوها بالتجار الأجانب خاصة من التجار اليهود والفرنسيين[4]، وقد كان اليهود وحدهم يشكلون ملة غير إسلامية معترف بها في الدولة العثمانية، وكانت معرفتهم فوق العادة بقضايا العملة، فخلال عهد الدايات كان اليهود يستعملون للتعامل في كثير من الأعمال التجارية للدولة، وللقيام بالمفاوضات مع التجار الأوروبيين وهو ما يتطلب معرفة باللغات والمعاملات التجارية للبحر الأبيض المتوسط، والتي كنت تفوق إمكانيات حكام الجزائر[5]، وهكذا فإن اليهود قد ارتبطوا بالعثمانيين من أجل مصالحهم وجمعوا في تلك الظروف أموالا طائلة[6].

ولعل من إيجابيات السياسة الاقتصادية للعثمانيين الاهتمام بنظام الأوقاف من خلال تشجيع هذه العملية، الأمر الذي انعكس إيجابا على مختلف أوجه الحياة وأسهم في الإنفاق على الكثير من المشاريع الخيرية، فضلا عن قيام العديد من المؤسسات والهيئات الوقفية ذات الطابع الديني والشخصية القانونية والوضع الإداري المستقل[7]والتي تعدى دورها وتأثيرها حدود الإيالة.

➢ رابعا/ الأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني:

1- البنية الاجتماعية والديموغرافية:

---

[1]- وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 98.
[2]- المصدر نفسه، ص 103.
[3]- عبد القادر حليمي، مرجع سبق ذكره، ص 301 .
[4]- EMERIT, Marcel,. La situation économique de la régence d'Alger en 1830, in information historique, N° Mars-Avril, 1952,p169.
[5]- وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره،ص 84.
[6]- حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 120.
[7]- فارس مسدور، كمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ والحاضر والمستقبل، مجلة أوقاف، مجلة علمية نصف سنوية تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف، دولة الكويت، العدد15، ص86.

خلال العهد العثماني تشابهت البنيات الاجتماعية في الجزائر عبر مختلف المناطق بحيث إن الأسرة كانت هي الخلية الأساسية في البنيان الاجتماعي تليها الدشرة أو العرش في بعض الجهات والتي تشمل عدد من الكوانين[1] يتراوح ما بين العشرة والثلاثين. والتي تخضع في شؤونها الخارجية لأكثر أبنائها مالاً وجاهاً وحكمة و كثيرا ما لا تتوفر هذه الصفات إلا في أكبرهم سناً.

وكانت الأعراش تجتمع فيما بينها فتكون القبيلة التي تعتبر وحدة سياسية اقتصادية واجتماعية تسير تسييرا جماعيا، لأن الأعيان هم الذين يختارون القائد ويقررون معه في جميع المسائل الخطيرة، وفي بعض الأحيان تتحالف القبائل فيما بينها فتكون ما يسمى بالصف وهو قوة عسكرية ضاربة، وهاته الصفوف تابعة للنظام المركزي، تلجأ إليه في جميع القضايا التي تصعب عليها تسويتها، كما أنها تدفع ما يترتب عليها من رسوم قانونية، وإن كانت تتمرد من حين لأخر شانها في ذلك شأن سائر الجماعات البشرية في كامل أنحاء المعمورة.

وعلى هذا الأساس فإن المجتمع لم يكن مجتمعا طبقيا على شاكلة ما كان في أوربا ذلك الحين، وغاية ما هنالك أن بعض القبائل تحظى بأنواع من الامتيازات الإدارية كالإعفاء من الضرائب بالنسبة لقبائل المخزن، والاحترام والتبجيل بالنسبة للقبائل التي تشمل على أسر شريفة، ولكن هذه الامتيازات لم تكن أبدية ، كما ان القبائل التي تتمتع بها قبائل منتجة كغيرها تعيش من عرق جبينها[2]. من جهة أخرى يرى بعض المؤرخين أن العثمانيين حاولوا دعم نوع من النظام الإقطاعي تجلى في الفارق الكبير بين مجتمع المدينة والريف، وأدى إلى أن أصبح الريف يحتل أخر القائمة الاجتماعية[3].

وبمراجعة الكتابات الأجنبية حول هذا الموضوع نجد أن معظم الأجانب الذين كتبوا حول المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، قد قسموه إلى عدة أقسام مركزين في ذلك على عنصر العرق، فحسب بوتان تتكون بنية المجتمع الجزائري من سبعة عناصر هي الأتراك، الكراغلة، العرب، البربر، الأندلسيون، اليهود والزنوج[4] .

---

[1]– الكانون أو الموقد كان وحدة قياس أو إحصاء لعدد السكان خلال العهد العثماني، وتقدر أغلب الكتابات التاريخية الموقد الواحد ما بين 04 إلى05 أفراد. وهو تقدير لمتوسط عدد أفراد العائلة الواحدة.

[2]– محمد العربي الزبيري، مرجع سبق ذكره، ص ص، 45، 46.

[3]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 157.

[4]–Boutin, reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, publie par .G. esquer, lib .Ancienne honore Champion, Paris,1927,p 73.

أما وليام شالر فقال عن سكان مدينة الجزائر أنهم عبارة عن خليط من العرب والبربر وبقايا الأجناس التي غزت البلاد عبر العصور، والمهاجرين من الأندلس والأتراك[1].

وعلى الرغم من أن هذه التقسيمات تبناها معظم الكتاب والمؤرخين إلا أننا نجد في المقابل شهادات لكتاب أجانب تصف المجتمع الجزائري بالانسجام والترابط، كما ذهب إليه وليام سبنسر في قوله:- "...إن الطابع الرئيس لهذه المجموعات كان هو الانسجام الاجتماعي. وتحت حكم الأوجاق فقد بلغت البلاد درجة عالية من الترابط الاجتماعي."[2].

في حين لا يسلم بعض المؤرخين الجزائريين بمثل هذا التقسيم العرفي، كالمؤرخ محمد العربي الزبيري الذي يرى أن مجتمع الجزائر العثمانية كان يتكون من حضر وبدو فقط . فالحضر هم سكان المدن الذين يعيشون من صناعاتهم التقليدية ومن الوظيف العمومي ، والبدو هم الرحل الذين في حياتهم على تربية الماشية، أوالريفيون الذين يعيشون من منتوج الأرض. وقد كان البدو في الجزائر يشكلون حوالي 90% من السكان[3]، ويلاحظ أن سكان المدن في الشرق الجزائري لا يمثلون سوى 3%، بينما ترتفع هذه النسبة كلما تقدمنا نحو الغرب حيث تكثر المدن، فقد كان البدو هم الأساس في ثروة البلاد كما يؤكد ذلك حمدان خوجة [4].

وعليه يمكن تقسيم مجتمع الجزائر خلال العهد العثماني إلى قسمين كبيرين، بحيث أن كل قسم انصهرت فيه مجموعة من الأعراق التي سبقت الإشارة إليها ليشكل الجميع ما سماه وليام سبنسر بترابط المجتمع الجزائري، بحيث أن الحضور العثماني قد أدى إلى تزويد هذا التركيب الاجتماعي بلحمة هامة للامتزاج الثقافي الموجود من قبل[5] :

- القسم الأول يتشكل من سكان المدن الذين كانوا يمارسون المهن المختلفة والتجارة وبعض الوظائف الإدارية، وقد عرفت بعض المدن الجزائرية كقسنطينة والجزائر وتلمسان ومستغانم وندرومة وشرشال في العهد العثماني، تطورا ملحوظا شمل مختلف القطاعات الاقتصادية، خاصة بعد أن هاجر إليها المسلمون واليهود من الأندلس، إذ ادخلوا معهم صناعات جديدة ساعدت على تطوير الصناعات

[1] – وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص54.
[2] – وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره،ص81.
[3] – محمد العربي الزبيري، مرجع سبق ذكره، ص ص 46-47.
[4]-YVER, Georges, Les Mémoires de Si Hamden Khodja, in R.A,N°57,1913,p122.
[5] – وليام سبنسر،المرجع نفسه، ص81.

المحية التقليدية، كما عرف القطاع الزراعي انتعاشا كبيرا بحيث حول هذا الواقع المدن الى مراكز للاستقطاب السكان يؤمها الأهالي الباحثين على العمل[1].

– القسم الثاني هم سكان الأرياف والذين يشكلون الأغلبية ويتوزعون في المناطق الجبلية والسهلية والصحراوية ، ويعتمدون في حياتهم على زراعة الأشجار المثمرة، بينما سكان السهول يمارسون زراعة الحبوب وتربية الحيوانات، أما سكان الصحراء فمنهم من يمارس زراعة النخيل في الواحات ومنهم من يتولى تربية المواشي. وبالإضافة الى النشاط الزراعي والرعوي كان الريفيون يمارسون التجارة والصناعة التقليدية خاصة صناعة النسيج[2].

أما بالنسبة لديموغرافية مجتمع الجزائر العثمانية فإن القاسم المشترك بين جميع الكتابات التي عالجت هذا الموضوع هو إجماعها علـــى الاختلاف الكبير فيما يتعلق بإحصاء عدد سكان إيالة الجزائر، ومرجع هذا الاختلاف هو بلا شك قلة الإحصائيات في تلك الفترة ، وربما عدم الاهتمام بها أصلا. فالعثمانيون لم يهتموا بتدوين سجلات خاصة بالحالات الديمغرافية، نظرا لعدم وجود تقاليد في هذا المجال تتعلق بالإحصاء السكاني، وجل ما نجده هو مجموعة أرقام متضاربة دونها كتاب أوروبيون في أغلبهم وتفتقر إلى الدقة والعلمية.

وفي هذا الصدد ذهب القنصل الفرنسي في الجزائر فالييه جون أنطوان(Valliere, J.A) إلى أن عدد سكان الجزائر قليل إذا ما قارناه بمساحتها الواسعة، وأنه من الممكن معرفة أولئك المقيمين في المدن، وتساءل" كيف يمكن تعداد أولئك القاطنين في الأرياف، والجبال والرحل؟ "[3].

ولعل هذا التساؤل يطرح بحدة عند محاولة ضبط الوضع الديمغرافي لكل سكان الأيالة، ذلك أنه إذا كانت الإحصائيات المتعلقة بعدد السكان في المدن الرئيسة والحواضر تقترب من الحقيقة فإن مثيلتها على مستوى المناطق الداخلية والبعيدة يغلب عيها التخمين وعدم الدقة ، مما ينعكس سلبا على الإحصاء العام للسكان. ولذلك فإن معظم الأرقام والإحصائيات المتعلقة بتعداد ديمغرافيا الجزائر العثمانية تعود لأشخاص سمحت لهم الظروف أن يقيموا في الجزائر أو يزوروها كالرحالة والتجار والقناصل والأسرى[4]، إلا أن رواياتهم وشهاداتهم تنقصها الدقة لعدة أسباب منها: أن أصحاب هذه

[1]- Venture (De Paradis), OP.cit.P 119.

[2] – أرزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر ، مرجع سبق ذكره، ص 82.

[3]–Valliere, Jean Antoine, Mémoire sur la forme du gouvernement d'Alger et sur les mœurs et facultés qui habitent le royaume, pub, parlocien chailou sous le titre Alger1781,IPC,France1979,p19.

[4] – حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر ، مرجع سبق ذكره، ص162.

الإحصائيات اكتفوا فقط بإحصاء السكان المقيمين بالمدن دون أن يأخذوا بعين الاعتبار سكان المناطق الريفية والصحراوية، ولعدم وجود بيانات إدارية يعتمدون عليها[1].

على هذا الأساس جاءت إحصائيات الكتاب الأوربيين المحليين بخصوص ديموغرافيا سكان الجزائر العثمانية متضاربة، ففي حين ذهب وليام شالر إلى أن مجموع السكان لم يتجاوز مليون نسمة[2] قدرهم حمدان خوجة في نهاية القرن الثامن عشر بحوالي عشرة ملايين نسمة[3]. لكن معظم المؤرخين يحصرون عدد السكان بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، منهم بوتان، ومن المتأخرين شارل أندري جوليان، آجرون" Ageron" وقاليسوت" Gallissot"[4].

ولعل هذا التقدير يجد قبولا عند معظم الدارسين بالنظر للمعطيات البيئية والصحية العامة التي عرفتها الجزائر يجد أنها مقبولة إلى حد ما. خاصة وأن هذه الإحصائيات تأتي بعد موجة الأوبئة والكوارث الطبيعية التي اجتاحت الإيالة مثل المجاعات والجراد ومختلف الأمراض[5].

هذا وقد عرف سكان الجزائر ارتفاعا ملحوظا خلال القرن 16م و17م، مرجعه زيادة أعداد الوافدين من مسلمي ويهود الأندلس، وأيضا قدوم عدد معتبر من العثمانيين من مختلف الولايات العثمانية[6]. كما أن ارتفاع نشاط القرصنة في نفس الفترة أدى إلى زيادة أعداد الأسرى المسيحيين. فمثلا أسر الجيش الجزائري 12 ألف إسباني بعد معركة برية جرت في مستغانم بتاريخ 26 جويلية 1558م[7]، ويقدر هايدو عدد الأسرى المسيحيين خلال فترة تواجده (أسره) بالجزائرب25 الف أسير[8]،

---

[1] – أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 83.

[2] – وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 22 .

[3] – حمدان خوجة، مصدرسبق ذكره، ص 13.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[5] – للمزيد حول موضوع الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني راجع: فلة القشاعي، مرجع سبق ذكره، ص ص 49–114.

[6]-GRAMAY, Jean-Baptiste, Journal de JB, Gramay , évêque d'Afrique, trad du latin et annoté par Abed El Hadi Hadi Ben Mansour sous le titre, Alger XVI-XVII siécle,cerf,Paris,1998 ,p99.

[7] - MORGAN,(J) ,Histoire des états barbaresques qui exercent la paritaire ,trad. de l'anglais par m. Boyer de Prebaudie,T2,Paris,1731,p9.

جرت هذه المعركة تحت قيادة حسن باشا بن خير الدين، قضى فيها على الجيوش الإسبانية المقيمة بمازغران قرب مستغانم، وانضم إليه يومئذ جنود تلمسان فأحاطوا بالإسبان وأوقدوا النيران في مخازن البارود التي انفجرت وأدت إلى سقوط أسوار المدينة وموت العديد من الجنود الإسبان على رأسهم الجنرال "الكونت الكوديط" وأسر 12ألف أخرين وفيها احتل الأتراك نواحي مزغران. للمزيد حول الموضوع راجع عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سبق ذكره، ص 92.

أسير[1]، ولاشك أن هذا العدد كان له تأثير مباشر على ديمغرافيا ساكنة الجزائر اجتماعيا واقتصاديا في ذلك الوقت وإن كانت المعلومات غير دقيقة بهذا الخصوص .

لكن وبداية من منتصف القرن 18م بدأ تعداد سكان إيالة الجزائر في التراجع لأسباب عديدة تحكمت في ديمغرافيا البلد منها خاصة العوامل الطبيعية التي أدت إلى انكماش وتناقص عدد السكان والمتمثلة في الأوبئة والأمراض[2]، فضلا تراجع عدد الأسرى والمهاجرين الأندلسيين، والصراعات والفتن الداخلية التي أدت إلى حروب قضى فيها العديد من الخلق، وزاد الطين بلة الاحتلال الفرنسي الذي دفع بكثير من سكان الجزائر إلى الهجرة. وعلى هذا الأساس جاءت أغلب الإحصائيات التي قدرت سكان المدن الجزائرية سنة 1830 كالتالي:

قسنطينة20.000 نسمة، تلمسان15.000نسمة، وهران 10.000نسمة، البليدة 10.000 نسمة، المدية8.000 نسمة، معسكر6.000 نسمة، مستغانم4.000 نسمة، عنابة4.000 نسمة، القليعة 3.500نسمة، شرشال3.000 نسمة، مازونة 2.600 نسمة، جيجل 2.000نسمة، بجاية 500 نسمة، فيما قدر عدد سكان مدينة الجزائر ب25ألف نسمة فقط [3]. لكن وفي كل الحالات كانت نسبة الجزائريين مرتفعة مقارنة بالعثمانيين الوافدين وهذا ما نستنتجه من شهادة "لوجيي دو تاسي" الذي أقام في الجزائر لفترة قصيرة خلال سنة 1718م وكان على اتصال مباشر بواقع مدينة الجزائر[4]، حيث تعجب من سيطرة الأتراك على البلاد مع أن نسبتهم العددية مقارنة بالجزائريين هي 200 جزائري مقابل تركي واحد[5]، ورغم أن هذه النسبة هي بالتأكيد غير دقيقة إلا أنها مؤشر على التراجع الكبير في في عدد العثمانيين بالجزائر خلال تلك الفترة.

2-<u>التنظيـــم الاجتماعي:</u>

كما سبقت الإشارة إليه فإن تنظيم المجتمع الجزائري في العهد العثماني، لم يكن تنظيما طبقيا على شاكلة ما عرفته أوروبا خلال العصور الوسطى، وإن كانت هناك مجموعات وفئات اجتماعية

---

[1]- HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale, op.cit, p490.

[2] – للمزيد حول الأمراض والأوبئة التي أصابت المناطق الداخلية خاصة الشرقية منها راجع، محمد الصالح بن العنتري، سنين القحط والمسغبة، مصدر سبق ذكره.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 92.
ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 42.

[4]–DENISE Brahimi, Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux XVII et XVIIIe siècle, société nationale d'édition et de diffusion,Alger,1978,p121

[5]-LAUGER DE TASSY,op cit,P78.

حظيت بامتيازات أدت إلى تقسيم المجتمع إلى فئات اجتماعية متباينة، حسب خصوصية ووظيفة ومكان إقامة كل فئة اجتماعية.

وفيما قسم بوتان سكان الجزائر إلى سبع مجموعات عرقية تتألف من الأتراك، الكراغلة، العرب، البربر، الأندلسيون، اليهود، السودانيون[1] . اتجه جل المؤرخين إلى التقسيم على أساس الحضر والبدو، أو سكان المدن وسكان الريف.

2-1/**سكـــــان المدن**:

اتخذ التنظيم الاجتماعي لسكان المدن في العهد العثماني شكلا هرميا ، احتلت قمته الطائفة التركية التي لم يتجاوز عددها حسب المعلومات المتوفرة عشرين ألف نسمة، والتي كانت منعزلة عن بقية السكان رغبة في المحافظة على السلطة وصيانة تقاليدها في نظام الحياة. فالتركي فخور بعمله العسكري متمسك بلغته الأصلية لا يميل إلى استعمار الأرض، يقنع بالعيش من مرتبه الإداري أو من مدخول تجارته، وحتى يحافظ الأتراك على وضعهم الاجتماعي كانوا يستقدمون بين فترة وأخرى جماعات من أتراك الأناضول للعمل في فرق الاوجاق[2]، ويمكن تقسيم فئة الأتراك العثمانيين كما تقدم معنا إلى فئتين أساسيتين هما أتراك أصليين[3]، وأوروبيين أسلموا أو من يسمون بالأعلاج ومجموعهم يشكل العثمانيين.

أما المجموعة السكانية الثانية من حيث الترتيب في السلم الاجتماعي فهي جماعة الكراغلة المولدون في الجزائر موضوع بحثنا، ولدى سنفصل حولها فيما يرد.

بالنسبة لباقي سكان المدن فيمكن تصنيفهم حسب أوضاعهم الاجتماعية إلى ثلاث طبقات ، طبقة الحضر وطبقة البراني وطبقة الدخلاء.

تتكون طبقة الحضر أو البلدية من العائلات المقيمة في المدن، ومن مهاجري الأندلس الذين أجبروا على مغادرة إسبانيا، وقد تكاثر عددهم وآلفوا فئة مستقلة كانت ذات فعالية اجتماعية واقتصادية، كما تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، مما جعلهم يشكلون طبقة اجتماعية ميسورة، يشتغل

---

[1]- Boutin ,op.cit,p73.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[3] – يدخل تحت هذا التقسيم كل الذين انضووا تحت الراية العثمانية كسكان الأناضول والروملي والبلقان وبقية الأقاليم العربية والصقالبة وغيرهم. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص133.

أفرادها في المهن الصناعية ويتولون وظائف الإفتاء والقضاء والكتابة، ومن أهم العناصر التي كانت تتشكل منها طبقة الحضر، الجالية الأندلسية وجماعة الأشراف[1]. ويمثل الحضر أكبر مجموعة سكانية من حيث الأهمية العددية، إذ قدرهم هايدو سنة 1580 بألفين وخمسمائة موقد أي حوالي 12.500نسمة[2]، وهو ما يقارب خمس السكان. وكانت هذه المجموعة تشكل بوتقة انصهار بالنسبة لبقية العناصر التي كانت من جيل لأخر "تتبلد"، فأبناء الكراغلة مثلا كانوا يعدون من البلدية، ولا يرثون امتيازات آبائهم. وهذا ما جعل نسبة البلدية ترتفع مع مرور الوقت، حتى صاروا يشكلون أواخر العهد العثماني أغلبية السكان[3].

أما الطبقة الثانية فهي البرانية، وتتكون هذه الفئة السكانية من العناصر التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان نتيجة لانتشار ظاهرة النزوح الريفي بحثا عن العمل والرزق واصطلح على تسميتها بالبرانية[4]، وعكس طبقة الحضر بقية فئة البرانية تنتسب إلى موطنها الأصلي الذي قدمت منه، كانوا يشتغلون في مهن متواضعة بحيث تختص كل جماعة بمهنة تشتهر بها، فالأغواطيون اشتهروا بالتنظيف، البساكرة بحمل الأثقال والحراسة، القبائل بأعمال البناء، المزابيون في مطاحن الحبوب والحمامات والزنوج (الوصفان) بخدمة المنازل[5].

أما الفئة الثالثة من سكان المدن فهي طبقة الدخلاء، وسميت كذلك لتميزها عن مجموع سكان البلاد لأسباب دينية وحضارية ، وتضم اليهود والأسرى المسيحيين والمسيحيين الأحرار، وقد كان اليهود يشكلون العنصر الأهم بين الدخلاء وتعود أصولهم إلى اليهود المحليين الذين استقروا بالبلاد الجزائرية في الفترة السابقة للإسلام أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد، بالإضافة إلى يهود الأندلس "السافرديم" الذين قدموا مع مسلمي الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى[6]، هذا وتجدر الإشارة إلى أن عدد كبير من اليهود سيطروا على التجارة في الجزائر[7].

أما عدد الأسرى فلم يكن مستقراً، وحسب هايدو وصل عددهم في القرن 16 الميلادي إلى خمسة وعشرون ألف أسير[8]، وإلى هذا المعنى ذهب لوجي دي تاسي بدوره حيث عبر عن الأعداد

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص97.

[2]- HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale,op.cit,pp366-371.

[3]– أمين محرز، مرجع سبق ذكره، ص ص 149–150.

[4]- HAEDO(FD),Ibid,p491.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص ص 99–102.

[6]– ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص102.

[7]-LAUGER DE TASSY,op cit,p85.

[8]-HAEDO(FD),"Topographie et Histoire générale,op.cit,p490.

الكبيرة للأسرى في الجزائر بقوله أنهم يستطيعون الاستيلاء على المدن الجزائرية[1]. أما أهم المدن الجزائرية في أواخر العهد العثماني فهي الجزائر، قسنطينة، وهران، تلمسان، عنابة، معسكر، مازونة، البليدة، بسكرة، مستغانم، بجاية، تقرت، عين ماضي وورقلة ...الخ، وكانت تقطن هذه المدن طوائف عديدة تختلف من مدينة لأخرى، وقد تركز وجود الأتراك في المدن الكبرى خاصة مدينة الجزائر، فيما توزعت بقية الطوائف على مختلف المدن.

2-2 / سكان الريـــــف :

كان سكان الريف خلال العهد العثماني في الجزائر يشكلون الأغلبية الساحقة من المجتمع حيث قدرت نسبتهم ما بين 90 و95%[2] من مجموع السكان، وقد توزعوا بين المناطق الجبلية والسهلية والصحراوية، كما ظل الريف الجزائري إبان الفترة العثمانية يكتنفه الاهمال سواء من حيث التنمية أو من حيث الدراسة، إذ أن معظم الدراسات عن الفترة العثمانية اهتمت بالمدن الكبرى وقليلة هي الدراسات التي عنيت بالحياة الاجتماعية في الريف وتفاصيلها.

وقد كان سكان الريف ينقسمون إلى عنصرين أساسيين هما العرب والأمازيغ ، والذين كانوا يعيشون وفقا لتنظيماتهم الموروثة التي طبعها الإسلام، مما كان يوحد بينهم دينيا، كما كانت كل مجموعة قائمة على أساس لغوي أو قبلي خاضعة لزعامتها الروحية من مرابطين أو الدنيوية ممثلة في الأجواد[3]، وقد ذكر حمدان خوجة في معرض حديثه عن سكان الريف الذين سماهم بالبدو فقال أنهم: " ينقسمون إلى طبقتين، أو على الأصح إلى فئتين من السكان ، فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون ، أصلهم من المشرق وينحدرون من قبائل عربية، أما الذين يسكنون الجبال أو الأماكن الوعرة، فهم البربر الذين تختلف لغتهم عن لغة العرب"[4].

وإذا أردنا تقسيم سكان الأرياف حسب معيار المكانة الاجتماعية وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة ، فإننا نجد أن هناك أربع فئات هي فئة قبائل المخزن الموالية للسلطة الحاكمة والمتعاونة معها، وهي نوعان الفلاحية والمحاربة، وكان دورها يتمثل في جمع الضرائب المقررة على الأهالي ومساعدة الجيش في إخماد حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل، وفي المقابل كانت قبائل

[1]- LAUGER DE TASSY,op cit,p86.
[2]- JULIEN, CH.A, op cit,p7.
[3]- LUCETTE, Valensi ,Le Maghreb avant la prise d'Alger1790-1830,Flamanion,Paris,2002,p39.

[4] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 53.

المخزن تتمتع ببعض الامتيازات كإعفائها من دفع الضرائب عدى الضرائب التي أقرها الإسلام كالزكاة والعشور[1].

أما الفئة الثالثة فتتكون من القبائل المتحالفة مع السلطة العثمانية، وكانت تمثلها الأسر الإقطاعية الكبيرة، كأسرة المقراني بمجانة[2] وبن حبيلس وبن قانة وبوعكاز بالزيبان وغيرها، بحيث كانت المجموعات السكانية المتحالفة تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم[3] .

الفئة الرابعة كانت تتكون من القبائل القاطنة في المناطق الجبلية والصحراوية، وقد سمح لها موقعها الجغرافي بأن تعيش شبه مستقلة عن السلطة الحاكمة، وأخيرا فئة القبائل المقيمة في أراضي الدولة والتي تعرف بقبائل الرعية، فهي خاضعة خضوعا تاما للدولة[4]. وقد قدر لويس رين العدد الإجمالي للقبائل التي كانت موجودة في الجزائر سنة 1830 م بخمسمائة وستة عشر(516) جماعة، والتي تمثل أربع قبائل هي قبائل المخزن المحاربة والفلاحية، وقبائل الرعية والقبائل المتحالفة أو المتعاونة ، والقبائل المستقلة أو الممتنعة[5].

من جهة أخرى فقد تميزت فئة الأتراك في الجزائر بالرغبة في العزلة والتعالي على بقية فئات المجتمع الأخرى، مما خلق حالة من التنافر والعدائية بين الأتراك وبقية السكان ، حتى أنه لم يكن يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوأ من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر كما يقول هايدو[6].

وقد كانت مدينة الجزائر في العهد العثماني مدينة دولية ، وسكانها كانوا من مختلف الأجناس، بالإضافة إلى أهلها الأصليين، وكان فيها أيضا مختلف الأديان واللغات، وكانت مفتوحة للتيارات الخارجية، ويصنف بعض الكتاب الفرنسيين المهتمين بالتجمعات السكانية العائلات الجزائرية خلال

---

[1] – أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 82. للمزيد حول الموضوع راجع:
RINN(L), op cit,p 126.

[2] – مجانة: تقع شمال ولاية برج بوعريريج على بعد11كلم، تحتل موقعا استراتيجيا يربط بين المناطق الجبلية شمالا وسهول مجانة إلى الجنوب، ونظرا لموقعها فقد عمرت منذ القديم حيث يذكر الشيخ مبارك الميلي عن إبن خلدون أن مدن مجانة و ماجاورها إزدهرت في عهد الأغالبة نظرا لإمكانياتها الفلاحية. اتخذها المقرانييون عاصمة لهم بعد= =قلعة بني عباس، وخلال العد العثماني عمرت علاقة المنطقة بفترات سلم وتعاون وفترات حرب. كما اشتهرت مجانة بمقاومة المقرانيين للاحتلال الفرنسي سنة 1871م. للمزيد حول تاريخ مجانة وبني عباس راجع :
مزيان وشن، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي،الجزائر،2007.
مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج1، مرجع سبق ذكره، ص 218.

[3] – ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص108.

[4]-JULIEN,CHA, op cit,p4

[5]- RIN(L), op. cit, pp 129-134.

[6]- HAEDO(FD), Histoire des rois d'Alger,op.cit,p219.

الفترة العثمانية ضمن العائلات ذات الطابع الثيوقراطي[1]المعتمدة في سلطاتها على النفوذ الروحي وتسود في النواحي الغربية للجزائر، بالإضافة إلى العائلات الأرستقراطية التي تستمد نفوذها من قوة السيف وتتركز في الشرق الجزائري وجنوب التيطري، بينما الحياة الديمقراطية القبلية تكاد تنحصر في المناطق الجبلية الحصينة بشمال وشرق الجزائر الوسطى[2].

على أنه من الجدير الإشارة إلى أن سكان الريف كانوا هم الأغلبية الساحقة كما تقدمت الإشارة إليه، وقد اكتسب الاقتصاد الجزائري بفضل مارسته للفلاحة وتربية المواشي طابعا فلاحيا رعويا كان من العمق والشمول بحيث أصبحت معه الحياة الحضارية (رغم تأثيرها الملموس في بعض أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي للبلاد) هامشية منغلقة على نفسها داخل أسوار المدن، لا يربطها بالأرياف وساكنيها سوى رابطة المصلحة المتبادلة، فالريف كان يقدم منتوجاته مقابل اقتناء الأدوات المصنوعة محليا أو المستوردة من أوروبا عن طريق المدن الساحلية[3].

3- القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني:

حتى تكتمل الصورة بالنسبة للأوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني، أعتقد أنه لابد من التعريج على دور السلطة القضائية في الحياة الاجتماعية بحكم ارتباطهما الوثيق والمباشر وتأثير القضاء في المجتمع، وعليه فقد كان للقاضي دور مهم في الجزائر العثمانية، وإذا كانت وظيفة القاضي دينية في الأساس إلا أن صلاحياته امتدت إلى مختلف مجالات الحياة فهو لا يعاقب المخلين بالقانون فحسب، بل يفصل في الخلافات وينظر في الاحتجاجات.

كان الداي هو مصدر السلطة السياسية والقضائية، وبإمكانه تفويض هذه السلطات إلى البايات والقضاة، لكن إذا كانت الأحكام التي يصدرها القضاة لاتحظى بموافقة الداي في مدينة الجزائر أو الباي في مقاطعته، فإنه يكون بإمكان القائد السياسي أن يسحب هذا التفويض من القاضي أو الباي[4]. كما

---

[1] – الثيوقراطية تعني الحكم بمقتضى التفويض الإلهي للحاكمين، مما يضفي عليهم صفة العصمة والقداسة، وبالتالي لا يجوز لأحد من الرعية أن يخالفه أو يراجعه في حكمه. كما تطلق هذه التسمية على الحكومات ذات الطابع الديني ،تتكون من كلمتين هم "ثيو" وتعني الدين، و"قراط" وتعني الحكم، وعليه فالثيوقراطية هي نظام حكم يستخدم فيه الحاكم شرعية إلاهية، كانت الطبقة الحاكمة في الأنظمة الثيوقراطية تتكون من رجال الدين والكهنة الموجهين من قبل السماء. وقد أطلق اليونانيون قديما هذه التسمية على الحكومات القائمة عند اليهود نظرا لعدم وجود مثل هذا النوع من الحكم في عندهم ، ومع حلول عصر التنوير في أوروبا بدأت الثيوقراطية تأخذ دلالات سلبية بشكل كبير. والمراد هنا العائلات المرابطية ذات النفوذ الروحي على مستوى القبيلة . للمزيد راجع:
حاتم بن حسن الديب، ماذا تعرف عن هذه المصطلحات، ط1، مؤسسة الصحابة للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية،2011، ص 30.

[2]–CARETT et WARNIER ,Description et Division de l'Algérie ,Paris,Hachette,1847,pp17-19.

[3]-LUCETTE, Valensi , ,op.cit,p49.

[4] – عمار بوحوش ، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997،ص 70.

تميزت السلطة القضائية لإيالة الجزائر بالازدواجية إذ منذ ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية أصبح المذهب الرسمي هو المذهب الحنفي باعتباره مذهب الطبقة الحاكمة، بالإضافة إلى المذهب المالكي الذي هو مذهب السكان الأصليين، وقد كانت هذه السلطة تعتمد على الشريعة الإسلامية، ويمثلها لدى الداي مفتي وقاض لكل من المذهب الحنفي والمالكي، على أن تكون الرئاسة الدينية والقضائية للمفتي الحنفي أو المفتي الأكبر الذي يرشحه الباب العالي[1]. وكان المجلس الشريف هو السلطة القضائية العليا التي تفصل في جميع الدعوى والقضايا إذا عجز القاضي عن ذلك[2] أي بمثابة محكمة عليا.

كما تميزت السلطة القضائية بالأخذ بعين الاعتبار الامتيازات الاجتماعية عند تطبيق أحكامها، فالأتراك يعاقبون سرا في دار آغا الانكشارية، بينما الحضر والنصارى واليهود يشهر به البراح ويذكر جرائمه، وفي حالة الحكم بالإعدام يعقلون عند باب عزون حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر[3]، وحسب حمدان خوجة فإن رئيس السلطة القضائية يعين من القضاة الاحناف لأن الباب العالي حنفي المذهب، ومن صلاحيات هذه السلطة النظر في القضايا الإجرامية والتأديبية والجنائية والمدنية والحكومية، وتنظر كذلك في الخلافات التي تقع بين رئيس الدولة وأي شخص آخر. وهذه المحاكم مستقلة عن السلطان، وحكمها لا رجعة فيه[4]. أما فيما يتعلق بالقضايا الخاصة بالعسكريين فقد كان يتم الفصل فيها في محكمة خاصة بهم لأن عناصر الجيش لا يحاكمون أبدا بواسطة القوانين المدنية ولا أمام عامة الشعب. ونشير إلى أن أجهزة السلطة القضائية قد تركزت في المدن ومناطق تواجد الأتراك، أما في الأرياف فكانت السلطة القضائية تسند للشيوخ والمرابطين وأهل الحل والعقد فيها.

في الأخير ومن خلال ما تقدم نخلص إلى أن الجزائر شهدت خلال القرن السادس عشر للميلاد تحولات سياسية كبيرة أدت بدورها إلى تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية هامة. فعلى الصعيد السياسي أصبحت الجزائر تابعة للدولة العثمانية، وحتى نهاية الوجود العثماني عرفت ايالة الجزائر أنواعا من أنظمة الحكم، كما قسمت البلاد إداريا إلى أربعة مقاطعات، فضلا عن التطور الحاصل في الميدان العسكري بفضل القوة الجديدة. فقد كان المظهر العسكري الجهادي هو الظاهرة المميزة للوجود العثماني في الجزائر، ويمكن القول أن قدوم العثمانيين إلى الجزائر كان إيجابيا في العهود الأولى، إذ تمكنوا من رد الأطماع الخارجية خاصة الإسبانية منها.

كما عرف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني عدة تغيرات مست مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ففي الجانب الاقتصادي خضعت البلاد لسياسة اقتصادية كانت في اتجاهها العام سلبية، مما أثر على البنية التحتية ومستوى معيشة السكان. أما اجتماعيا فقد عرفت الجزائر تغيرات على مستوى البنية الديمغرافية، وذلك بفعل الهجرات الأندلسية، وزيادة أعداد الأسرى

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 50.

[2]- Venture (De Paradis), op.cit. p 25.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع نفسه ،ص ص 50–51.

[4] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 72. نستنتج من كلام حمدان خوجة أن نظام الحكم العثماني في الجزائر عرف نوع من الاستقلالية أو الفصل بين السلطات ، في حين هناك العديد من الباحثين يرى أن نظام الحكم العثماني لم يكن على هاته الشاكلة. أنظر عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص ص 70–72.

الأوروبيين نتيجة أعمال النشاط البحري التي كانت سائدة أنداك، وبعد عدة أجيال من الوجود العثماني ظهرت فئة جديدة من المولدين العثمانيين من أمهات جزائريات، لتصبح مكونا مهما من مكونات المجتمع ، وسنحاول من خلال الفصل الموالي الوقوف على خلفيات ومألات ظهور هذه الفئة.

الفصـــل الأول

التشكيل التاريخي لفئة الكراغلة المولدون في الجزائر العثمانية

- أولا : خلفيات وأبعاد علاقات المصاهرة بين العثمانيين وسكان إيالة الجزائر
- ثانيا: فئة الكــراغلة، المصطلــح والمفهــوم
- ثالثا: التوزيع الجغرافي للكراغلة وعددهم في إيالة الجزائر
- رابعا: مكانة ودور الكراغلة في التركيب الاجتماعي لإيالة لجزائر
- خامسا:مكانة ودور الكراغلة في الحياة الاقتصادية لإيالة الجزائر
- سادسا: مساهمات الكراغلة في الحياة الثقافية والعلمية لإيالة الجزائر

نحاول من خلال هذا الفصل دراسة أهم الأفكار والجوانب المرتبطة بظهور فئة الكراغلة في ايالة الجزائر، خاصة ما يتعلق بفهم خلفيات المصاهرة التي حدثت بين العثمانيين الوافدين وسكان الجزائر، ذلك أن هذه القضية تشكل أحد المفاتيح الرئيسة لفهم المسألة الكرغلية في الجزائر والأحداث المرتبطة بها، ولذلك لابد من التأكيد على أنه لايمكن فهم هذه الخلفية، إلا من خلال مجموعة محددات من شأنها أن تضبط الأفكار ذات الصلة بالموضوع وتقاطعاتها.

كما سنحاول الوقوف عند أهم مظاهر التاثير والتأثر المرتبطة بالكراغلة والتي مست مختلف جوانب الحياة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية.

➢ أولا / خلفيات وأبعاد علاقات المصاهرة بين العثمانيين وسكان أيالة الجزائر :

سبقت الإشارة إلى أن العثمانيين دخلوا الجزائر واستقروا فيها بطلب من أهلها درءا للخطر الخارجي، وباسم العقيدة الإسلامية والولاء للسلطان دخل الجزائريون أيضا في الرابطة العثمانية[1]. إن هاته الخلفية السياسية والدينية من شأنها أن تسهم في نشوء علاقات مصاهرة قوية رغبة من الطرفين في تحقيق مصالحهما المشتركة، الإستقرار للوافدين[2]والإحتماء ورعاية المصالح للمحليين، وقد ذكر دو بارادي أن الأسر المغربية كانت تسعى للإرتباط بالإنكشاري عن طريق المصاهرة ليكون حاميا لها في حين كان اليولداش يسعى للزواج من الفتاة الجزائرية الغنية لتنتشله من فقره.[3]كما ذكرهايدوا أن من عادات سكان الجزائر المسارعة لتزويج بناتهم متى أصبحن بالغات حتى أنهم يعمدون إلى إبرام تعهد بتزويجهن إلى الأبناء الصغار وهن صغيرات[4] .

كان مما ترتب على إنضمام الجزائر للسلطنة العثمانية أن إلتحق بها عدد كبيرمن المجندين والمتطوعين الذين شكلوا أساس أوجاق جزائر الغرب[5]. كما كان الإنكشارية في الدولة العثمانية يربون بطريقة خاصة تجعل فقط للسلطان والدولة، وبالرجوع إلى فلسفة وطريقة إنشاء الجيش الإنكشاري والغاية منه، نجد أن الزواج كان أحد الممنوعات على منتسبي هذا الجيش حتى يكون الولاء خالصا

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 134.

[2]– إتبع العثمانيون عدة سياسات في إطار السعي لبسط نفوذهم وإستقرارهم بالجزائر، وتأتي سياسة مصاهرة الأعيان والأسر الكبيرة فضلا عن كسب ود وتأييد شيوخ القبائل والمرابطين على رأس هذه السياسات، وتجدر الإشارة إلى أن بعض المسؤوليين العثمانيين كالباشوات والمفتين والقضاة، كانوا يأتون للجزائر بمعية أزواجهم وأطفالهم وأمهاتهم وإخوانهم، وهذا بخلاف اليولداش والإنكشارية ورياس البحر والأعلاج الذين تغلب عليهم حياة العزوبية. للمزيد راجع أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 143. معاشي جميلة، مرجع سبق ذكره، ص 100 وما بعدها.

[3]– Venture (De Paradis), op.cit, p175.

[4] -HAEDO(FD),"Topographie et Histoire, op.cit, p318.

[5]– عزيز سامح التر، مرجع سبق ذكره، ص 132.

للسلطان، ولذلك فقد نص قانون السلطان مراد الأول[1]صراحة على عدم السماح للإنكشارية بالزواج[2]، وفي هذا الصدد أيضا ذكر دوبارادي أن العزوبية كانت وسيلة للقدوم للجزائر[3]، ومعنى هذا أن الإتجاه العام للعثمانيين كان يريد تشجيع العزوبية في الجزائر خوفا من إنعكاسات زواج الجنود على مستقبل وجودهم ودرجة ولائهم للسلطان .

لكن تشخيص واقع الحال في بدايات الواجد العثماني في الجزائر يتصادم مع هذا الإتجاه العام، حيث إنه كان يدفع بإتجاه تأسيس علاقات مصاهرة عديدة ذات طابع سياسي في أغلبها في ظل المعطيات التالية:

أ- تزامن إلحاق الجزائر بالسلطنة العثمانية وبدايات التخلي التدريجي عن قانون السلطان مراد الأول،خاصة مايتعلق بمنع الإنكشارية من الزواج نظرا لتعارضه مع الفطرة البشرية من جهة، ومن جهة أخرى تزايد حالات خرق هذا القانون مما جعل السلطنة أمام واقع لايمكن تجاهله، بل سارعت إلى تنظيمه من خلال النص على مجموعة من الشروط كالتقدم في السن، وموافقة السلطان شخصيا، وقد تزايد وترسخ هذا التوجه لدى حكام العثمانيين خاصة على عهد السلطان مراد الثالث[4](1574-1595م) الذي شهد ثورات وتمردات من طرف الجيش الإنكشاري كان أغلبها مرتبط بمطالب ذات طابع إقتصادي كالزيادة في الأعطيات والنفقات، الأمر الذي جعله يدرك مدى خطورة الإنكشارية وأنهم أضحوا يشكلون مركزا خطيرا في الدولة، وبخاصة بعد تعديهم بالقتل على شخصيتين كبيرتين في الدولـــة همـــا الدفتردار وبكلربك[5]الروملـــي[6]، بعد أن أتهموهمـــــا بإعطائهم نقودا فضية ناقصة

---

[1]- السلطان مراد الأول هو ثالث السلاطين العثمانيين، تولى الحكم خلال الفترة من 1362م إلى1389م، وإذاكان السلطان أورخان هو مؤسس فرقة الإنكشارية، فإن إبنه وخليفته مراد هو صانع قوانينها وتنظيماتها، كما تكمن أهمية مراد الأول بنجاحه في الإرتقاء بالإمارة العثمانية إلى طور الدولة ،وقد مهدت وضعية الفتوح التي حدثت خلال عهده السبيل لتطوير النظام الإنكشاري ، ولعل من أهم هذه التنظيمات مايعرف بقانون السلطان مراد الذي وضع أساسا لضبط سلوك أفراد الإنكشارية. للمزيد حول الموضوع أنظر محمد سهيل طقوش، مرجع سبق ذكره ،ص ص 44-54، وجميلة معاشي ،مرجع سبق ذكره، ص 4.

[2]- N.WEISSMANN, op.cit.p35.

[3]-Venture (De Paradis), op.cit.p186.

[4]- السلطان مراد الثالث هو السلطان الثاني عشر من سلاطين الدولة العثمانية،تولى الحكم خلال الفترة من 1574إلى 1595م، شهد عهده بداية ثورات الإنكشارية وتدخلهم في القضايا السياسية ، وإن كانت تلك الثورات ذات مطالب إقتصادية في ظاهرها ،لذلك كان من سياسة هذا السلطان الترخيص للجنود بالزواج قصد شغلهم عن بمشكلات الحياة الزوجية عن الحياة السياسية. أنظر محمد سهيل طقوش، مرجع سبق ذكره ،ص ص 201 ومابعدها.

[5]- البكلربك أي البيلرباي وتكتب "بيجرباجي" أيضا، يلفظ بالكاف ياء خفيفة ومعناه أمير الأمراء أما الدفتردار فهو كبير المحاسبين أو المسؤول عن الإدارة المالية. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي،مرجع سبق ذكره، ص 85. وكذلك محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، كانون الثاني- حزيران، 2012، ص373.

[6]- الروملي : منطقة تاريخية تقع جغرافيا جنوب شرق البلقان، كانت تسمى "تراقيا" وبعد فتحها من طرف السلطان العثماني مراد الأول في 1362م أصبحت ضمن الأراضي العثمانية في أوروبا . كان فتح الروملي في إطار جهود العثمانيين لتفتيت الإمبراطورية البيزنطية وكسب حدود جديدة. أنظرمحمد سهيل طقوش، مرجع سبق ذكره، ص 46 ومابعدها.

القيمة[1]. وقد دفعت هذه الحادثة السلطان إلى التفكير في ضرورة تغيير سياسته تجاه فيالق الإنكشارية التي مافتئت تزداد خطورتها وتدخلها في الأمور السياسية العامة وكان من أول قراراته محاولة تغيير التركيبة البشرية للجيش الإنكشاري وذلك من خلال أمره بإلحاق عدد كبير من المجندين المسلمين الأحرار في الفيالق الإنكشارية والمعروف أن هذه الفيالق كانت مغلقة في وجه هؤلاء المجندين[2] كما كان عليه الوحال في أيالة الجزائر، كما أن هذا الإجراء هو نفسه الذي سيلجأ إليه بعض حكام الأيالة للحد من نفوذ وتدخل الإنكشارية.

ثم إن السلطان مراد الثالث لم يتوقف عند هذا الإجراء بل إنه سارع إلى الموافقة على طلب الإنكشارية بإلغاء الحظر المفروض عليهم بعدم الزواج فاستجاب السلطان لهذا الطلب حتى يشغل الإنكشارية بمشكلات الحياة الزوجية عن الحياة العسكرية التي كانوا منصرفين إليها، وضعف إستعدادهم الحربي[3]. ومعنى هذا أن إنضمام الجزائرإلى الدولة العثمانية حدث في عهد كان الزواج قد بدأ يشق طريقه وسط الجيش الإنكشاري، والذي بدأت إرهاصاته منذ عهد السلطان سليم الأول، وقد إنتقل ذلك مع الجنود الذين أرسلهم هذا الأخير إلى خير الدين في مدينة الجزائر[4].

ب- في الجزائر كانت كل المعطيات تصب في صالح تعزير العلاقات بين العثمانيين والمحليين، ولعل علاقة المصاهرة من أقوى العلاقات التي تخدم هاته القضية أكثر من أي وسيلة أخرى، ولذلك إعتبر الزواج عاملا فعالا وهاما لربط الجنود بالوطن الجديد، خاصة وأن مؤسس الأيالة خير الدين قد تزوج في الجزائر وكذلك فعل إبنه حسن باشا بن خيرالدين[5]. ولأن الناس على دين ملوكهم فإن في هذا هذا التصرف تشجيع بطريقة غير مباشرة لليولداش على مصاهرة المحليين خدمة للأغراض السافة الذكر، مع الإشارة إلى أنه في هذه المرحلة لم يكن هناك أي نص قانوني يحض على الزواج، وبقي الوضع كذلك حتى صدور وثيقة عهد الأمان[6]، التي أقرت ضمنيا الحقوق المترتبة على زواج الإنكشارية في الجزائر وبالتالي إباحة هذا الزواج و ترخيصه قانونيا.

---

[1]- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت،1983،ص 264.

[2]- الشناوي عبد العزيز، مرجع سبق ذكره ص 501 .

[3]- محمد فريد بك، مصدر سبق ذكره، ص 502

[4]- خليفة حماش، مرجع سبق ذكره، ص 118.

[5]- HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger,op.cit,pp59-119.

[6]- عهد الأمان: عبارة عن ميثاق أودستور، أو قانون أساسي حرره ضباط ديوان الجزائروجندها،في مدينة الجزائر أول أول مرة في عهد الباشاإبراهيم سنة 1657م،ولكنه لم يطبق كما كان مرجوا منه.ولذلك حرر عهد أمان ثان في عهد الداي محمد بن بكير سنة 1748م دخل حيز التنفيذ وظل سائر المفعول إلى نهاية حكم الدايات في سنة 1830م. وقد كان من أهم أسباب ودواعي تحرير هذا العهد هو الرغبة في إصلاح النظام الخاص بالجهاز العسكري بعد الفوصى التي حدثت في مؤسسة الجيش لدرجة أن فئة منه فكرت في مغادرت الجزائر إلى المشرق . للمزيد حول الموضوع راجع: توفيق دحماني، مرجع سبق ذكره، ص 27. وكذلك :
.DEVOULX ,(A) :Ahd Aman,ou règlement politique et militaire,in RA N°4,1860,Alger,PP211-219

ج– إن قراءة في المدة التي مرت على الوجود العثماني في الجزائر حتى صدور وثيقة عهد الأمان الأولى سنة 1657 م[1] أي بعد مرور حوالي 138سنة من الوجود العثماني في الجزائر، تجعلنا نستنتج حقيقة مهمة مفادها مدى التردد والشكوك التي ساورت العثمانيين إزاء قضية مصاهرة الجزائريين، ويــؤكد هذه الحقيقة أسلوب حياة المسؤولين العثمانيين المتزوجين في الجزائر. فقد ذكر دوبارادي أن الباشا إذا كانا متزوجا فإنه لايسمح له بإدخال أفراد أسرته إلى مقر الإقامة[2]، وكذلك الحال بالنسبة لأغا الإنكشارية[3]، وقد إستمر هذا الوضع حتى عهد الدايات إذ كان الداي منذ إنتخابه يخضع في حياته لبروتوكول خاص، ينفصل بموجبه عن أهله ويحظر عليه أن يحيا حياة عائلية في منزله الخاص سوى ليلة واحدة في الأسبوع[4]، بل إن بوير(Boyer) نص على أنه بداية من سنة1720 م، لم يكن يسمح لآي متزوج بالوصول إلى مرتبة داي[5]، لكن يبدو أن أن هذه القاعدة لم تكن تحترم دائما[6]،لأنها تتعارض مع متطلبات الحياة الطبيعية ولعدم إمكانية التطبيق الدائم لهذا الشرط[7].

من جهته يشير لوجي دوتاسي في معرض حديثه عن الأعلاج أنهم كانوا يستفيدون من جميع مزايا الأتراك إذا دخلوا الإسلام ويعاملون معاملة الشرفاء التي توصلهم إلى أعلى درجات السلطة شريطة إمتناعهم عن الزواج بالنساء الجزائريات، وإذا حصل الزواج فإنهم يحرمون من التدرج في الرتب العليا للسلطة[8]. وفي هذا إشارة إلى أن الموقف من قضية المصاهرة لم يقتصر على الأتراك الأتراك فقد بل إنسحب على كل من إنتسب للعثمانيين ولو كان من غير الأصل التركي مما يعطي لهذه المسألة عدة أبعاد.

إن هناك العديد من التفسيرات لموقف العثمانيين من قضية المصاهرة في الجزائر، إذ يعزوها بعض المؤرخين إلى تخوف العثمانيين أن تكون المصاهرة سببا في ضياع عادات وتقاليد الأتراك[9]وهو مايعكس مدى إصرار العثمانيين على عدم الإنصهار والذوبان في مجتمعهم الجديد وتفضيل العزلة، فيما رجح كل من دوبارادي وبايسونال فرضية التخوف من ذهاب إرث الإنكشاري بعد وفاته إلى ورثته (عائلته)إذا كان متزوجا بدل ذهابه لخزينة الدولة في حالة لو توفي أعزبا وبالتالي

---

[1]– توفيق دحماني، مرجع سبق ذكره، ص 27.

[2]– Venture (De Paradis), Op.cit.p205.

[3]- T.SHAW, op.cit.p159.

[4]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[5]–Boyer, Pierre. Le probléme Koulougli dans la Régence d'Alger, in R.O.M.M, N° special,Aix-en-Provence, 1970, P 88.

[6]-Shuval,TAL, op.cit, p 102.

[7]-Venture (De Paradis), op.cit.p205.

[8] –Lauger DeTassy, op cit, p78.

[9]- Shuval,TAL, op.cit,p 103.

ضياع مداخيل الخزينة، ويلتقي معهما في هذا الرأي بويرالذي أضاف إليه تخوف الحكام العثمانيين من تزايد وتكاثر أعداد الكراغلة وتأثير ذلك على مستقبل وجودهم في الأيالة[1].

لكن من جهة أخرى يسجل دوبارادي أن إجراءات الزواج لم تكن معقدة، وأن العقوبة التي تنال من يقدم عليه كانت عمليا ذات طابع إقتصادي فقط[2]، في حين كانت العقوبة من الناحية المعنوية تجعل الجندي المتزوج جندي من الدرجة الثانية مقارنة مع زميله الأعزب وهذه العقوبة أكثر فعالية وتأثير[3]، وقد وصف شاو"Shaw" هذه العقوبة الإقتصادية بقوله" أن الجنود المتزوجين لايستفيدون أصلا من الإعانات التي تقدمها الدولة لرفاقهم العزاب، فكانوا يعتمدون فقط على أجورهم" [4].

أما عن إجراءات الزواج فما كان على من يريد مصاهرة أحد العائلات إلا أن يحصل على ترخيص قانوني من أغا الإنكشارية الذي يوكل كاهية العسكربصياغة وثيقة يستظهرها اليولداش أمام القاضي[5]الذي لا يستطيع ان أن يكتب له عقد زواجه بدونها، وعندما يتم له ذلك يتوجه رفقة "أشجي باشا" المشرف على التموين ليشطب إسمه من على قائمة الجنود العزاب ويحرمه بذلك من حقه في الحصول على طعامه اليومي والسكن في الثكنة[6]، هذا فضلا عن حرمانه من شراء اللحم بالسعر المخفض المحدد للجنود العزاب[7].

وإذا ما قارنا هذه المعطيات بما ذكره حمدان خوجة من أن الإنكشاري كان لايتسامح في حقوقه مهما كانت الظروف ، ويضرب مثلا بأحد الدايات الذي إضطر تحت عجز الخزينة إلى تقديم أشياء مختلفة مثل العتاد الحربي وغيره للجند مقابل أجورهم ثم أعاد شراءها منهم عندما توفرت الأموال للخزينة العامة[8]، فإن هاته المقارنة تجعلنا نفهم من جهة مدى التنازل والتضحية الإقتصادية التي تصاحب قرارالزواج، ومن جهة أخرى لماذا كان الإنكشارية يرغبون في مصاهرة العائلات الكبيرة والميسورة الحال، كتعويض عما فقدوه .

أما أكبر وأهم عقوبة كانت تنال الجنود المتزوجين فهي المنع من تولي بعض مناصب المسؤولية، كوظيفة الخواجات أو الكتاب ووظيفة بيت المالجي[9].

---

[1]-J.A.PEYSSONNEL, Voyage dans la régences de Teunis et d'Alger,Presentation et note de L.Valensi,1ere éd1838,Paris,La découverte 1987,p236.

Cf.Boyer,Pierre. Le probléme Koulougli,op.cit.P88.

[2]- Venture (De Paradis), Op.cit.P188.

[3]- Shuval,TAL, op.cit,P 104.

[4]- T.SHAW, op.cit.P184.

[5]– –حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659إلى 1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة،2008،ص119.

[6]–Venture (De Paradis), op.cit.p188.

7-Filippo,Pananti, op.cit.p465.

[8]– حمدا ن خوجة ، مصدر سبق ذكره، ص 137.

[9]– Venture (De Paradis), op.cit.p215.

وفي هذه الإجراءات العقابية إشارة واضحة إلى إتجاه الدولة في مسألة المصاهرة، والرامية إلى الحد منها بتفضيل الجنود العزاب عن المتزوجين، ويزداد هذا الإتجاه وضوحا إذا علمنا أن إجراء الطلاق كان كفيلا بإسترجاع كل الإمتيازات والحقوق التي يفوتها الزواج [1].

يرى المؤرخون أن هذه السياسة كانت كفيلة للحد من الإقبال على الزواج بين الجنود، وإن كان دو بارادي يسجل تزايد أعداد العثمانيين المتزوجين بين بداية الوجود العثماني في الجزائر ونهايته، ويؤيد هذا الرأي النتائج التي توصل إليها الباحث طال شوفال"TAL SHUVAL" في دراسته للمجتمع بمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر، والتي أفضت إلى أن عددالمتزوجين في أوساط الجيش الإنكشاري قد إرتفع من8%في الفترة مابين 1699-1701إلـــى 18% في الفتـــرة مـــابين 1786-1803[2]، إلا أن طال شوفال يخلص في الأخير ومن خلال عدة مقارنات بين مختلف الكتابات التاريخية التاريخية في هذا الموضوع إلى أن الإتجاه العام لظاهرة زواج الأتراك في الجزائر لم يعرف تغيرا كبيرا بين بداية ونهاية وجودهم في الجزائر، رغم أن التقارير الفرنسية سنة 1830 أحصت حوالي 1000إنكشاري متزوج في مدينة الجزائر وحدها[3].

من جهته يشير شاوإلى أن إمتناع الكثير من العثمانيين بمافيه الأتراك عن الزواج بالعربيات كان بسبب الخوف من حرمانهم من إمتيازات العزاب، وفي المقابل كانوا يكتفون بالمحضيات من بنات البلد، أو المسيحيات لأن أبنائهم من المسيحيات لايعدون كراغلة، بل أجانب وبالتالي لايشكلون أي خطر على الحكم العثماني في البلاد[4].

إن إستشراف مستقبل الوجود العثماني في الجزائر خلق نوع من التخوف والتوجس لدى الحكام خاصة إزاء نتائج زواج الإنكشارية بالجزائريات والمتمثلة في ظهور جيل جديد ربما قد يؤثر على التوازنات السياسية ووضعية الأتراك العثمانيين خاصة، مما دفع حكام الأيالة للمسارعة للحد من إنتشارمصاهرة الإنكشاريةالجزائريين[5]، ومن جهة أخرى فقد أدت هذه السياسة إلى تشجيع إستهتار الجنود بالحياة الزوجية وكثرة الطلاق، وحسب دوبارادي فإن سرعة الزواج والطلاق بين الإنكشارية كان مرجعها تساهل الهيئة العدلية في إجراءات الزواج والطلاق،من ذلك تواضع قيمة الضريبة التي يدفعها صاحب العقد للمحكمة[6]، رغم أن هذا الإجراء كان من شأنه أن يشجع إقبال الجنود على الزواج

[1]- Venture (De Paradis), op.cit.p188.

[2]- Shuval,TAL, op.cit,pp105- 106.

[3]– جميلة معاشي، الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير، أعمال الملتقى العلمي الأول2008، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الإجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، مطبعة إلكسندر، قسنطينة، 2009، ص90.

[4]– T.SHAW, op.cit.pp185-186.

[5] -Ibid, p187.

[6]- Venture (De Paradis),op.cit.p188.

الزواج من جهة، ومن جهة أخرى يمكن للدولة أن تجعل منه عاملا كابحا أمام إنتشار الزواج من خلال رفع قيمة ضريبة عقد الزواج.

وقد بقي الجندي الإنكشاري مرتبطا بثكنته حتى بعد زواجه،خاصة في نهايات الوجود العثماني في الجزائر بعد أن أصبحت الحياة الزوجية لاتعيق إستمرار العلاقة بالأوجاق،[1]الأمر الذي يعد منافيا لقانون النظام الإنكشاري الذي يفرض على المتزوج مغادرة الثكنة والتخلي عن الكثير من إمتيازاته.

أما عن التعدد في الزواج، فما وقفنا عليه بهذا الخصوص يفيد بعدم تحبيذ الإنكشارية للتعدد، وإن حصل ذلك فعلى نطاق ضيق، ويبدو أن عدم الرغبة في التعدد كان تهربا من المسؤولية المادية أو من المشاكل الأسرية. وهو ما عبرت عنه أحدى أغاني الإنكشارية التي صورت مساوئ تعدد الزوجات[2]، ومن جهة الأهالي يخبرنا حمدان خوجة أن العثمانيين لم يجدوا أية صعوبات في الإقتران من شتى الشرائح الإجتماعية رغم إختلاف المذاهب الدينية، ومن جهتهم كان الجند حريصين على إحترام عادات البلاد ليحببوا أنفسهم إلى سكان الأيالة، ولأن حسن السيرة قد يسهل إختيار الأزواج من الأسر المحافظة في المدن الحضرية والقبائل ذات السمعة الإدارية والعسكرية[3].

لقد كان الإندماج في الواقع والمجتمع الجديد أهم أهدف الزواج،لكن دائما مع أستصحاب النفسية المتعالية وهاجس التخوف على المصالح والإمتيازات، الأمر الذي جعل معظم العلاقات الزوجية لا تستقر إلا بقدرتحقيقها للأهداف المرجوة منها.

من جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أنه في البداية كانت عمليات المصاهرة ذات طابع سياسي نخبوي،إذ إقتصرت على كبار الساسة والعسكريين المتقدمين في السن[4].

إن دراسة الحياة الزوجية للعثمانيين تجعلنا نقف على الكثير من الإستنتاجات بخصوص خلفيات علاقة المصاهرة، ولعل تشجيع العزوبية من خلال سماح السلطات للجندي بإسترجاع حقوقه مباشرة بمجرد الطلاق، لعل هذا الإجراء كان كفيل بدفع الإنكشارية إلى الإستهتاروعدم الجدية في العلاقة الزوجية، وقد رصدت جميلة معاشي في دراستها حول "الإنكشاري والمجتمع ببايلك قسنطينة نهاية العهد العثماني" مظاهرهذا الإستهتار، التي يمكن تلخيصها في النقاط الأتية:

– السرعة الكبيرة في عمليات الزواج والطلاق، ثم إرجاع الإنكشاري لزوجته، وكثيرا ماحدث الطلاق قبل البناء.

---

[1]– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 181.

[2]– M'HAMSADJI,(Kaddour),SultanDjezair suivi de hansons des Janissaires Turcs d'Alger,fin du XVIIIe siecle,par Jen Deny,O.P.U,Alger,2005,p116.

[3]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 119.

[4]– حمدان خوجة، مصدر نفسه، ص 121.

– مغادرة بيت الزوجية والإلتحاق بالثكنة وترك الزوجة معلقة، وهناك من كان يكلف من يطلق له زوجته.

– الهجران والإهمال الإجتماعي، أو الإبتزاز المالي،الأمر الذي كان يدفع الزوجة إلى التخلص من زوجها عن طريق الخلع، وهذه الظاهرة طبعت معظم عقود الطلاق، بل إن هناك بعض العقود التي نصت صراحة على أن الزوج كان يشترط على زوجته التخلي عن حقوقها متى حصل الطلاق.

وفي النهاية تخلص الكاتبة إلى نتيجة مفادها أن غرض معظم الإنكشارية من الزواج كان جمع المزيد من المال وليس الإستقرار الأسري.

أما عن أنواع المصاهرات عند العثمانيين، فقد كانت لدى المسؤولين وعلى رأسهم البايات ذات طابع نخبوي سياسي، وفي المقابل كانت مصاهرة الجند للعناصر المحلية عامة إن لم نقل أنها كانت عشوائية، فلإنكشاري كان يتجه حيث يجد المصلحة المادية، أسرة غنية ينتفع منها ماديا، أو إستقرارا إجتماعيا وسط محيط عائلي يقيه من مخاطر حياة العزوبية، أو أسرة شريفة تمنحه المكانة الروحية بالمجتمع[1].

كذلك نسجل أنه في بداية الوجود العثماني بالجزائر إنتهج الحكام سياسة مصاهرة شيوخ القبائل بالريف[2] لأجل تحقيق الإستقرار السياسي،كما فعل علي بتشين من خلال زواجه من إبنة سلطان "كوكو"[3]. أما في المدن فلم تتجه السلطة العثمانية في البداية نحو سياسة المصاهرة ، بل إنتهجت سياسة أنجع وهي الإعتماد على العامل الديني، بالتقرب من الأسر ذات المكانة الدينية والإجتماعية عن طريق الإمتيازات المادية والأدبية.

وفي إطارسياسة المصاهرة دائما لابد من الحديث كذلك عن المصاهرة بين العثمانيين أنفسهم، فقد عملوا على الزواج من بعضهم البعض لتوسيع دائرة حكمهم العرقي والحفاظ على إستمرارية هيمنتهم على الوضع في البلاد، من ذلك مصاهرة الباي حسين زرق عينو(1754–1756م) للباي

---

[1]– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص ص 238–239.

[2]– يورد هايدو أن حسن باشا بن خير الدين صاهر "ملك كوكو" كما شجع كبارقادته على مصاهرة الأعيان . للمزيد أنظر:

HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit,pp74-80.

عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 48.

[3]– صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر،2005 ، ص 124.

كوكو : هي قرية موجودة إلى الأن بهذا الإسم في دائرة كومين (حاليا سوق الأربعاء أو عين الحمام) بعرش أيت يحي وكانت كوكوهي المركز العسكري للإمارة ، تقع على ظهر جبل من جبال جرجرة تشرف على ضفة وادي سباو اليسرى، علو الجبل ينيف على 960متر فوق سطح البحر.تبعد حوالي 54كم جنوب شرق تيزي وزو، ولاتزال بهابعض الأثار قائمة إلأى يومنا هذا، كالسور الكبير الذي يحيط بمقر السلطان ومكان المدفع والجامع الكبير(دار الفتية)، والبوابات، ويصعب ضبط مصطلح محدد لكوكو فهناك من يسميها إمارة والأخر مملكة والبعض الأخر سلطنة، وهذا نتيجة عدم معرفة تاريخ نشأتها، وكذا بإعتبار أن الإمارة تكون تابعة لدولة أو سلطنة ما. أما كوكو فإنها نشأت مستقلة لذلك يمكن أن نطلق عليها إسم مملكة أو سلطنة. للمزيد أنظر: زيدين قاسمي، قيادة سيباو1720–1857، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص64.

حسن بوحنك، ومصاهرة صالح باي لصديقه وولي نعمته أحمد باي القلي (1756-1771م)، وغيرها من المصاهرات العرقية ، كما قام صالح باي (1771-1792م) والذي سعى لتشديد قبضة الحكم العثماني على البلاد بتزويج بناته لعدد من الموظفين السامين وأفراد الإنكشارية، وكان توجه أسرة صالح باي لمصاهرة العناصر العثمانيةصريحا وواضحا من خلال عقود زواج أبنائها وبناتها من هذه العناصر ومنها الإنكشارية بمختلف رتبهم[1]، في حين نجد أن الحاج أحمد باي الكرغلي وعكس صالح باي الإنكشاري التركي، كان أكثر ميلا لمصاهرة الأسر المحلية، حيث كون شبكة من المصاهرات ربطته بمختلف الأسر ذات النفوذ ببايلك قسنطينة وخارجه[2].

وفي أواخر العهد العثماني رصد لنا أبو القاسم سعد الله لون أخر من ألوان الزواج في الجزائر العثمانية وهو الذي كان يتم بين الجنود الإنكشارية والكرغليات ، وذلك من خلال أحد دفاتر محكمة المدية (بايلك التيطري)، والذي تضمن في قسم الأحوال الشخصية مجموعة من عقود الزواج منها حالتين كانت الزوجة فيهما من الكرغليات والزوج من اليولداش[3]. ونستنتج من خلال هذا النوع من المصاهرات أن العثمانيين رغبوا في المحافظة على عرقهم في الجزائر من خلال تتبعه في الكرغليات رغم مرور أكثر من ثلاثة قرون على وجودهم في الجزائر .

هذا ولايكتمل فهم الإطارالعام لسياسة المصاهرة التي إنتهجها العثمانيون في الجزائر كأحد أدوات إستقرارهم إلا بالتطرق للقضية الأهم في الموضوع والمتعلقة بالنتائج المترتبة عن هاته المصاهرات، أي الأبناء المولدون في الجزائر ومدى تأثريهم في النظام الإجتماعي والسياسي للأيالة، في ظل وجود وضع جديد يتمثل في تبلور فئة إجتماعية أطلق عليها في الجزائر كما في إسطمبول إسم "قول أوغللري"[4] والذين إصبحوا يعرفون بالكراغلة.

---

[1]- جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 255 .

[2]- أنظر الفصل الرابع ص 226 ومابعدها.

[3]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، دار الرائد، الجزائر، ج2، طبعة خاصة، 2009، ص ص 169-179.

[4]- خليفة حماش ، مرجع سبق ذكره، ص 121.

➢ ثانيا/ فئة الكــراغلة، المصطلــح والمفهــوم :

من خلال ماتقدم نخلص إلى أن الكراغلة هم نتاج المصاهرة بين العثمانيين وسكان الجزائر، وقد تناولت العديد من الدراسات التاريخية مفهوم هذا المصطلح ودلالاته سواء في مقر السلطنة بإستامبول، أو في بقية المناطق التي خصعت للعثمانيين على غرار الجزائر.

بعد تتبع وجمع مختلف الأشكال التي رسم من خلالها مصطلح الكراغلة في مختلف المصادر والمراجع، تبين أن هذا المصطلح قد رسم أو كتب على عدة أشكال منها: قول أو غللري، قول غولي، قرغلان[1]، كول أوغلي وكوله أوغلو، وكلها أشكال من التركية العثمانية ، أما في المراجع الحديثة فأكثر ماتكتب بشكل كراغلة، وقد ترد برسم الكولوغلاري[2]، ويقابلها في اللغة الفرنسية شكل " kouloughli أوkoleoglu". وكل هذه الأشكال في الكتابة تلتقي لتؤدي نفس المعنى ، فمصطلح قول أو غللر مركب من الكلمتين التركيتين "قول" بمعنى عبد و"أوغل" بمعنى إبن ، بالإضافة إلى أداة الجمع "لر" وعلامة الإضافة "ي" حسب قواعد اللغة التركية. وبذلك يكون معنى المصطلح لغويــا "أبناء العبيد"(fils d'esclave)، غير أن كلمة "قول"لاتتصل بالوضع الإجتماعي لهؤلاء الأبناء من أمهاتهم المسلمات الأحرار، وإنما بوضع آبائهم الجنود الذين يعتبرون وفقا لفلسفة الحكم عند العثمانيين عبيدا للسلطان، ومن ثم يكون المعنى التاريخي لمصطلح الكراغلة هو "أبناء عبيد السلطان العثماني"[3]، مع الإشارة إلى أن "قول" التي تعني العبد أو المملوك ترسم كذلك على شكل"قوللر"، والتي تعني خاصة جنود الأوجاق الذين يتم جمعهم عن طريق الدفشرمة[4].

وقد ذهب المؤرخ التركي خليل إينالجيك إلى إعتبار جميع الأشكال السابقة في رسم المصطلح مكونة من كلمتين هما "قول" وتعني العبد الذي هو أحد رعايا الدولة الدافعين للضرائب، وجمعها "قولز" ويراد بهم كذلك خدام السلطان الذين يعملون في الجيش أو الإدارة أو في خدمة البلاط[5]، فيما ذكرمسلم بن عبد القادر أنها تجمع على شكل "قرغلان"[6].

أما شكل المصطلح "كول أوغلي" أو "كوله أوغلو" أو " كول أوغلاني"، فهو إدغام "كوله kole"التي تعني عبد مع "أوغولogul "التي تعني ابن في التركية. وقدإستعمل المصطلح للإشارة إلى أبناء الزواج المختلط في المناطق التي عرفت الوجود العثماني كبلاد شمال إفريقيا. وللإشارة كذلك إلى

---

[1]– مسلم بن عبد القادرالوهراني، تاريخ بايات وهران المتأخرأو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار،ش.و.ن.ت، الجزائر،1974 ، ص87.

[2]– وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره، ص .82

[3]– خليفة حماش، مرجع سبق ذكره، ص 121.

[4]– عبد العزيز الشناوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 120–127. أنظر كذلك : محممود عامر، مرجع سبق ذكره، ص377.

[5]– خليل إينالجك، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للدولة العثمانية،ط1، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، لبنان2007، ص ص 606–607.

[6]– مسلم بن عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص 92.

أن إستخدام معنى العبد قد يشمل العديد من الوظائف الموكولة للمستخدمين، بحيث يفرق بينها من خلال الكلمة المصاحبة لها، فقد أطلق الأتراك هذه العبارة على الكتائب العسكرية"قول" وعلى جامعي الضرائب" قول أوغلاني" وعلى أفراد الشرطة"قوللوق وغيرهم.[1]

في كتاب "غزوات عروج وخير الدين" وردت كلمة القلغي كصفة لمن كتبت بيده تلك الغزوات نقلا عن أصلها التركي، وهو الشاعر الشيخ سيدي محمد بن علي القلغي مفتي الحنفية بالجزائر[2]، ورسمها المؤرخ المرحوم نور الدين عبد القادر على شكل "قراغل وقراغلة أو قرغلان" ، وشرحها بأنه بإبدال القاف كافا تصبح "كراغل "، والمفرد" قرغلي أو كرغلي" ومعناه بالتركية إبن الجندي، وهذه التسمية ليس فيها حط ولاتنقيص[3].

في إسطمبول عرف مصطلح الكراغلة عدة إشتقاقات ورسوم إستعمل من خلالها ، فقد أورد بعض الدارسين المصطلح على شكل قراقول، قره قول، قره غول، قراغول وكراكول، وكلها ألفاظ تركية تعني الطليعة أوحرس المخفر، كما تعني الجندي أو العبد الأسود ، ومن معاني "قول" في التركية الجندي ،فكأن الجندي الأسود هو جندي الليل، وجمعها "القراغلامية" وهي جماعة الضبطية، أي الضباط المكلفون بحفظ الإنضباط في الجيش أثناء سيره في الطريق لحمايته ولعدم فرارالعسكر أو تأخرهم، كما تجمع في شكل "كركلية" وهي طائفة من خاصة الجند العثماني، تميز أفرادها عن غيرهم بتدريباتهم العالية وكفائتهم في الأمور العسكرية[4].وقريب من هذا التعريف لمصطلح "القراغلامية" نجده نجده في معجم المصطلحات التاريخية، والذي يعني طائفة من الجند وأحدهم "قراغلام"و معناه العبد الأسود، وهم إحدى فرق الجيش النظامي في العصر المملوكي والأيوبي، وفي العصر العثماني كانت هناك فرقة تعرف بإسم"قره قوللجلير" مهمة عناصرها القيام بأعمال السخرة في مطبخ الجيش الإنكشاري[5].

والملاحظ أن هذه الإشتقاقات لأصل الكلمة لاتحمل نفس المعنى الشائع حول الكراغلة والمتعلق أساسا بأصولهم المختلطة، فهي تركز على طبيعة العمل والوظيفة في الجيش وكذا لون البشرة الذي يميز أصحابها عن العثمانيين، وإن كانت تحمل في طياتها معنى"الدرجة والترتيب الأقل" مقارنة بالعثمانيين. وحسب المؤرخ التركي أوغيز أوجال فإن فانتير دو بارادي إنفرد بإطلاق تسمية أبناء

---

[1]– سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض،2000، ص 176.

[2]– غزوات عروج وخير الدين، مصدر سبق ذكره، ص 128.

[3]– غزوات عروج وخير الدين، مصدر سبق ذكره، ص ص 13–14. أنظر تعليق وإيضاح المحقق المرحوم نور الدين عبد القادرفي الهامش.

[4]– مصطفى عبد الغني، معجم مصطلحات التاريخ العربي الحديث والمعاصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة2005،ص ص420–449

[5]– مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1996، ص 349.

اليولداش على الأطفال المولدين في الجزائر نازعا عنهم لقب أو صفة الكراغلة، رغم أنه يقصد بأبناء اليولداش الفئة الإجتماعية التي تكونت نتيجة زواج الإنكشارية بنساء الجزائر، وفي شرحه لمصطلح كرغلي الذي كتبه باللغة الفرنسية على شكل"koulglu" قال إن كلمة قول "KUL"يقابلها في اللغة الفرنسية معنى المخلوق وليس العبد، أما كلمة" kole" فهي التي تعني عبد في الفرنسية، وبالتالي لانحمل كلمة مخلوق معنى العبد[1].

أما بالنسبة للكتابة الحديثة لهذا المصطلح والتي تأتي على شكل "كراغلة" ومفردها كرغلي، وقد تكتب كوروغلي[2]، كما تجمع على شكل كراغول أو قراغول،وقد أطلقت هاته التسمية على أبناء العثمانيين من زواجهم مع السكان المحليين في جميع المناطق التي دخلوها وإستقروا بها، ففي طرابلس" ليبيا"أطلق هذا اللقب على المولدين من زواج العثمانيين أثناء تواجدهم فيها والسكان المحليين، ثم إتسع هذا اللقب ليشمل كل من إنخرط في سلك الجندية بغض النظرعن أصوله العرقية، ويبدو في هذا تعبير عن حالة متقدمة جدا مقارنة بما كان عليه مفهوم هذا المصطلح في كثير من الولايات العثمانية ومنها الجزائر.

من جهة أخرى فإن البحث في مفهوم مصطلح الكراغلة أظهر أنه أوسع إستعمالا ، ولايقتصر على أبناء العثمانيين فقط، بل يمكــن إسقاطه على جميع المواليد من زواج مختلط بين عرقين مختلفين. فقد أورد ناصر الدين سعيدوني مصطلح "كريول" (les Créoles)، للدلالة على المولدين بين الإسبان والهنود الحمر في أمريكا اللاتينية[3].أما عند المغول فيستعمل مصطلح "قراقول" و"قراغول" للدلالة على جماعة من العسكر الذين يناط بهم حراسة الطرق[4].

والمحصلة أن جميع التعاريف والشروح لمضمون مصطلح "كرغلي" تلتقي حول قاسم مشترك في المفهوم وهو أنه يؤدي معنى "إبن العبد"،وهو ماخلص إليه طال شوفال بعد عدة مقارنات بين مختلف الكتابات حول الموضوع[5].

غير أنه إذا كان من السهل ضبط معنى هذه الكلمة من الناحية اللغوية، فإن ضبطها من الناحية الواقعية من خلال تنزيل معناها وإسقاطه على واقع الممارسة خاصة في حالة أيالة الجزائريعد من الصعوبة بمكان، ومرجع هذه الصعوبة هي المعايير التي كان يصنف على أساسها الكراغلة، ذلك أن مراجعة الكتابات التاريخية حول الموضوع تجعلنا نستنتج أن هذا المصطلح لم يكن يطلق على كل

---

[1]–ocal ogus, "mariage entre les turcs et les femmes d'afrique du nord et probléme de « kuloglu »a l'époque Ottomane",in A.H.R.O.S,N°25,Zaghouan,Aout2002,pp 93- 95

[2]Ibid, p95.

للإشارة فإن بعض القواميس الفرنسة تشرح كلمة "kul " بمعنى العبيد ومملوكي الحكومة. أما كلمة " koulooughli" فتعني أبناء الجنود.

[3]– سعيدوني ناصر الدين، المهدي البوعبدلي ، مرجع سبق ذكره، ص 97.

[4]– مصطفى عبد الغني، مرجع سبق ذكره، ص421.

[5]–Shuval,TAL, op.cit,p 102.

المواليد من غير النساء العثمانيات. فقد أشار القنصل الفرنسي فالبير في مذكراته حول الجزائرإلى أن الأطفال المولدين بالجزائر وإن كانوا أبناء أب وأم تركيين مشرقيين فلم يكونوا يعتبرون قط سوى كراغلة[1]، في حين أشار طال شوفال إلى أن الأبناء المنحدرين من أتراك وعلجيات(هن النساء المسيحيات اللواتي أسلمن)، كانوا يعتبرون أتراك وليسوا كراغلة، وفسر ذلك برغبة أوجاق الجزائر في التميز عن المحليين وتقوية مركزهم[2]، وهو نفس ما ذهب إليه لوجي دو تاسي الذي أشار إلى أن الأتراك كانوا يتزوجون مسيحيات يعتنقن الإسلام وينجبون منهم أبناء يعتبرون أتراكا ويستفيدون من كل مزاياهم، وفي ذات السياق أشار إلى أن أبناء الأعلاج(الذين أصبحوا عثمانيين) من النساء الجزائريات كانوا لايعتبرون أولاد أتراك، بل يسمون "كورغلي"ولايحظون بكثير إحترام[3]. أما جون وولف فقد نص على أنه إذا تزوج أحد الأتراك من أم بلدية(حضرية) فإن الأطفال يصبحون كراغلة، غير أن الأطفال الذكور من إمرأة خليلة يصبحون أهليين مثل أهل البلد. أما إذا تزوج التركي العثماني من رقيقة مسيحية فإن أبناءهما الذكور يصبحون أتراكا وبناتهما يصبحن أهليات[4]، وهو نفس ما ذهب إليه **شاو**الذي فسر إكتفاء الكثير من الأتراك بالمحضيات أوالمسيحيات دون الزواج من الأهليات، كون أبناء الأتراك من المسيحيات لايعتبرون من الكراغلة، بل أجانب لايشكلون أي خطر على حكم العثمانيين ووجودهم بالبلاد[5] .

من جهة أخرى فإن مستوى الجيل كان يؤخذ بعين الإعتبار، أي الجيل الذي ينتمي إليه الأبناء ضمن أسرهم الكبيرة، فحسب المؤرخين الذين تناولوا موضوع الكراغلة فإن أبناء عناصر الهيئة الحاكمة(الأتراك في معظمهم)، كانوا يعتبرون "قول أو غليين" في الطبقة الأولى فقط (أي في الجيل الأول)، أما في الطبقات الموالية التي يصيرون فيها أحفادا(أي أبناء الأبناء ومن يليهم) فهم لايعتبرون كراغلة وإنما من الأهالي[6]، وحسب خليفة حماش فإن هذا المفهوم يتماشى والمعنى اللغوي للكلمة الدالة على أبناء عبيد السلطان بعينهم، وإن كانت هناك حالات بينت عدم سريان هاته القاعدة دائما، إذ وجد أن أشخاص ينحدرون من أسر تنتمي إلى الهيئة الحاكمة (أي أتراك) وهم في الطبقة الثانية

---

[1] -Vallére,C.Ph.L'Algerie en 1781.Mémoire du Consul C.Ph Vallére,Pub par Lucien Chaillou,Valbert Rand,Toulon,1974,p31.

يبدوا أن إعتبار من ولدوا في أيالة الجزائر وإن كانوا من أبوين تركيين، كراغلة مرجعه إلى تخوف العثمانيين من أن يكون إرتباط هؤلاء المواليد بالأرض التي ولدوا ونشؤا فيها وبأهلها أكبرمن إرتباطهم بآبائهم وخلفيتهم .

[2]– Shuval,TAL, op.cit,p 102.

[3] –LAUGER DE TASSY,op cit,p79.

[4]– جون وولف ، مرجع سبق ذكره، ص 171 .

5- T.SHAW, op.cit.pp185-186.

6 -Shuval,TAL, Op.cit,pp107-108.

أنظر أيضا

Boyer,Pierre. Le probléme Koulougli, op.cit,p91.

والثالثة وأكثر ، ومع ذلك فإنهم تولوا وظائف إدارية ورتبا عسكرية لا يحق للإهالي توليها ، وإنما هي من إختصاص عناصر الهيئة الحاكمة وأبنائهم المباشرين في الطبقة الأولى فقط وهم القول أوغاليون الحقيقيون. كما لاحظ نفس الباحث أن صفة "قول أوغلي" التي كانت ترد في العقود بأشكال مختلفة، لم تكن تستخدم في التعريف بأبناء الجند العثماني إلا في حالات نادرة جدا، وتساءل بخصوص هذه المحدودية في إطلاق صفة "الكورغولية" وهل هناك قواعد حقيقية كان يعتبر الشخص في ضوئها "قــول أوغليا " ويحمل بموجبها هذا اللقب[1]. كما ذهب إليه الضابط الفرنسي بوتان الذي يرى أن الكراغلة هم فقط أبناء الجنود الأتراك الذين سمح لهم بالزواج في الجزائر[2].

والجدير بالذكر أنه في تركيا لم يعرف العثمانيون فئة إجتماعية بعينها تدعى الكراغلة،وقد ذهب المؤرخ التركي أوكال أوقيز(ocal oguz) إلى أن قانون الكراغلة في تركيا هو قانون إداري بالدرجة الأولى وليس إجتماعي، أي أنه لم يكن هنالك عرف إجتماعي يضفي الصفة الكرغلية على من ولد من أم ليست تركية، وإنما يتعلق الأمر بتقنين إداري لأجل مراعاة مصالح معينة للعثمانيين في الولايات التي تواجدوا فيهاكفئة حاكمة، خاصة الإمتيازات السياسية وتبعاتها، وبالتالي لم يكن في تركيا ذاتها فئة تسمى الكراغلة، ويعزز هذا المفهوم كون النظام الإجتماعي التركي هو نظام أبوي ، يمنح صفة التركية لمن ولد من أب تركي، فإبن التركي هو تركي وكثير هم السلاطين العثمانيين الذين تزوجوا بنساء أجنبيات ولم تمنع هاته المصاهرة أبناءهم من وراثة عرش السلطنة[3]. وهنا نتساءل بناء على المفهوم اللغوي هل هذا يعني أن الأبناء المختلطين للسلاطين ليسوا كراغلة لأنهم ليسوا أبناء العبيد؟.

في الحقيقة ومن خلال ماتقدم نستنتج أنه إذا لم يكن هناك داع لتكريس مفهوم الكراغلة في مقرالسلطنة العثمانية ، فإن الخلفية من تكريس هذا المفهوم للكراغلة كفئة إجتماعية متميزة عن الأتراك وبقية العثمانيين في الولايات الخاضعة لهم ، لايمكن أن تحتمل إلا تفسيرا سياسيا بإمتيازيتمثل في توظيف وإستغلال هذا المفهوم في مجال الصراع على المصالح والإمتيازات والسلطة خاصة من طرف الإنكشارية العزاب، والتخوف من تأثير هذه الفئة في التوازنات العامة. كما أن صفة العبودية لم تكن ملازمة للكراغلة إلا بوصفهم ابناء الإنكشارية العبيد، وإلا فهناك كراغلة لاتنطبق عليهم هذه

---

[1]– خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص ص 66–72.

[2]– جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1830،م.ج.ط، الجزائر،1987، ص ص 247–250.

[3]– للمزيد حول الموضوع راجع :

ocal ogus, « "mariage entre les turcs et les femmes d'afrique… », op.cit,p 93-94.

جميل السيار، تكوين العرب الجديث، مرجع سبق ذكره ص ص 214 ومابعدها.

الصفة لأنهم ينحدرون من أباء أتراك ينتمون لطبقة رفيعة كما كان عليه الحال بالنسبة لحسن بن خير الدين أو حمدان خوجة وغيرهم كثير.

ولذلك يلاحظ المتتبع لمسار العلاقة بين العثمانيين والكراغلة في الجزائر أن مفهوم الكراغلة" أبناء العبيد" لم يكن يمثل أي مشكل بقدر ما كان الأمر يتعلق بفئة إجتماعية إعتبرها الأتراك غريبة عليهم كونها تحمل جزء من دماء السكان المحليين وتكرس وضع إجتماعي جديد. وقد بدأ طرح المسألة الكرغلية والتنبه لها من طرف العثمانيين في مرحلة لاحقة من وجودهم بأرض الجزائر وبالتحديد في مرحلة الباشوات ضمن صيرورة تطور نظام الحكم، وخير مثال على ذلك أن مرحلة البايلربايات لم يطرح فيها الكراغلة أي إشكال، ويبدوأن أول طرح للمسألة الكرغلية في الجزائر كان طرحا سياسيا وليس إجتماعيا ، وإنما جرى توظيف الجانب الإجتماعي لخدمة المصالح العثمانيةخاصة من طرف الإنكشارية الذين غلبوا مصالحهم على عواطفهم في إطار الصراع على السلطة[1].وقد لاحظ المؤرخ طال شوفال أن الكراغلة لم يدونوا بهاته الصفة في السجلات الرسمية كسجلات الأوقاف[2]، كما تجلى هذا الموقف أكثر من خلال عدة مفارقات منها منح صفة "عثماني" للأعلاج ولأبناء الإنكشارية من العلجيات دون مراعاة لعبودية الأب، في حين تخلع صفة "كرغلي" على أبناء نفس الأباءمن النساء الجزائريات.

في مذكراته يطلق سيمون بفايفر صفة الزواتنة على الكراغلة الذين توطنوا ضفتي وادي الزيتون[3]، حيث يقول"ويسكن الأبناء الذين يولدون من زواج الأتراك بالقبائليات ويبلغ عددهم بضعة الاف، في إقليم الزيتون بجبال الأطلس الممتدة في إتجاه قسنطينة، وقد أطلق عليهم إسم الزواتنة بناء على ما تنتجه بلادهم من الزيتون"[4]، وقد كان مخزن الزواتنة الذي إستوطن منطقة وادي الزيتون[5] إحدى قبائل المخزن المتعاونة مع السلطة العثمانية، والذي أنشا على خلفية الصراع بين الكراغلة والعثمانيين على السلطة، وشهد تحولا في التحالفات بين الكراغلة وسكان منطقة القبائل إلى التحالف مع العثمانيين في إطار سياسة المحافظة على المصالح ، وهذه كلها شواهد على أن "الصفة الكرغلية" هي لقب لايؤدي دائما نفس المعنى على الأقل عند الإنكشارية الذين وظفوا معنى الكرغلية للتضييق على أبناءهم مخافة المنافسة، وتناسوه عند الحاجة اليهم لأجل ترسيخ الوجود العثماني في الجزائروإستقرارنظام الحكم فيها أو حتى في إطار الصراع بين العثمانيين أنفسهم كما سيأتي بسطه.

---

[1]-J.A.PEYSSONNEL,op.cit,p 277.

[2]- Shuval,TAL,op.cit,p 108.

[3]– يقع وادي الزيتون على الضفة اليسرى لواد يسر، جنوب شرق مدينة الجزائرالعاصمة، بين قبيلتي الخشنة وبني جعاد. أنظر ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 258 .

[4]– بفايفر سيمون، مصدر سبق ذكره، ص .185

[5]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص358. يشير المؤلف إلى أن مخزن الزوانتة كان يشكل أحدى قبائل المخزن التي لجأت إليها العثمانيون لتكون سندا داخليا وقوة حليفة لهم، بعد أن عجزوا عن تجنيد الأتراك خاصة في أوقات الحرب.

وعليه ومن خلال ماتقدم يمكن القول إن صفة "العبد" ليست ملازمة للكرغلي إلا بالقدر الذي توظف ضده في إطار الصراع على السلطة والمصالح، أما مادون ذلك فهناك شواهد عديدة على حالات لم تعامل على هذا الأساس إما لكونها غير منافسة على السلطة أو أنها جزء لايتجزء منها.

لقد عاش الكراغلة في بداية الأمر كبقية العناصر العثمانية، إذ كانوا يتمتعون بنفس الحقوق والإمتيازات التي منحت للعثمانيين، كمأأن عدد الكراغلة والإنكشارية كان محدودا مقارنة بما أصبح عليه الوضع في مراحل متأخرة خاصة بالنسبة للكراغلة، وكان الشغل الشاغل هو الدفاع عن البلاد ضد الإعتداءات الخارجية وتوحيدها تحت راية واحدة[1]، كما أن قوة الحكام الأوائل أهلتهم لجمع كل الطوائف والعناصر تحت حكمهم، وساعدت سياستهم العادلة على خلق نوع من الإنسجام والترابط بين هاته العناصر[2]، الشيئ الذي لن يتوفر في المراحل اللاحقة مما خلق مناخا مناسبا لظهور الصراعات والتمايز بين مختلف مكونات وفئات المجتمع ومنهم الكراغلة .

➢ثالثا/التوزيع الجغرافي للكراغلة وعددهم في أيالة الجزائر:

لأن الكراغلة هم نتاج زواج الجنود العثمانيين بنساء البلاد فهذا يقتضي بالضرورة ، أن يتواجد نسلهم ويتوزع عبر المناطق التي تواجد فيها آبائهم خاصة في بدايات دخولهم وإستقرارهم بالجزائر، ولذلك فإن دراسة هذا الجانب من شأنه أن يكشف لنا فضلا عن مناطق تواجد الكراغلة ، الأماكن التي أقام فيها الجنود العثمانيون وكانت محل إحتكاكهم وإختلاطهم بالساكنة ، فكما هو معروف بادر العثمانيون منذ عهد المؤسسين عروج و خير الدين إلى إقامة حاميات وتوزيع العساكر على قرى الجزائر[3]، في المناطق التي تم إخضاعها لسلطانهم، ومع نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي إنتشرت الحاميات العسكرية في أنحاء الأيالة، وكان هايدو قد حددعددها في الجزائر خلال القرن 16 م بحوالي ستة عشر(16) حامية[4]، حيث أوكلت إليها العديد من المهام كحفظ الأمن وجمع الضرائب ، وكانت فرق الإنكشارية تتولى حراسة مدن البايلك وترابط في مختلف الأبراج المنتشرة عبر البلاد[5]، فكان من نتائج سياسة إقامة الحاميات ظهور أو تشكل تجمعات سكانية حولها ، لأنها توفر الأمن والحماية ، وقد تكونت هاته التجمعات لأول مرة في مدن الجزائر، تلمسان، معسكر، قلعة بني راشد، مستغانم، مازونة، مليانة، المدية، البليدة، القليعة،بسكرة، قسنطينة وعنابة[6].فكانت هذه المناطق هي الأولى التي شهدت ظهور عناصر الكراغلة المولدون في أيالة الجزائر.

---

[1]– أرزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ص111.

[2]-Boyer,Pierre. Le probléme Koulougli, op.cit,p80.

[3]– عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، مطبعة البعث ،قسنطينة،نشر كلية الأداب، الجزائر1965، ص 79.

4-HAEDO(FD),Topographie et Histoire générale d'Alger,op.cit, p510.

[5]–أرزقي شويتام ، دراسات ووثائق، مرجع سبق ذكره، ص32.

[6]– ناصرالدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص97.

لقد نجم عن إمتزاج العناصر المحلية بالفئة التركية وجود فئة الكراغلة التي تعتبر فئة حضرية وكان أكبر عدد منها متمركز بالمدن الكبرى،ففي بايلك الغرب كان أكبر تجمع للكراغلة في المدن الرئيسية تلمسان، مستغانم ومعسكر[1]، بالإضافة إلى مدن مازونة وندرومة، وفي تلمسان كان للكراغلة حي خاص بهم يقع في الجنوب يشمل المشور(أيأنهم كانوا يعيشون في عزلة من الناحية الإجتماعية)، حيث كان هذا الأخير له بابان وسور ويوجد به مايزيد عن مائة منزل وبه مسجد.أما في مدينة ندرومة القريبة من تلمسان فقد توزع الكراغلة والأتراك عبر أحيائها الخمسة وهي حي التربيعة الذي شكل الحي المركزي، وحي بني عفان في الغرب وحي بني زيد في الشرق، أما المنطقة الشمالية فكانت تضم حي الخربة في الشرق وحي السوق في الغرب، حيث ساكن الكراغلة الحضر والجالية اليهودية في مختلف هذه الأحياء[2]، ومع نهاية الوجود العثماني كان الكراغلة يشكلون الأغلبية بمدينة بتلمسان[3].

وفي مازونة شغل الكراغلة الحي الشرقي من المدينة أو حي بومعطة ، في حين شغل العنصر العربي شمال المدينة ، أما الحضر فسكنوا حي تيسارة الواقع في الجنوب ،أما في الجهة الغربية فكانت القصبة التي أقامها الأتراك وتضم الفئة التركية ومنزل القائد حاكم المدينة[4].

كما سجل أنه في بداية الإحتلال الفرنسي للجزائركانت هناك أحياء بمدينة مازونة يقطنها خليط من العرب والكراغلة الذين تصاهروا وإختلطوا بالعناصر البربرية لمازونة كحي أصحاب دامرجي،وحي بوعلوفة الذي كانت به مطامير الحبوب لمازونة، كما عرف حي أهل القصبة الذي ضم كراغلة وأتراك مازونة[5].

بالنسبة لمدينة مستغانم فقد أقام الكراغلة بمحاذات الحي المركزي إلى جانب الأتراك العثمانيين وقد كان الحي المركزي والمسمى "البلد" يحتوي المسجد الكبيروالسوق الكبير الذي يحتوي على محلات تجارية ومخابزوغير بعيد عن السوق الكبير يوجد سوق الحبوب وهو يقع في مقر الكنيسة حاليا[6].

أما مدينة معسكر فقد كانت تتكون من خمسة أحياء، هي حي بابا علي في الشمال الغربي، وحي عرقوب إسماعيل غربا، كما نجد في الشرق حي الباب الشرقي وحي العين البيضاء في الجنوب، وحي سيدي علي محمد على الهضبة الشرقية للوادي الذي يشق مدينة معسكر، والحي المركزي هو

1- Boyer,Pierre. Le probléme Koulougli, op.cit, p87.

[2]– الوليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر،1994،ص ص 138–144. نقلا عن وثائق أرشيف وزارة الحرب الفرنسية.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص95.

[4]-Belhamissi Moulay,Mazouna, une petite ville,une longue histoire,Alger,SNED,1982,p17

[5]– سلطانة عابد، التراتبية الإجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر 1832–1847، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران،2001، ص48 .

[6]– الوليش فتيحة ، مرجع سبق ذكره،ص 141.

مدينة معسكر القديمة، وقد توزع الكراغلة عبرهاته الأحياء الخمسة[1]، إلى جانب الفئات الأخرى ولم يعرف لهم تجمع خاص على مستوى مدينة معسكر .

والملاحظ أن تلمسان كانت تشكل أكبر تجمع للكراغلة في باليلك الغرب، ونرجح أن يكون السبب وراء هذه الظاهرة تلك الأحداث التي عرفتها تلمسان في بدايات دخول العثمانيين للجزائر[2]، والتي دفعت بهم إلى تحويل العديد من عساكر الإنكشارية إلى هذه المنطقة لتحريرها من التحرشات الخارجية متمثلة في سلطان المغرب ومن ثم إخضاعها للقضاء على التمردات الداخلية.

أما في بايلك التيطري، فقد كانت المدية عاصمة البايلك أحد أهم المدن التي ضمت عددا كبيرا من الكراغلة[3]، وذلك بسبب التواجد المبكر والكثيف للأتراك بهذه المدينة فقد ضمها العثمانيون إلى سلطتهم سنة 1517م[4]، وكانت الأكثر إرتباطا بالسلطة المركزية.

في دار السلطان كانت مدينة الجزائر أحد أهم المدن التي ظهر فيها الكراغلة بشكل كبير، نظرا لإستقرار العثمانيين بها منذ بداية أمرهم بالأيالة،وقد ناهز عدد الكراغلة في مدينة الجزائر نهاية القرن السادس عشر ستة آلاف نسمة[5]، إلا أن هذا المعطى عرف الكثير من التغيرات بسبب الأحداث التي سيرد تفصيلها والتي كانت سببا في إبعاد الكراغلة عن مدينة الجزائرإلى منطقة واد الزيتون. ولذلك نجد أن مارسيل إميريت يذكر أنه في أواخر الوجود العثماني في الجزائر كان عدد الكراغلة في مدينة الجزائر ضئيل جدا، رغم أنهم يشكلون القسم الأكبر من سكان مدينتي القليعة والبليدة[6]وفي المقابل يشير يشير إلى القوة العددية لكراغلة واد الزيتون أو الزواتنة بقوله: "وكانت قبيلة واد الزيتون لوحدها بإستطاعتها تسليح ثمانية الآلاف محارب في فترة الحرب[7]، أما بود(BAUDE) فيقدر عدد الكراغلة في

---

[1]– الواليش فتيحة ، مرجع سبق ذكره، ص 143 . نقلا عن أرشيف ولاية وهران

Rapport de Mascara,Archives de la Wilaya d'Oran,Juillet1876.

[2]– تمثلت هذه الأحداث خاصة في الصراع الذي عرفته تلمسان بين العثمانيين والإسبان وبني زيان ، من أجل بسط السيطرة والنفوذ عليها منذ عصر عروج وخير الدين ،فضلا عن أطماع ملوك المغرب الأقصى فيها ، الأمر الذي دفع العثمانيين إلى تسيير العديد من الحملات العسكرية نحوها فضلا عن إقامة الحاميات وتركيز العسكرحولها . للمزيد حول الموضوع راجع غزوات عروج وخير الدين ، مصدر سبق ذكره،ص 32–34،79 .

صالح عباد، مرجع سبق ذكره،ص 71–73،83،97.

جون وولف، مرجع سبق ذكره،ص ص 29–33 و 39–39،116.

[3]– Emerit,M, les Tribus Privilegiées en Alger dans la premiére moitié du 19 siécle ,in annales éconnomiques sociétés civilisation,21 année,Janvier-Février1966, p47.

[4]– صالح عباد ، مرجع سبق ذكره، ص292.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[6]– يرجع ظهور الكراغلة في مدينتي البليدة والقليعة إلى الأحداث التي عرفتها مدينة الجزائر سنة 1595م والمرتبطة بثورة الكراغلة ضد الإنكشارية كما سيأتي بسطه،فكان من نتائج تلك الثورة أن هاجرت العديد من العائلات إلى منطقة البليدة وضواحيها . للمزيد حول الموضوع أنظر :

Gaid ,Mouloud,l'Algérie sous les Turcs,ed,Mimouni, Alger,1991,p112.

[7]–Emerit(M), les Tribus Privilegiées en Alger ,op.cit,p 47.

مدينة الجزائر سنة 1829م ب 2076 فرد ، في حين بلغ عددهم في واد الزيتون 2665 فرد حسب نفس المصدر[1].

بالنسبة لبايلك الشرق فقد كان توزع الكراغلة فيه أوسع نطاقا مقارنة ببقية البايلكات، كما شكل الكراغلة نسبة هامة من مدن البايلك ولأنهم كانوا ينحدرون من أباء أتراك عثمانيين وامهات جزائريات فقد كانت لهم إمتيازات على أعيان الحضر[2]، والذي يبدوأن هذا المعطى يرتبط أساسا بوضعية الكراغلة عموما في بايلك قسنطينة، حيث تشير معظم الدراسات التاريخية أنها كانت أحسن حالا منها في بقية البايلكات.

كان الكراغلة العزاب في بايلك قسنطينة يقيمون داخل الحاميات العسكرية، كما في حامية تبسة، زمورة وعنابة، وكانت حامية ميلة تعد من أكبر الحاميات في البايلك[3]، فضلا عن هذا فقد تواجد تواجد الكراغلة في المدن التالية: باتنة، بسكرة، المسيلة، جيجل وفي تبسة كانوا يشكلون العنصر المهيمن من حيث العدد والنفوذ، فهم الذين يملكون كل أراضي الملك المحيطة بالمدينة[4]، وقد وصف الرحالة الألماني"**فون هاينريش مالتسان**" مساكن الكراغلة بأنها كانت تشكل اجمل وأحسن حي في المدينة، رغم أن الحامية التركية في تبسة لم تنشأإلا في أواسط القرن الثامن عشر.[5]

كما عرفت عاصمة البايلك مدينة قسنطينة تواجدا كثيفا للكراغلة ، بحيث مثلت الأسر الكرغلية إحدى شرائح الفئة العليا للمجتمع، وقد كانوا يمثلون كبار الملاك ويسيطرون على أخصب الأراضي المحيطة بالمدينة .

من أشهر الأسر الكرغلية بمدينة قسنطينة والتي بقيت إلى اليوم تحمل أسماء لها دلالات تركية ، وتتمتع بمكانة متميزة داخل المجتمع القسنطيني نجد: أسرة كتشوكالي(كجكعلي)، بسطانجي، كلوغلي، شاوش الطيور، قايد قصبة، باش تارزي، شاوش، صاري، دالي شاوش، بن دالي، بيرق دار، باي أو بلباي، باشا، علي خوجة، بلخوجة، أنجليزباي، صطنبولي، كريتلي، مسقالجي، أمينخوجة، بتشين، شندرلي وغيرها.

وقد إنتقل العديد من كراغلة قسنطينة إلى مدينة ميلة ليستقروا بها بسبب مناخها الجيد وسعة حقولها وبساتينها وغزارة مياهها، من هذه الأسر الكرغلية أسرة قاوة أو إبن قاوة، التي تنحدر حسب رواية أحد إحفادها من شخص يدعى "قاوة"، جاء من تركيا في القرن الثامن عشر.أما عن الأسر

---

[1]-BAUDE,Jean-Jacque.L'ALGERIE, ed, Arthus Bertrand Libraire,Paris,1841,p358.

[2] -TEMIMI(A),le Beylik de constantine et Hadj Ahmed Bey,Presses de la Societé Tunisienne des Arts Graphiques,Pub de la Reviue d'Histoire Maghrebine,Vol.1,Tunis1978,p55.

[3]- Emerit(M): les Tribus Privilegiées en Alger , op.cit,p 47.

[4] -FERAUD(L.Charles).Notes sur Tebessa,in RAN°18,1874 Alger,p441.

[5]– هاينريش فون، مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج2، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر1980، ص59.

الكرغلية التي إستقرت ببقية مدن الشرق الجزائري فمنها أسرة دومانجي وقرابصي وتشاكر(جاقر) بمدينة باتنة، ويعتقد ابناء أسرة فرحات،الذين ينتشرون خاصة في مدينة مروانة ، أنهم من سلالة البايات، وفي بسكرة نذكر أسرة بن رمضان المرابطية.

من أكثر الأسر الكرغلية إنتشارا في الجزائر عامة، أسرة "قارة مصطفى"، التي ينتشر أبنائها في مختلف مدن الجزائر، ولعل دلك يعود إلى شيوع الإسم بين مختلف العناصر التركية،وليس الإلتقاء حول نفس الجد، ذلك أن كلمة "قارة"أو "قره" وتعني في اللغة التركية الأسود، هي صفة من الصفات الكثيرة التي كانت تطلق على الإنكشاري عند وصوله إلى الجزائر ليميز عن غيره من الجند، وسرعان ماتحول هذا الإسم إلى لقب عرف به أبناء الإنكشارية، فقيل"قارة مصطفى"، "قارة علي" ،" قارة محمد"و"قارة بغلي" وغيرها من الأسماء التي تحولت بدورهاإلى ألقاب لأسر تعود إلى أصول تركية،وقد إنتشر أبناء أسرة قارة في كل من مدينة قسنطينة، ميلة، مستغانم، تلمسان والبليدة. وللإشارة فقد أقدمت الإدارة الفرنسية سنة 1863م على تغيير47% من الأسماء العربية والبربرية ولم تغير أسماء الكراغلة.[1]

أما عن الإحصائيات المتعلقة بأعداد الكراغلة سواء من حيث المجموع العام أو حسب توزيعهم الجغرافي، فقد إختلفت التقديرات التاريخية حول هذا الموضوع كما غلب عليها التقريب دون التحديد والضبط، ولعل السبب الرئيس في ذلك يعود لقلة إهتمام الإدارة العثمانية أصلا بقضية الإحصاء الديمغرافي، الأمر الذي إنكعس سلبا على إمكانية تقديروضبط العدد الحقيقي لمختلف الفئات الإجتماعية من خلال المصادر الأصلية كالسجلات. فقد ذكر بوير أنه في سنة 1621م كان في أيالة الجزائر5000 كرغلي مقابل 10.000تركي، كما أشارنفس المؤرخ إلى أنهم كانوا يشكلون أغلبية سكان تلمسان(منهم 500جندي)المقدر عددهم بحوالي 10.000نسمة حسب ماورد في بعض الوثائق[2]، ويتفق مارسيل إميريت مع بوير في هذا التقدير وذلك بناء على تقارير الضباط الفرنسيين[3]، في حين ذهب ناصر الدين سعيدوني إلى أن الكراغلة كانوا يشكلون الأغلبية بمدينة تلمسان ويؤلفون شبه حكومة خاصة بهم ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر[4].

من جهته قدر حمدان خوجة عدد الزواتنة سنة 1629م بحوالي ثمانية إلى عشرة آلاف نسمة[5]، نسمة[5]، وهم الكراغلة الذين طردوا من مدينة الجزائر كما سنبينه فيما يأتي.

---

[1]– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص ص 262–263 .

[2]– Boyer,Pierre. Le probléme Kouloughli, op.cit,p81-87.

[3]- Emerit(M): les Tribus Privilegiées en Alger ,op.cit,p 46.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[5]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص117.

وفي حين قدرفانتور دو بارادي عدد الكراغلة سنة 1754م بحوالي عشرة الالاف نسمة[1]نجد أن وليام شالر يقدرهم سنة 1825م ب عشرين ألف نسمة[2]، أما التقارير الفرنسية فأحصت حوالي 5 إلى 6آلاف كرغلي في الجزائر بعد الحملة الفرنسية[3]، ويبدو أن هذا العدد يتعلق بالكراغلة في مدينة الجزائر وحدها.

وعلى العموم فقد تفوق الكراغلة على العثمانيين من الناحية العددية في أيالة الجزائرلعوامل عدة منها تزايد الزيجات بين الجزائريين والعثمانيين خاصة في باليلك الشرق، مقابل تراجع إستقدام المجندين من المشرق ، كما كان الكراغلة كانوا أكثر إنتشارا وتوزعا عبر أنحاء الأيالة مقارنة بالأتراك الذين تركز وجودهم في المدن ، في حين كان هناك كراغلة تواجدوا في الأرياف كالزواتنة .

ورغم تناقص عدد السكان في الجزائر نتيجة الأمراض والمجاعات وإنتهاج الحكام الأتراك سياسة الحد من تزاوج الجند العثماني بالجزائريات، وتسليطهم العقاب على كراغلة الجزائر وترحيل جماعات كثيرة منهم إلى واد الزيتون[4]، إلاأن عدد الكراغلة لم يتناقص كثيرا. ففي منتصف القرن السابع عشر كان عدد العائلات الكرغلية في مدينة الجزائر 1600 عائلة[5]، ليبقي عددهم يتراوح ما بين بين 4000و6000نسمة أواخر القرن الثامن عشر(1781م)، ثم تزايد حتى ناهز 9000 نسمة في أوائل القرن التاسع عشر، في وقت كانت تتعرض فيه الجزائر إلى إنهيار ديمغرافي مريع. وعند الإحتلال الفرنسي قدرت السلطات الفرنسية عدد الكراغلة بحوالي 4000 نسمة في مدينة الجزائرو20.000 نسمة في كل البلاد[6]، ليصل تعدادهم خلال السنوات الأولى للإحتلال إلى 500 جندي في تلمسان، 504 في مستغانم، 500 في مازونة، وثمانون عائلة في قلعة بني راشد[7].

إن إختلاف هذه الأرقام مرجعه كما تقدم غياب الأليات العلمية الدقيقة في الإحصاء ماجعل معظم الأرقام تأتي تخمينية و تقريبية، وقد عبر عن ذلك وليام شالر بقوله: "والمعتقد أن عدد الكورغليين الذين ينحدرون من أصل تركي يبلغ في البلد نحو عشرين ألفا"[8]مع العلم أن وليام شالر كان كان قنصل أمريكا في الجزائر خلال الفترة من 1816إلى 1824م.

---

[1]-Venture (De Paradis),op.cit, p116.

[2]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص و

[3]– جميلة معاشي ، الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير، مرجع سبق ذكره، ص88.

[4]– أنظر الفصل الثاني ص 145 ومابعدها.

[5]– وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره، ص 43.

[6]– ناصر الدين سعيدوني،المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[7]– Emerit(M): les Tribus Privilegiées en Alger , op.cit,p46.

[8]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 56.

كما أن قراءة بسيطة في الإحصائيات المتعلقة بديمغرافيا كراغلة أيالة الجزائر، توصل إلى إستنتاجين هامين :

أ- تزايد أعداد الكراغلة مقابل تناقص أعداد العثمانيين، مثال ذلك ماأورده القنصل الفرنسي جون أنطوان فاليير(VALLÉRE) في مذكراته حول تعداد سكان الجزائر، حيث ذكر أن عدد الأتراك في الجزائر بداية القرن 18م كان حوالي عشرآلاف نسمة، ليتراجع هذا العدد خلال نفس القرن إلى مابين ستة آلاف وسبعة آلاف نسمة، مقابل عدد الكراغلة الذي كان يتراوح مابين أربعين وستين ألف كرغلي[1]في كل الأيالة، وللإشارة فإن هذا أكبر تعداد للكراغلة وجدناه ضمن مختلف الكتابات التي تناولت هذا الموضوع.

من جهته يقدم لنا المؤرخ والسياسي الفرنسي البارون"جون جاك بود" (BAUDE)إحصائيات تتعلق بتعداد الكراغلة والعثمانيين في أيالة الجزائر سنة 1829م ، حيث ذكر أن تعداد الكراغلة بباليك التيطري بلغ 1415 نسمة مقابل 250 تركي فقط ، أما في باليك الغرب فبلغ عددهم 1402 مقابل 1300 تركي ، في حين تجاوز عدد الأتراك في كل من قسنطينة ومدينة الجزائر عدد الكراغلة ، حيث قدر عددهم على التوالي 1700نسمة و3976 نسمة مقابل 1130كرغلي في قسنطينة و2076 بمدينة الجزائر[2]، ولعل السبب في ذلك يعود إلى طبيعة هذين الباليكين فمدينة الجزائر تعتبر قاعدة الأتراك الأساسية، أما مدينة قسنطينة وعموم باليك الشرق فإنه لم يشهد صراعات بين الكراغلة والعثمانيين كما حدث في بقية مناطق الأيالة، فضلا عن موقعه الإستراتيجي والإقتصادي، ماجعل هذا الباليك محل جذب للأتراك.

ب- إن تزايد أعداد الكراغلة خاصة في أواخر الوجود العثماني بالجزائريعكس بدوره مدى إقبال العثمانيين على مصاهرة الجزائريين في هذه المرحلة بالذات، كما يؤشر لمدى تعامل الحكام مع هذه الظاهرة ومحافظتهم على أصول التربية الإنكشارية الأولى، والتي لم تعد كما كانت عليه في السابق من حيث القيود السياسية والإقتصادية، ما رغب الكثير من الجنود في الزواج والإستقرار.

➢ رابعا/ مكانة ودور الكراغلة في التركيب الإجتماعي لإيالة الجزائر:

يقصد بالتركيب الإجتماعي التقسيم الذي تعرفه المجتمعات على أساس معيار الثروة والسيادة[3]، وقد يراد به مجموع الفئات التي تكون النسيج والبنية الإجتماعية لبلد ما خلال فترة زمنية معينة، حيث إن هذه المكونات قد تتفاوت من حيث الترتيب في السلم الإجتماعي تبعا لمعطيات مختلفة إقتصادية وسياسية ودينية وغيرها .

---

[1]- Vallére,C.Ph, op.cit,p 19.

[2]- BAUDE,Jean-Jacque, op.cit,pp 357-358.

[3]- حليمي عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 368.

وقد عرف مجتمع الجزائر العثمانية على غرار بقية المجتمعات عدة فئات وطوائف قسمها الباحثون إلى طبقات، إستنادا إلى مجموعة من المعايير المختلفة كالنشاط الإقتصادي والعلاقة بالسلطة وموقع التجمع السكاني، والتي تحكمت في الوضع الإجتماعي لكل فئة وجعلت السكان يتمايزون في شكل جماعات مختلفة.

بالنسبة لموقع الكراغلة ضمن النسيج الإجتماعي، فقد أجمعت مختلف الكتابات التاريخية على تصنيف الكراغلة في المرتبة الثانية إجتماعيا خلال فترة الوجود العثماني بالجزائر. وذلك على أساس مجموعة من المعطيات،منها خاصة موقعهم من العثمانيين الحكام وصلتهم بهم وعلاقتهم الخاصة بالأهالي[1]، بالإضافة إلى وضعيتهم الإقتصادية وطبيعة الحرف والمهن والوظائف الإدارية التي مارسوها والتي أهلتهم لإحتلال المرتبة الثانية إجتماعيا ولعب أدوار مختلفة. فقدإعتبر **بوير** الكراغلة فئة حضرية تركزت في المدن الكبرى، ونظرا لإرتباطهم بالعنصر المحلي وإنتمائهم العرقي فقد شكل الكراغلة عنصر ربط بين المجتمع والعناصر الحاكمة[2]، كما لعبوا دور الحلقة العازلة التي قللة من الإحتكاك الإجتماعي في مستويات الزعامة[3]، ومع مرور السنين وكنتيجة لتمتعهم بالإمتيازات الإقتصادية والإجتماعية شكل الكراغلة طبقة أرستقراطية[4] حضرية إلى جانب الأتراك والحضرخاصة في باليلك الغرب، حيث ومن خلال مشاركتهم في تسيير شؤون البايلك شغل الكراغلة بعض المناصب الإدارية الهامة ، غير أن هذا لايعني أنهم كانوا يتمتعون بنفس حقوق وإمتيازات التراك ، بل كان الحكم المركزي يرى فيهم مساعدين وأعوان لإدارته[5]ضمن حدود معينة لايسمح بتجاوزها، وإن كانوا لايتعرضون للمضايقات التي تتعرض لها الفئات الإجتماعية الأخرى[6].

لقد كان من سياسة العثمانيين في المصاهرة خاصة في المراحل الأولى إستهداف العائلات الثرية والبرجوازية[7] في المدينة، وممثلي الجماعات المحلية الثائرة بالريف خاصة العائلات الكبرى

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[2] -Boyer,Pierre. Le probléme Koulougli, op.cit,pp 87-88.

[3]– وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره، ص 82.

[4]– الأرستقراطية: كلمة يونانية مركبة من كلمتين aristos وتعني الفاضل أو الجيد و kratos وتعني القوة أو السلطة، وتعني أساسا حكم أفضل المواطنين لفائدة جميع كل المجتمع . فالأرستقراطية هي حكم الأفضلين، أو سلطة خواص الناس، كما كانت تطلق على الطبقات الاجتماعية التي ورثت الثراء والجاه .وهي غير البرجوازية التي تطلق عادة على أصحاب الحرف ورؤوس الأموال. وفي الجزائر العثمانية تشكلت الطبقة الأرستقراطية من الفئات الحاكمة بمختلف انتماءاتها حيث كانت هذه الفئة تتشكل من الأقلية التركية اضافة الى الكراغلة والبلدية ذوي الأصل الحضري.
للمزيد حول الموضوع أنظر الوليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص 112.

[5]– الوليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص 114.

[6]–ROZET(M)et CARETTE(E), Algerie états tripolitains,éd Bouslama,Tunis1980,p13.

[7]- البرجوازية(Bourgeoisie) مصطلح فرنسي يشير الى طبقة اجتماعية تمتلك الثروة المالية ، وقد تمتهن الحرف، وفي المجتمع الرأسمالي تطلق على الطبقة المسيطرة والحاكمة على أساس الثروة،وهي طبقة غير منتجة لكن تعيش= = من فائض قيمة عمل العمال.أما الحضر فهم الذين يقطنون المدن بصفة دائمة ،ويكتسبون أسلوب حياتها، كما أطلق عليهم "البلدية" خلال العهد العثماني، وهي طبقة تتشكل من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن ، ومايإنضم إليها من

الإقطاعية والمرابطية مما أفرز تلاحم بين الطرفين. وفي هذا الصدد أشارحمدان بن عثمان خوجة إلى أن الجنود كانوا شديدي الحرص على إحترام عادات البلاد وحسن السيرة، حتى يسهل عليهم مصاهرة الأسر المحافظة في المدن الحضرية والقبائل ذات السمعة الإدارية والعسكرية، بل ذهب في معرض حديثه عن نتائج الصراع بين الأتراك والكراغلة إلى أنه وبسبب هذا الصراع فوت الأتراك على أنفسهم فرصة الإستفادة من نفوذ أصهارهم وأقاربهم في البلاد[1].

أما سيمون بفايفر فقد عزى مكانة الكراغلة الإجتماعية إلى أن أبائهم الأتراك قلما يتزوجون قبل أن يتقلدوا وظيفة مريحة ويستطيعوا الزواج من إمرأة ثرية[2].

وعليه ومن خلال ماتقدم نخلص إلى أن الكراغلة قد ورثوا عدة خصائص ومميزات عبرت عن طبيعة التمازج الذي حدث والتأثيرات التي أدخلها العثمانيون في الحياة الإجتماعية للجزائريين، فمن جهة أبائهم تمثلت تلك التأثيرات في ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع المشرقي من خلال العادت والتقاليد التي جلبها العثمانيون معهم خاصة ماتعلق بالمأكل والمشرب والصنائع[3]، أما من جهة أمهاتهم فقد ورث الكراغلة الخصائص الإجتماعية التي منحتهم إمتيازات وجعلت منهم فئة بورجوازية حضرية[4]، أي طبقة عريقة التحضر وصاحبة مداخيل إقتصادية ناجمة عن إملاك عقارية ، ونشاطات تجارية وحرفية، وفئة مثقفة تعيش من مردود خدماتها الإدارية والتعليمية[5]، وهذا مايفسر إنشغال الكراغلة بجملة من الحرف والمهن والصناعات وإمتلاكهم للعقارات والمناطق الزراعية[6].وقد كانت المهنة ولازالت هي التي تحدد موضع الفرد أو الطائفة في الترتيب الإجتماعي.

لقد نشأ أغلب الكراغلة في بيئة محاطة بالمؤثرات العثمانية والحضرية، وورثوا مهنا وحرفا أهلتهم مباشرة لوضعية إجتماعية بعينها، ولعل التدقيق في هذه المؤثرات يقودنا إلى أستنتاج مفاده أن الكراغلة ورثوا عن أبائهم نفسية وتوقا نحو السلطة والثروة سرعان ما نافسهم أبائهم عليها، في حين ورثوا من وضعية أمهاتهم إمتيازات إقتصادية وإجتماعية.

وفي سعي الكراغلة نحو تحصيل الإمتيازات السياسية التي حرم منها الأهالي حاكوا أبائهم من حيث العادات والتقاليد كلبس المطرز بالذهب مثلا[7]، فضلا عن النفسية المتعالية والشعور بمركب

أشراف وأندلسيين .اهتم أفراد هذه الطبقة بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم واتساع مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن. للمزيد أنظر: ناصر الدين سعيدوني،المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص97.

[1]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 119.

[2]– بفايفر سيمون، مصدر سبق ذكره، ص 184.

[3]– أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 143.

[4]–RAYMOND André,Grandes villes arabes a l'epoque Ottomane,Paris,Sandbad,1985,p78.

[5]– الوليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص116

[6]– المرجع نفسه، ص 116.

[7]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص56.

العظمة[1]. والحاصل أن الكراغلة وكبقية مكونات المجتمع الجزائري أنذاك، تأثروا بكل المؤثرات العثمانية والتركية الأناضولية وذلك من طرق ومجالات عديدة كاللغة وتقاليد اللباس والتجهيز المنزلي[2].

وفي مجال اللغة مثلا كانت اللغة التركية العصمانلية هي اللغة الرسمية للأيالة[3]، وبفضل معرفة معرفة الكراغلة لهالعبوا دور واسطة الإتصال بين الحكومة والأهالي[4].

لكن يبدو أن تقليد الكراغلة للعثمانيين لم يكن يروق هؤلاء، بدليل مآذكره وليام شالر من أن ملابس الكراغلة المطرزة بالذهب كانت تخضع لإذن مسبق من أبائهم ، بل إنه نفى عنهم أية علاقة بالأتراك[5]، وقد فسر روزي هذا التصرف من خلال وصف حياة الأتراك بالجزائر على "أنهم كانوا يعيشون في عزالة عن الأهالي، رغبة منهم في المحافظة على مناصبهم الحكومية ووضعهم الإجتماعي"[6]، ولذلك فإن محاكات الكراغلة لأبائهم من شأنها أن تشكل إختراقا وتجسيرا للفجوة الإجتماعية والسياسية التي حرص العثمانيون على ترسيخها في أيالة الجزائر.

من جهة أخرى فقد تفاوت الكراغلة في محاكات وتقليد آبائهم العثمانيين، بحيث إنسحب هذا التفاوت على نمط حياتهم الإجتماعية. من ذلك عاداتهم في اللباس، حيث وصف وليام شالرلباس الكراغلة بأنه "مزين بالقصب وبحواشي الذهب أو الفضة أو الحرير طبقا لغرور الشخص ونزواته، و شكل العمامة وثناياها ونوع المادة التي صنعت منها هي المقياس الذي يحكم عليه الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها"[7]، في حين وصف روزي لباس الكراغلة بأنه "لايختلف عن لباس الأندلسيين، إلا أن هندامهم أكثـــر أناقة وملابسهم أكثر نظافة مـــن هندام ولباس الأندلسيين فهم متأثرون بالنمط الأسيوي"[8]، وفي هذا الوصف لروزي إشارة صريحة إلى تأثر الكراغلة بالعثمانيين في هذ الجانب.

من جهته تحدث سيمون بفايفر عن دور الكراغلة ومكانتهم الإجتماعية، وإن كنا نورد هذه الشهادة بتحفظ لأنها تضمنت وصفا وإنطباعات شخصية ومن طرف واحد ، فقد وصف الكراغلة بأنهم

7– Gaid ,Mouloud,op.cit,p23.

[2]– وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره، ص ص 85–86.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 85-86.

[4]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 88.

[5]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص56.

6- Rozet(M).Voyage dans la régence déAlger ou description du pays occupé par l'armee francaise en afrique,Arthus Bertrand,lib,Iditeur,Paris,1833,3T,T2,p277.

[7]–وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص82.

[8]–Rozet(M).Op.cit,p293.

يبدو أن هذا الرأي لروزي (Rozet)، يتعلق بأندلسيين غير ميسوري الحال، وإلا فإن الأندلسيين كانوا بدورهم يشكلون مجموعة حضرية تميزت بأناقة الهندام والذوق في الملبس والمتاع ، وقد وصف الرحالة الألماني"هاينريتش" حضر الجزائر بأنهم غالبا ما يضعون حزاما يظهر فخامة ثيابهم.

للمزيد أنظرهاينريش فون مالتسان ، مصدر سبق ذكره،ج1، ص 57 .

كانوا يلعبون" دورا كبيرا في مدينة الجزائر وذلك نظرا للثراء الذي يتمتعون به، إذ من النادر العثور على فقير بينهم " ،كما وصف علاقتهم ببقية سكان مدينة الجزائر بأن هؤلاء كانوا "يعانون هم وأسرهم يوميا من قسوة الفاسقين" (يقصد الكراغلة)، ورغم ذلك فهم لايستطيعون أن يشتكوا من تصرفات أبناء موظفيهم المعتبرين، وقد وجد الآباء والأقرباء أنفسهم عاجزين عن إيقاف أبنائهم والحيلولة بينهم وبين الأعمال الدنيئة التي يمارسونها ضد بقية المواطنين ، وتغض الحكومة نفسها الطرف عن ذلك حتى لاتضطر لمعاقبة أبنائها"[1].

إن مراجعة الكتابات حول علاقة الكراغلة بمختلف فئات مجتمع الجزائر العثمانية، تفضي إلى حقيقة مفادها أن هذه العلاقة لم تكن على وتيرة واحدة أو طابع محدد ، كما أنها تغيرت خلال مدة التواجد العثماني بالجزائر، فهناك فترات كان الكراغلة فيها أقرب للسكان، بحيث تقاسموا معهم كره العثمانيين وحب التخلص منهم والتحالف ضدهم .تجلى ذلك من خلال الثورات والتمردات التي شارك فيها الكراغلة أو قادوها بأنفسهم، وهناك فترات كانوا أميل فيها إلى الأتراك منهم إلى السكان خاصة مع نهاية الوجود العثماني بالجزائر لما إحتاج لهم العثمانييون لتغطية العجز في الجيش فتقاربت مصالح الطرفين.

أما في الريف فكانت علاقة الكراغلة[2] بالقبائل التي تجاورهم تقوم على أساس القواعد التي تحكم الحياة الإجتماعية في الريف، وهي رعاية المصالح الخاصة بالدرجة الأولى والتعصب للقبيلة ولذلك نجد سيمون بفايفر يقول عن الزواتنة أنهم " يحتقرون الأتراك بقدر مايحتقرون القبائل ، ويبدو أنهم لايحبون إلا من هو زيتوني"[3].

فمثلا ومن خلال دراسة وتحليل الإحداث التي عرفتها أيالة الجزائر والمرتبطة بالكراغلة، نستنتج أن علاقتهم بفئة المزابيين لم تكن جيدة[4]، أما علاقتهم باليهود وخاصة الكراغلة المطرودون من من مدينة الجزائر بعد أحداث سنة 1630م[5] فكانت مالية بحتة، في حين أن علاقة الكراغلة بالقبائل عرفت فترات تحالف ضد العثمانيين خاصة طائفة الإنكشارية منهم، نظرا لموقفها من تجنيد كل من الكراغلة وزواوة منذ عهد حسن باشا بن خير الدين[6].

---

[1]– بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، ترجمة وتعليق أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1998، ص ص 184–185.

[2]– من أشهر القبائل الكرغلية التي عرفت بالريف الجزائري قبيلة الزواتنة نسبة لواد الزيتون "نواحي الأخضرية".

[3]– بفايفر سيمون، مصدر سبق ذكره، ص 185.

[4]– تجلى ذلك خاصة من خلال مشاركة المزابيين في قمع ثورة الكراغلة سنة 1630م، للمزيد أنظر الفصل الثاني ص ص 143 ومابعدها.

[5]– كانت هذه العلاقة ذات طابع سياسي مالي بحت ، تجلى ذلك من خلال تدخل اليهود وتوسطهم في عملية منح مرتبات مرتبات الكراغلة الذين طردوا من مدينة الجزائر بعد أحداث سنة 1630م . للمزيد راجع حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[6]– HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit23.
للمزيد حول الموضوع أنظر:جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 130.

وقد خلصت في الأخيرإلى أن الكراغلة وإن كانوا كفئة إجتماعية يصنفون في المرتبة الثانية في السلم الإجتماعي، إلا أنهم تفاوتوا وإختلفوا في علاقاتهم الإجتماعية. فإذا كان الكراغلة في دار السلطان وبايلك الغرب عرفوا بثوراتهم ضد الحكام ، فإن ظاهرة إندماج الكراغلة في المجتمع ببايلك الشرق وفي مدينة قسنطينة تحديد كانت ظاهرة مميزة، حتى أن من الباحثين من يؤكد على أن قسنطينة لم تعرف فئة خاصة بالكراغلة إلا في القرن الثامن عشر الميلادي[1]، في حين أن علاقة كراغلة تلمسان بالعرب والأهالي كانت عكس ما كان عليه واقع كراغلة شرق الجزائر، فقد ذكر مسلم بن عبد القادر أن " الفتن واقعة بينهم (يقصد الكراغلة) وبين عرب البلد، وطالت وإتصلت على الوالد والولد[2].

كما تجدر الإشارة إلى أن الكراغلة في علاقتهم بالعثمانيين كانوا أقرب إلى رياس البحر منهم إلى الإنكشارية ، فقد ساند الكراغلة عناصر الطائفة ضد الإنكشارية لإعتقادهم أن الرياس سيمنحونهم بعض المناصب، في حالة إنتصارهم على الإنكشارية [3]. وقد تمكن الكراغلة من خلال وضعهم وثقلهم الإجتماعي من الإضطلاع بعدة أدوار ما فتئت تتزايد أهميتها، يتضح ذلك من خلال تلقدهم لبعض الوظائف العامة في حدود معينة، ويبدو أن هناك عوامل عدة تضافرت وأسهمت في تزايد دور الكراغلة وأهميتهم في أيالة الجزائرمنها تزايد عددهم، فقد أصبحوامع نهاية القرن السادس عشر يقدرون بنصف عدد الأتراك،ثم تحولهم بعد فترة قصيرة إلى طبقة وسطى ميسورة الحال تمارس التجارة وتشتغل بالمهن وتستثمر الملكيات الزراعية بالفحوص[4]، وفي أواخر العهد العثماني إزدادت أهميتهم نظرا لتراجع دور الرياس والإنكشارية وتحول الكراغلة إلى وسيط مهم بين العثمانيين والأهالي ، مما أجبرحكام الأيالة على الإعتماد عليهم،الأمر الذي إنعكس إيجابا على مكانتهم ودورهم الإجتماعي .

---

[1]– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص361.

[2]– مسلم بن عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص87 .

3-GARROT,H,Histoire générale de l'Algerie , imp, Cresenzo Vautes,Alger,1910,p478.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص95 .

الفحص: منطقة جغرافية تابعة لدار السلطان وهو إمتداد لمدينة الجزائر من الناحية البشرية والحضرية، يتكون فحص مدينة الجزائر من المنطقة الشرقية لإقليم الساحل، ويمتد إلى مايزيد عن إثني عشر كيلومتر عن أسوار مدينة الجزائر،وتحده أوطان بني خليل والخشنة وبني مسوس، وينقسم فحص الجزائر إلى ثلاث جهات تعرف عادة بفحص باب الجديد وفحص باب عزون وفحص باب الوادي. يشرف على أمن فحص الجزائر، رجل يسمى "قائد الفحص"أو محافظ الفحص. وحسب لويس رين فإن وطن الفحص كان يتكون من سبعة فحوص أو مناطق هي زواوة، بوزريعة، بني مسوس، عين الزبوجة، بيرخادم، القبة والحامة. وللإشارة فإن قيادة الأوطان كانت تسند للعناصر التركية والكرغلية على أساس العضوية في الوجق،في حين تم إقصاء العنصر الأهلي من تولي هذه الوظيفة. للمزيد حول الموضوع أنظر:

حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 131.

حنيفي هلايلي،أوراق في تاريخ الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 89 ومابعدها. وكذلك :

RINN.Louis ,op.cit ,p146.

➢ خامســـــا/ مكانة ودور الكراغلة في الحياة الإقتصادية لإيالة الجزائر:

أشرنا فيما سبق إلى أن الكراغلة وبحكم إستقرار معظمهم في المدن فقد غلب عليهم الطابع الحضري الذي ورثوه وتأثروا به، وقد كان من ميزات الحضر هوالمشاركة في الحياة الإقتصادية بفاعلية كبيرة ، من خلال الإشتغال بالمهن الصناعية والأعمال التجارية حيث ظهر في هذه الطبقة الصناع المهرة والتجارالنشيطون[1]، وفي هذا الإطار فقد إحترف الكراغلة عدة أنشطة إقتصادية إحتكروا بعظها وشاركوا غيرهم من الحضرفي البعض الأخر، فكان منهم التجار والحرفيون ، وقد شكلت المدن مقرا للحرف الحضرية والمراكز التجارية .

من الحرف التي عرف بها الكراغلة في بايلك الغرب إنتاج الأنسجة الملونة والذي كان يتطلب تقنيات هامة[2]. وهذا يستدعي إمتلاك ورشات حرفية عرفت درجت من التوسعوالنمو، حيث كان هذا النموذج أكثر وضوحا في تلمسان ، كما عرفت المدن الأخرى هذه الظاهرة ولكن بدرجات متفاوتة ، وغالبا ماشكلت فئة التجار فئة تسيطر على المجال الحرفي خاصة النسيج[3]،ولأن التجارة توفر نمط حياة أكثر إستقرارا وأخطارها قليلة[4] فقد إشتغل بهاالكراغلة،وقد كان من العرف السائد إطلاق كلمة تاجر على تجار الجملة الذين شكلوا بورجوازية متوسطة تحكمت في السوق، أما صغار التجار فكانوا يدعون بالحوانتي[5].

لقد إهتم الكراغلة بالتجارة لدرجة ضيقوا فيها على أنشطة التجار الجزائريين ولعبوا دورا في تعميق أزمتهم، وفي المقابل ظهر من بين الكراغلة تجار وملاك كبار تمتعوا بإمتيازات خاصة[6].

في مدينة الجزائر يبدو أن إهتمامات الكراغلة في المدينة بالجوانب السياسية والعسكرية أثرت على نشاطهم الإقتصادي ، حيث لم نعثر على أي إشارة لهم في هذا المجال فيما تيسر لي تحصيله من مصادر ومراجع، وأغلب ما كتب في هذا المجال يتناول الفترة المتأخرة من الوجود العثماني أومرحلة الإحتلال الفرنسي[7]. وفي هذا الصدد فقد كتب كل من الرحالة الألماني موريتس فاغنروالضابط الفرنسي روزي عن نشاط الكراغلة الإقتصادي، حيث أشار فاغنر إلى إشتغال الكراغلة بالتجارة

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص97.

2-BEL Alfred et RICARD Prosper :Le Travail de la laine a Tlemcen,Alger,Jourdan,1913,p60.

[3]– الواليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص 121.

[4]-HAEDO(FD),Topographie et Histoire générale d'Alger, in RA N°15,Alger1871,Op.cit.p52.

[5]– الواليش فتيحة ، مرجع سبق ذكره، ص 74.

[6]– حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص20. للمزيد أنظر: عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، الجزائر وتونس وليبيا(1816–1871)، زغوان، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات 1985، ص ص 34–35.

[7]– يشير المؤرخ ناصر الدين سعيدوني إلى أن مدينة الجزائر كانت تتوفر خلال الربع الأول من القرن السابع عشر(1623م)، على نحو3000 تاجر و1200 خياط و600 مربي لدودة الحرير و200 نساج و180 سكاك و80 حداد وعددآخر من الصناع الذي لا يخلوا من عناصر كرغلية. كما أن الكراغلة كانوا من أصحاب الملكيات الخاصة (أراض فلاحية) الواقعة بجوار المدن، مثل الملكيات الواقعة بالقرب من مدن الجزائر وقسنطينة ووهران. أنظر ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص49 وما بعدها.

وغلبتهم عليها ومدح دكاكينهم الموجودة في شارع الديوان، ذات البضاعة المتنوعة والمنظمة بصورة تدل على ذوق أصحابها الذين هم في الغالب من الكراغلة، مقابل ذمه لدكاكين التجار من الأهالي التي لاتلفت الأنظاركونها صغيرة وتافهة.

ويبدو من وصف فاغنر لطبيعة البضاعة المعروضة في دكاكين الكراغلة، إشتغالهم بالصناعة النسيجية اليدوية، مثل صناعة أكياس الصيد وزكائب السيدات وأحذية الأطفال وغيرها[1].

وعلى عكس فاغنر أشار روزي إلى أن الكراغلة في مدينة الجزائر لايمارسون أي حرفة أو مهنة مما دفعه إلى الإستنتاج أنهم يعيشون على الثروة التي تركها لهم أبائهم الأتراك،إذ أن الكثير منهم يملكون خارج المدينة ديار جميلة وأراضي زراعية[2]. ويظهرأن مرجع هذا الإختلاف المرتبط بنشاط الكراغلة الإقتصادي يعود أساسا إلى أوضاعهم العامة في مدينة الجزائرخلال مختلف فترات الوجود العثماني، ومدى تأثير ذلك على إستقرارهم ونشاطهم، ذلك أن الكراغلة في مدينة الجزائر لم يعرفوا الإستقرار السياسي إلا في أواخرالوجود العثماني، وهوالوضع الذي إنعكس إيجابا على نشاطهم الإقتصادي مما جعلهم من كبارمتعاطي التجارة، وظهر من بينهم تجار وملاك كبار، إمتلكوا وورثواأخصب الأراضي إلى جانب الأتراك والحضر الموسورين كما هو شأن حمدان خوجة الكرغلي الذي يذكر عن نفسه: " إنني أحد المالكين في المتيجة، وأزرع سنويا في هذا السهل، ولحسابي الخاص، حوالي مائة وستين حمولة جمل من القمح، وحوالي مائة أو مائة وعشرين من الشعير" [3].

هذا وتشير الدراسة التي أجراها طال شوفال، من خلال إستغلال سجلات الأوقاف، إلى المشاركة الفاعلة للكراغلة في مختلف عمليات الوقف ، وإن لم تكن تلك السجلات تذكر دائما وصف الكرغلي عند الإشارة إلى صاحب الوقف ، وتعوضها بصفة إبناء الجنود الأتراك .كما تؤكد نفس الدراسة على ضعف مشاركة الكراغلة في الحياة الإقتصادية خاصة مايتعلق بإحتراف المهن ،فمن بين 94 عقد حبوس (وقف) للكراغلة، نجد إشارة إلى عشرة منهم فقط يمارسون مهنة[4].ولعل هذا التحليل يعضد ويوافق ماذهب إليه فاغنر من إشتغال الكراغلة بالتجارة ، كما يؤكد ماأشار إليه روزي من عدم أو قلة ممارسة الكراغلة للحرف والمهن ذات الطابع الإقتصادي المنتج .وإعتمادهم على إستغلال ماورثوه من أبائهم ، حتى أن سيمون بفايفر أورد في مذكراته أنه من النادر العثور على فقير بين الكراغلة في مدينة الجزائر معللا ذلك بأن أبائهم قلما يتزوجون قبل الحصول على وظيفة مريحة ويستطيعون الزواج من إمرأة ثرية. كما وصف أعمالهم التجارية بأنها صغيرة لاقيمة لها ، أما أغنياء الكراغلة فذكربفايفرأنهم لايفعلون أي شيئ ، وأنهم تعودوا منذ الصغر على تزجية أوقاتهم في نعيم

[1]– أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830–1855،م.و.ك،الجزائر1989،ص 111.

[2]- Rozet(M).Op.cit,p293.

[3]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 49.

[4]– Shuval,TAL, op.cit,p111.

بساتينهم البديعة وحريمهم المترف مستسلمين للمتع والملذات الدنيئة، وعن كراغلة واد الزيتون أو الزواتنة فيبدوا أنهم مارسوا جانبا من الفلاحة وهو زراعة الزيتون بحكم موقع بلادهم التي تنتج الزيتون[1] .

أما فقراء الكراغلة فقد أشاربوير إلى أنهم عادة مايكونون في خدمة الدولة ولايمارسون أي تجارة أوحرفة[2]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكراغلة الذين طردوا من مدينة الجزائر وتوزعوا على مختلف أنحاء الإيالة بعد أحداث سنة 1630م التي سيرد تفصيلها، ظلوا يتقاضون مرتباتهم من الدولة خوفا من إثارة سخطهم[3].

بالنسبة لأوضاع الكراغلة الإقتصادية في بايلك الشرق، فيبدوأن إندماجهم في المجتمع وإستقرارهم السياسي قد ساعدهم على التموقع الإداري والإقتصادي، فقي قسنطينة استفاد الكراغلة من وصول عدد منهم إلى قمة الحكم بالبايلك، مثل حسين بوحنك، حسين بن صالح باي، عثمان بن محمد الكبيروالحاج أحمد باي، فقرب الباي الكرغلي أبناء عمومته ومنحهم المناصب السامية في إدارة البايلك. وكانت المناصب الإدارية من أهم الوسائل التي ساعدت الكراغلة في جمع المزيد من الثروات فبالإضافة إلى إستفادتهم من رواتب الجند لمشاركتهم في أعمال المحلة، إنخرطوا في الأعمال التجارية الكبرى، كماإمتلكوا الأراضي الخصبة والعقارات داخل المدينة وخارجها[4].وللاشارة فقد صنف التاجر في مرتبة عالية إجتماعيا وإقتصاديا مقارنة مع الحرفي[5] .

وبحكم صلتهم بالأتراك فقد إستفاد الكراغلة من نظام توزيع الأراضي الذي عرفته الجزائر في الفترة العثمانية، حيث نجدهم في تبسة مثلا يمتلكون كل أراضي الملك[6] المحيطة بالمدينة[7]. أما في غرب الأيالة فقد إمتازت حياة الكراغلة بمستوى إجتماعي وإقتصادي جيد، حيث يذكر الجنرال بوير في تقرير له عن كراغلة تلمسان الذين لجؤا إلى وهران سنة 1748م، أن معظم عائلاتهم كانت غنية تملك الكثير من العبيد، وتكتنز الذهب والحلي[8]. وقد إنتهج العثمانيون سياسة الترضية المالية

---

[1]– سيمون بفايفر، مصدر سبق ذكره، ص ص184–185

[2]– Shuval,TAL, op.cit,p111.

[3]- حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص117

[4]– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره ، ص ص 361–362

[5]– RAYMOND André ,op.cit,p88.

[6]– خلال العهد العثماني كانت حيازة الأرض تخضع لطبيعة تملكها،حيث عرفت عدة أصناف من الأراضي وكل صنف صنف يتميز بطبيعة ملكيته وعية حيازته وإستغلاله،فهناك أراضي الموات(هي الأراضي التي تركت بدون إستغلال ولم تكن في حوزة أي مالك أو متصرف)، وهناك الملكيات الخاصة وملكيات الدولة والملكيات المشاعة(أراص يعود التصرف فيها لكل القبيلة أو العرش بحيث تستغل جماعيا)، أراضي الوقف وهي الأراضي التي حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية.للمزيد حول الموضوع راجع: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، م.و.ك، الجزائر1986، ص40 ومابعدها.

[7]– هاينريش فون مالتسان، مصدر سبق ذكره، ج2، ص 59.

[8]– سلطانة عابد، الرسائل العربية بأرشيف وزارة الحربية الفرنسية دراسة لعينة من رسائل المخزن، الكراغلة وزعماء القبائل بإقليم وهران 1830–1843م، رسالة ماجستير، جمعة وهران ،2003، ص30.

والإقتصادية مع الكراغلة على خلفية الصراع على السلطة بين الطرفين كالإلتزام بدفع مرتباتهم شهريا، إلا أنهم حرصوا في نفس الوقت على عدم تمكين الكراغلة من الموارد المالية والإقتصادية[1] للأيالة، وإن سمحوا لهم بممارسة بعض الأنشطة الإقتصادية والتجاريـــة لتنمية ثـــروات أبائهم وإستغلالها، ولعل السر في بقاء الكراغلة ملتصقين بالحكم العثماني يكمن في حرصهم على الإمتيازات الممنوحة لهم، أو في طلب المزيد منها[2].

إن أهمية النشاط الإقتصادي الممارس من طرف أية فئة أو جماعة، تتمثل في كونه يؤشر لمكانتها وتصنيفها الإجتماعي ، وقد أشار لهذا المعنى ناصر الدين سعيدوني في معرض حديثه عن أهمية العامل الإقتصادي في تصنيف سكان المدن بقوله:"... كما أن العامل الإقتصادي جعل الدولة تنظر إلى سكان المدن على أنهم جماعات من الموظفين والأجراء والعمال والبحارة والجند والتجار والحرفيين(الصناع)، وحتى تصنيف سكان المدن حسب الإنتماء العرقي كان الهدف منه حماية الإمتيازات الإقتصادية والمكاسب المادية للطوائف المحظوظة فلو لم يكن هذا الدافع الإقتصادي لما حافظ الأتراك والكراغلة والأندلسيين أو اللبلدية والبرانية أو الدخلاء على تمايزهم العرقي طيلة العهد العثماني"[3].

وفي موضع أخر يذهب الدكتور سعيدوني أبعد من ذلك، إذ يجعل من العامل الإقتصادي أحد الفرضيات المفسرة لعدم تحول الحكم العثماني في الجزائر إلى حكم وطني، كون الإمتيازات الإقتصادية هي التي حالت دون ذلك ودفعت الطائفة التركية إلى التقوقع على نفسها لتحافظ على إمتيازاتها ولو أدى بها الأمر إلى إستخدام عناصر تركية أخرى من الأناضول، وسايرها في هذا التصرف الكراغلة من خلال موقفهم المتذبذب المتهالك على كسب الترضيات والقيام بدور الوساطة بين الأتراك والأهالي، ولو أدى بهم الحال إلى النظر إليهم على أنهم دخلاء[4].

- **سادســـا/ مساهمات الكراغلة في الحياة الثقافية والدينية لإيالة الجزائر:**

أ- **الإطار الثقـــافي الذي نشأ وعاش فيه الكراغلة:**

يخلع جمهور المؤرخين على الحياة الثقافية والعلمية في الجزائر العثمانية طابع الركود والجمود، مقابل حركة ثقافية ودينية كانت تضيئ بنورمعرفتها على جميع أرجاء القطر وخارجه قبل مجيئ الأتراك[5]. لتنحصر وتتركز بعد دخولهم الجزائر على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 225 .

[2]- المرجع نفسه، ص 226.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص ص 49-51

[4]- نفسه.

[5]- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، عدد خاص، جويلية- أوت 1975، ص 136.

وعقائد، وكان المذهب الفقهي السائد في البلاد هوالمذهب المالكي، وبعد إرتباط دولة الجزائر بالخلافة العثمانية ، عزز المذهب المالكي بالمذهب الحنفي الذي كان هو المذهب الرسمي للخلافة ، وكان من أثاره تعيين شيخ الإسلام للرئاسة الدينية بالبلاد، وكانت له مكانة حيث أنه كان الشخصية الثانية بعد الباشا[1].

وهناك من يرى أن حالة الركود والتدهور الثقافي قد بدأت قبل إستيلاء العثمانيين على السلطة بقرون[2]، في حين يصور لنا أبوراس الناصري الأوضاع الثقافية والعلمية في أيالة الجزائر نهاية القرن الثامن عشر قائلا "في زمن عطلت فيه مشاهر العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسبقد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان ، وأشرفت شمسها على الأفول[3].

وقد كانت حركة الثقافة والتعليم في الجزائر قبل دخول العثمانيين تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي مدينة تلمسان، بجاية وقسنطينة، كما إشتهرت بها أسر علمية توارثت العلم والمعرفة، كأسرة إبن مرزوق والمقري والعقباني في تلمسان، وأسرة إبن باديس وإبن قنفد والفكون في قسنطينة، وأسرة المشدالي والغبريني في بجاية.

والملاحظ أن حالة التعليم والثقافة قبل دخول العثمانيين في حواضر الجزائر وفي ريفها، لم تكن متوازنة أو حتى شبه متوازنة بين الحواضر وقطاع الريف، فبينما كانت الحواضر تحضى بالعلماء والمتعلمين كان الريف يعاني من وطأة الجهل والأمية[4].

أما خلال العهد العثماني فقد إنتقلت حركة التعليم إلى الريف، وإنتشرت في الجبال والسهول والصحاري كما حدث في بجاية بعد دخول الإسبان إليها، وذلك بفضل إنتشار الزوايا العلمية والدينية، حيث كانت معاهد التعليم تتمثل في الكتاتيب والزوايا والمساجد والمدارس، حيث أن الكتاتيب كانت تمثل المرحلة الإبتدائية إذ يلتحق بها الأطفال في سن السادسة لتعلم القراءة والكتابة[5].

وقد إنتشرة الزوايا في بداية العهد العثماني وأسهمت في نشرالتعليم سواء في الريف أوالمدن، فكانت زاوية سيدي قدورة بمدينة الجزائر مخصصة لإستقبال الفقراء من العلماء، كما تخصصت زاوية أولاد الفكون وزاوية رضوان خزجة في إستقبال أبناء الكراغلة والعثمانيين بمدينة قسنطينة، ونفس الحال كان بزاوية سيدي الحلوي الأندلسي بتلمسان، وزاوية تيزي راشد ببجاية والتي تتلمذ بها باي

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 126.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سبق ذكره، ص 181.

[3]– محمد بن أبي أحمد أبي راس الناصر، مصدر سبق ذكره، ص 53.

[4]– العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر،السنة1، العدد3، 1971، بدون رقم الصفحة.

[5]– T.SHAW,op.cit,p338.

التيطري المشهور بالذباح[1]. كما ظهرت المدارس في المدن حيث أسهم الحكام الأتراك في تأسيس بعضها، ولايختلف منهاج الدراسة في الزوايا عنه في المدرسة أو المسجد، فقد كان طلاب هذه المؤسسات يدرسون علوم القرآن والحديث والفقه والنحو واللغة والتوحيد، ويستكملون هذه الدراسات بعلم الحساب، كما كان التعليم في هذه المؤسسات يمثل جميع المراحل من الإبتدائية إلى مرحلة التعليم العالي، بحيث يتدرج الطلاب في دراسة الكتب من البسيطة إلى المعقدة ومن المختصرات إلى الكتب الموسعة[2].

كما كانت طريقة التعليم تقوم على الحفظ والإستظهار، فضلا عن تدريب الطلاب على الفهم وإعدادهم للبحث والمناقشة. وكانت عادة الجزائريين الميل إلى إعمال العقل وتدريبه ويعيبون على طلبة "فاس" نزعتهم إلى حفظ المسائل والنقل[3].

ب – **نماذج من إسهامات الكراغلة** :

من خلال هذه الأفكار التي تصور جوانب من واقع الحياة الثقافية في إيالة الجزائر، يمكن رسم ملامح البيئة الثقافية والعلمية التي نشأ فيها الكراغلة كما يلي :

– أباء إنصب جل إهتمامهم على الجوانب العسكرية والمالية والجهاد على حساب جهود نشرالعلم والمدنية ونحو ذلك من الإهتمامات[4].

– أخوال معظمهم حضر أو أندلسيين وهي فئة ضمت العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب والإداريين[5]، كما تميزوا بعادات وتقاليد في الملبس والمتاع، وبالتفنن في العمارة والنحت والموسيقى والغناء[6].

وهكذا فقد ورث الكراغلة من جهة أبائهم الإهتمام بالشؤون العسكرية والجهاد والصراع ضد القراصنة خاصة في العهود الأولى، ليتحولوا بعدها إلى الإهتمام بأمور التجارة والكسب[7]، خاصة بعد أن ضعف مردود النشاط البحري.

أما من جهة أخوالهم فقد تأثر الكراغلة بعادات المجتمع الجزائري وثقافته خاصة في المدن أين تواجد معظم الكراغلة. وفي هذا السياق يشير الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى أن:" هناك ثلاثة عوامل خارجية أثرت في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية للمجتمع الجزائري عامة خلال العهد

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 262–263.
[2]– العيد مسعود، مرجع سبق ذكره، ص ص 35–38.
[3]– إبن مريم، محمد بن أحمد التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن إبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر1908، ص 119.
[4]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سبق ذكره، ص 180.
[5]– المرجع نفسه، ص ص 149–150.
[6]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص ص 98–99.
[7]– يحي بوعزيز، مرجع سبق ذكره، ص67.

العثماني، الأول هجرة الأندلسيين التي بدأت خلال القرن التاسع وتقوت خلال العاشر، والثاني الوجود العثماني نفسه ويمكن أن نضيف إلى ذلك عاملا ثالثا وهو الوجود المسيحي واليهودي.

وقد كانت الأندلس إلى أخر عهدها رغم ضعفها السياسي هي المرحلة الراقية من تطور الحضارة العربية الإسلامية، فارتقت بوجود الأندلسيين في الجزائر العمارة وصناعة الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتب .أما تأثير العثمانيين فيتجلى في ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي ، فقد جاء العثمانيون بوسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مآكل وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد"[1]. وفي هذا المجال فقد ورث الكراغلة عن أبائهم المذهب الحنفي فكانوا أحنافا على شاكلتهم .

أما في مجال اللغة فالذي نستنتجه مما كتبه المؤرخ الأمريكي جون وولف في هذا الصدد ، أنه كان على الكراغلة الذين لم يتعلموا اللغة التركية وهم أطفال أن يتعلموا منها مايجعلهم قادرين على العمل في دوائر السلطة ، ذلك أن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية في الديوان وفي كل الإتصالات الحكومية[2].

ورغم شح المعلومات ذات الصلة بالموضوع، تمكنا من الوقوف على بعض مساهمات الكراغلة الثقافية والدينية بعد إستخراجها من مظانها:

* أشار إبن المفتي[3] في تقاييده إلى أن والده هو أول كرغلي يتولى منصب الإفتاء، فقال:- "ووالدي "ووالدي أول القلغاز في الخطة(أي وظيفة القضاء) وقد صانها وزينهابرفع الخصال، وكانت في أيامه ترد الأسئلة من البلد ومن الأماكن البعيدة، وقد يكون عددها في بعض الأيام في فصل الخريف نحو الثلاثين سؤالا، لأن ذلك زمان الخصام على أراضي الحراثة،وخصوصا يوم الأربعاء فإنه كانت تلقى فيه وتعرض على المجلس الشرعي"[4]، كما أشار إلى أن والده مكث في منصب الفتوى 12 سنة إبتداء من سنة 1691م .

* تضمنت تقييدات إبن المفتي أيضا إشارة إلى عدد من الكراغلة الذين تولوا منصب الإفتاء، أمثال محمد بن قرمان المتوفي سنة 1606م، ومحمود بن قرمان المتوفي سنة 1655م وقد تولى أبناء قرمان

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 142-143.

[2]- جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص ص 171-172

[3]- هو إبن المفتي حسين بن رجب شاوش، من مواليد عام 1095ه/1688م، عاش بمدينة الجزائر وتزوج بها، وقد ظل ظل مجهول الإسم لذلك يعرف بابن المفتي نسبة لوالده الذي تولى الإفتاء بمدينة الجزائر، توفي سنة 1753م. للمزيد حول سيرته راجع :

ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، نشر بيت الحكمة، الجزائر2009، ص 12.

[4]- ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص36.

الفتوى من بعده[1]. ومما يدل على إهتمام والد إبن المفتي بالعلم وصاياه لولدهبأن يكون طموحا وأن يهتم بالعلم[2].

* نستفيد أيضا من تقييدات إبن المفتي إشارته لبعض شيوخه الذين يذكر منهم الشيخ الشيخ مصطفى بن مضان العنابي، الذي ولد بمدينة عنابة وكان من أصل تركي أي أنه كرغلي. وقد تولى منصب القضاء على المذهب الحنفي بمدينة الجزائر، وتخرج على يده علماء من مختلف البلدان من أشهرهم الشيخ مصطفى برناز التونسي، وتوفي بمدينة الجزائر سنة 1130ه الموافق1717م، كما ترك بعض المؤلفات منها :

- أرجوزة في الفقه الحنفي (الفرائض) لازالت مخطوطة .
- كتاب"الروض البهيج في أحكام العزوبة والتزويج" في بابين لم يتبق منه إلا بابه الأول وهوأيضا مخطوط[3].

ولعل تقييدات إبن المفتي المعروفة " بتاريخ باشوات وعلماء جزائر الغرب" تعتبرفي حد ذاتها من أهم المصادر النادرة للعهد العثماني[4]التي يعود الفضل في تأليفها لأحد الكراغلة.

* من علماء الكراغلة في مدينة الجزائرنذكرأيضا المفتي والشاعر والنحوي المفسر الشيخ سيدي محمد بن علي القاغلي الجزائري، والذي كان مفتي الحنفية في الجزائر حسب ماورد في كتاب "غزوات عروج وخير الدين" ، كما أن الشيخ سيدي محمد بن علي القلغلي يكون هو ناقل الغزوات إلى اللسان العربي بعدما عبرها له أحد خواجات الترك[5].وعليه فالفضل في ترجمة كتاب "غزوات عروج وخير الدين" يعود إلى هذا الكرغلي الذي تولى الإفتاء خلال الفترة مابين 1150 و1169ه(1737-1756م) وأمر بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية[6].

* كذلك من العلماء الكراغلة الذين أسهموا في إثراء الحياة الثقافية الحسن بن محمد بن محمد المازوني المتوفي سنة 1727م(1159هـ)، ويعرف بإبن منزول أغا، من كبار علماء مازونة في وقته، فقيه حنفي، تركي الأصل. من أهل مازونة وبها نشأ وتعلم. و"منزول أغا" لقب يطلق على كبارالضباط ، وكان جده منهم، وقد إشتهر به أبوه وهو من بعده.

من أثـــــاره:

- تحفة الملوك في حصر إرث المتروك. وهو أرجوزة في فرائض الفقه الحنفي.

---

[1]- ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص ص 86-87.
[2]- المصدر نفسه، ص ص 12-13.
[3]- نفسه، ص 16.
[4]- نفسه، ص 09.
[5]- مجهول ،غزوات عروج وخير الدين، مصدر سبق ذكره، ص 168.
[6]- فكاير عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص ص411-421.

- منهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك. وهو شرح الأرجوزة المذكورة[1].

* كذلك من الشخصيات الكرغلية التي إشتهرت بإهتماماتها العلمية والثقافية، شخصية الباي محمد الكبير(1779-1792م)، الذي إلى جانب إنجازاته السياسية والعسكرية فقد شهد له كل من كتبوا حوله بحرصه على العلم والثقافة وإسهاماته في هذا المجال. ورغم أن محمد الكبير لم يترك مؤلفات بيده إلا أن تشجيعة للعلماء على الكتابة والتأليف يبقى أحد مآثره.

كان الباي محمد الكبير يعتني بالثقافة والتعليم، فبنى المدارس للطلبة، وهيأ لهم الوسائل التي تعينهم على طلب العلم ، كما كان يعظم العلماء، فشيد لهم المساجد ورتب لهم مرتبات زيادة على المنح والهدايا، وقد دونت في عصره العديد من الكتب النفيسة التي أرخت لسيرته وعصره، وأصبحت مصدرا مهما من مصادر التاريخ الجزائري الشاهدة على تلك الفترة. نذكر منها كتاب "عجائب اسفار" لمحمد أبي راس الناصر، وكتاب "الثغر الجماني" لأحمد بن علي بن سحنون، وكتاب" الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية" لمصطفى بن علي بن زرفة، وغير ذلك من التآليف التي تدل على إحسانه المستمر لمن ألفها. فقد منح أحمد بن سحنون مائة دينار ذهبا عندما إختصر كتاب " الأغاني"لأبي الفرج الأصفهاني في جزء، ومنحه كذلك خمسين دينارا ذهبا جزاء عمل قام به، وهو إنتخاب ألفاظ طيبة من القواميس .

ولم يكن الباي محمد الكبير يتقبل الإنتاج الفكري والأدبي من المقربين إليه فحسب، بل كان يحث عليه ويقترح مواضيع تناسب الظروف، فقد كلف من يجمع له الأحاديث الواردة في الجهاد عندما كان بصدد التحضير لفتح وهران[2] .

وكان يملك مكتبة ضخمة، تحتوي عدة مخطوطات، ولتعميم الفائدة أمر بنسخها لتكون في متناول الجميع. كما كان الباي محمد الكبير مولعا بالمطالعة، ماجعل معاصروه يصفونه بالفقيه والأديب والمؤرخ لإهتمامه بتدوين الأحداث التاريخية، هذا فضلا عن معرفته الواسعة بالطب كما وصفة الراشدي[3]

* من أهم إسهامات الكراغلة في الميدان العلمي والتاريخي كذلك، ماتركه لنا حمدان بن عثمان خوجه من مؤلفات تشهد على مدى سعة ثقافة هذا الرجل، فضلا عن الأدوار التي لعبها قبل وبعد الغزوالفرنسي للجزائر[4]. نذكرمن مؤلفات حمدان خوجة:

- كتاب المرآة أو "لمحة تاريخية وإحصائية على أيالة الجزائر".

---

[1]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ص 280.

[2]- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري،ط1، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969،ص ص 24-27.

[3]- أحمد بن محمد سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص 147.

[4]- للمزيد حول أثار حمدان خوجة أنظر الفصل الرابع ص ص 218-226.

- مذكرات سي حمدان ، وهي خلاصة لكتابه المرآة.
- رسالة "حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع ".
- رسالة "إتحاف المنصفين والأدباء،بمباحث الإحتراز عن الوباء"[1].

من جهته يشير سيمون بفايفر إلى بعض إسهامات الكراغلة الدينية والإدارية بقوله: " ويستطيع الكراغلة أن يتولوا منصب الخواجة (أي الكتاب)، أو الإمام في المسجد، أو كاتب البحرية (كيزخواجة) بشرط أن يكونوا قد حفظوا القرآن، وتعلموا العربية والتركية كما ينبغي"[2].

إن هذه المؤهلات قد سمحت للكراغلة بأن يشكلوا إلى جانب الحضرأهم فئة تسيطر على الجهاز الإداري والتعليمي، بحيث آهلت الكراغلة لتأدية دور الوسيط والرابط بين الحكام وباقي السكان، كما منحتهم المناصب الإدارية والإمتيازات، أما فئة العلماء فقد مثلت بممارستها للوظائف الدينية والتعليمية دور الوسيط بين الفئة الحاكمة والأرستقراطية الحضرية التي بين يديها السلطة، وباقي سكان الحواضر[3].

من جهة أخرى فإن الأحداث السياسية والصراعات العسكرية أثرت سلباعلى الدورالعلمي والثقافي الذي كان يمكن أن يلعبه الكراغلة، حتى أن حمدان خوجة يتحسر على حالة الشقاق والشك التي كانت بين العثمانيين والكراغلة على خلفية الصراع السياسي، مما شكل حاجزا حال دون إستفادة الأتراك من علوم أبناءهم ومن نفوذ أقاربهم في البلاد[4].

---

[1]– للمزيد حول مؤلفات حمدان خوجة وأثاره راجع:
محمد بن عبد الكريم: حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، ط1، دار الثقافة، بيروت لبنان،1972، ص 119وما بعدها.

[2]– سيمون بفايفر، مصدر سبق ذكره، ص 184.

[3]– الواليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص 117.

[4]– حمدان خوجة ، مصدر سبق ذكره، ص 119.

الفصل الثاني

الوضع السياسي والعسكري للكراغلة في الجزائر العثمانية

- أولا: طبيعة الجيش العثماني ودوره في إيالة الجزائر
- ثانيا: وضع الكراغلة ودورهم في الجيش العثماني بالجزائر
- ثالثا: وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة البيلربايات
- رابعا: وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الباشوات
- خامسا: وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الآغوات
- سادسا: وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الدايات

نحاول من خلال الفصل الثاني دراسة الأوضاع السياسية والعسكرية التي عايشها الكراغلة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني بمراحله الأربعة، مبرزين خاصة أوضاع الكراغلة السياسية والعسكرية خلال كل مرحلة ودورهم في الجيش العثماني بالجزائر، وذلك بعد التعرض لدراسة طبيعة هذا الجيش في محاولة لتحليل ومقاربة الكثير من المعطيات والأحداث التاريخية المرتبطة بمؤسسة الجيش العثماني وعلاقته بفئة الكراغلة ودور هذه الأخيرة السياسي والعسكري في إيالة الجزائر.

➢ ولا/ طبيعــة الــجيش العثماني ودوره فــي إيالة الجزائر:

تقدم معنا في المبحث المتعلق بأوضاع الجزائر العسكرية خلال الفترة العثمانية، الإشارة إلى أن الجيش الجزائري كان يتشكل من قسمين هما:

– الجيش النظامي الذي يتكون من الجيشين البري والبحري، حيث يمثل الجيش البري فرقتي الإنكشارية والطوبجية[1]، أما الجيش البحري فتمثل في طائفة الرياس العساكر البحرية، والذين كانوا طليعة الجيش العثماني في الجزائر منذ مطلع القرن 16م .

– الجيش غير النظامي أو الاحتياطي، والذي شكل القسم الأكبر من تعداد الجيش الجزائري في العهد العثماني، تتكون قواته أساسا من عناصر الكراغلة، زواوة وقبائل المخزن. فهو جيش يقوم على العناصر المحلية التي وضعت نفسها تحت تصرف السلطة كلما كانت بحاجة لخدماتهم[2].

هناك من المؤرخين من يجعل الكراغلة ضمن أفراد الجيش النظامي ليبقى الجيش غير النظامي يتكون أساسا من قبائل المخزن متمثلة في فرق الزمالة[3] والدوايرو والعبيد والمكحلية[4]، والتي كان يرأسها""أغا"من العرب أو قائد من العرب، ولأن حركتهم كانت على شكل دائرة، فقد سميت دائرة أغا الدوايرو ودائرة أغا الزمالة[5].

ونظرا لسيطرة ودور عناصر الإنكشارية في الجيش سواء من حيث العدد في الجيش النظامي أو الصلاحيات، فقد غلبت تسمية الجيش الإنكشاري على مجموع الجيش العثماني سواء في أيالة الجزائر أو غيرها[6]، وهذا ما استنتجه الباحث تال شوفال من خلال دراسته لدفتر تركات بيت المال

---

[1]– الطوبجية : أو فرقة الطوبجية، بالتركية (أوباجي) وتعني رجال المدفعية.

[2]– أرزقي شويتام، دراسات ووثائق، مرجع سبق ذكره، ص16.

[3]– الزمالة: مفرد الزمول وهم الخيالة الذين يشكلون أحد قبائل المخزن (المخازنية)، سموا كذلك نسبة لدورهم في حمل متاع ومؤونة الباي. للمزيد أنظر :ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص ص 257–272.

[4]– أرزقي شويتام، المرجع نفسه، ص 16.

[5]– صالح فركوس، مرجع سبق ذكره، ص 165.

[6]– وهو ما عبر عنه المؤرخ ناحوم وايزمن WEISSMAN(N) بقوله:

« Les Janissaires, cela signifiait l'armée turque tout court »

أنظر: WEISSMAN(N),op.cit,p3.

للفترة من 1699إلى 1701م، حيث أنه من بين 330 عنصر من أفراد الجيش فإن 264 منهم كانوا من اليولداش أي ما نسبته 80% من المجموع العام[1].

كان للجيش الإنكشاري نظام داخلي يضبط سلوك أفراده، ويبين للجنود حقوقهم على الدولة، ويعرفهم بواجباتهم نحوها، ويرسم لهم المنهج الذي يسيرون عليه. وقد تبلور ذلك النظام من خلال قانون السلطان مراد الأول (1362م-1389م)، الذي يتكون من 14 مادة كان يراد منها تقوية الجيش والحرص على انضباط أفراده والتزامهم بمهامهم العسكرية :

1- الطاعة التامة لقادة الجيش.
2- وحدة الصف والإقامة.
3- البعد عن البذخ وعن كل ما يشين الانكشاري.
4- الارتباط التام بالشريعة الإسلامية والطريقة البكداشية.
5- عدم قبول غير المجندين عن طريق"الفشرمة".
6- خصوصية الإعدام بالنسبة للانكشاري.
7- الترقية حسب الأقدمية.
8- لا يعاقب الانكشاري إلا من طرف قائده الأغا.
9- يحال المعاق على التقاعد.
10- يجب على الانكشاري أن يحلق ذقنه لأن اللحية من حق الأحرار فقط.
11- منع الزواج على الانكشاري.
12- لا يحق للانكشاري الابتعاد عن الثكنة.
13- لا يجوز للانكشاري احتراف أي مهنة.
14- يمضي الانكشاري أوقاته في إتراف التدريب على فنون القتال[2].

من خلال المقارنة التي عقدها الدكتور خليفة حماش حول مدى التزام انكشارية الجزائر بهذا القانون ومدى تشابههم في ذلك مع انكشارية استانبول فيما يتعلق بالحقوق والواجبات والممارسات، نجد أن تطبيق بنود قانون السلطان مراد في الجزائر من طرف الإنكارية قد تشابه إلى حد بعيد مع ما كان عليه الحال في اسطمبول، خاصة فيما يتعلق بحقوق الجندي المادية كالراتب، أو المعنوية كالتقاضي والتقاعد[3].

1-Shuval,TAL, op.cit, p 68.

2- WEISSMAN(N), op.cit, p35.

3- خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 107-118.

أما أهم ما تميز به الجيش الانكشاري في إيالة الجزائر فهو سعيه للوصول إلى السلطة والسيطرة عليها، حيث كانت الجزائر على رأس الولايات العربية التي وصل فيها الانكشارية إلى أعلى الهرم السلطوي، فقد استولى الجيش على الحكم في الجزائر تدريجيا وبالقوة، إلى أن تمت السيطرة المطلقة للإنكشارية على الحكم في الجزائر سنة 1659م[1].

وقد سلك الإنكشارية في سعيهم نحو السلطة، عدة طرق لضمان سيطرتهم الدائمة على مقاليد الحكم وما يتبع ذلك من امتيازات سياسة ومادية، نوجزها كما يلي :

– في الجانب العسكري كان الإنكشارية يطلبون شيئين من الحكام، بل ويفرضونهما عليهم، أولهما أن فرقتهم يجب أن تكون القوة العسكرية الوحيدة ذات الأهمية والمسلحة في الإيالة. ويمكن وجود فرق أخرى احتياطية ولكن يجب أن تكون رواتبها أقل ودرجتها ثانوية. ولم يحدث أي تغيير في هذا المبدأ إلا في السنوات الأخيرة من عمر الإيالة في القرن التاسع عشر عندما استطاع أحد حكام[2] الجزائر أن يحرر نفسه من استبداد الجنود وذلك بإنشاء قوة عسكرية خارج إطار الفرقة الانكشارية.

– أما المطلب الثاني للانكشارية فهو أن الجنود المجندين يجب أن يكونوا من غير سكان الأيالة. وقد رحبوا بالجنود من الجزء الشرقي من الدولة العثمانية كما رحبوا بالأعلاج، أما غيرهم فقد استبعدوهم[3]، بل وقاوموا جميع جهود الأهالي للانضمام لفرقتهم[4]. وفي هذا الصدد يخبر "فانتور دي بارادي": "أن فرص الأعلاج للوصول إلى الحكم كانت أكبر من الكراغلة، وأنه وجد أغوات من الأعلاج يجهلون العربية والتركية معا...وكانت حظوظ الأعلاج في الارتقاء كبيرة، حيث تولى بعضهم منصب الكاهية وآغا القمرين ووكيل الحرج، بينما لم يسمح لهم باعتلاء منصبي الخزناجي والداي"[5].

ولعل هذا الموقف المتشدد هو الذي دفع العديد من المؤرخين لوصف تواجد الجيش الإنكشاري بالجزائر على أنه استيلاء على السلطة واحتلال للبلاد، على غرار ما ذهب إليه جون وولف[6]. فقد ضرب العثمانيون في الجزائر حصارا شديد حول أنفسهم وحول مواقع القوة في أيديهم حتى لا يتسرب إليها بقية السكان ولا يرقى إليها الطامحون في الحكم منهم[7].

في هذا الصدد نسوق مثالين للتدليل على مدى حرص الإنكشارية على امتيازاتهم العسكرية، أولهما يعود لفترة البايلرباي حسن باشا ابن خير الدين، لما قرر السماح لجنود زواوة بالتجول في مدينة

---

[1]– جميلة معاشي ، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 36.

[2]– هو الداي علي خوجة، ويعرف بالحاج حفيز تولى الحكم بداية من 09 سبتمبر1817 إلى 1818م، وكان يلقب بمعر علي أو علي لوكو.

[3]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 130.

[4]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص78.

[5]-Venture de paradis ,op.cit,p181.

[6]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص21.

[7]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سبق ذكره، ص139.

الجزائر حاملين السلاح ، وكان هذا القرار قد جاء في إطار سياسة التقرب من الأهالي مع العلم أم مثل هذا الإجراء لم يكن مسموح به من قبل[1]، مما أدى إلى تزايد عناصر زواوة المسلحين في مدينة الجزائر ليصل سنة 1561م إلى حوالي 600 مسلح[2]. فلم يرق هذا الإجراء عناصر الإنكشارية التي رأت فيه تهديدا خطيرا لمصالحها، فما كان منهم إلا إلقاء القبض على الباشا نفسه مع اثنين من مقربيه، وأرسلوا إلى القسطنطينية مكبلين بدعوى أن الباشا يريد تسليم السلطة في الجزائر لملك كوكو. الأمر الذي لم يقتنع به السلطان لمعرفته بالدوافع الحقيقية وراء هذا التصرف، فما كان منه إلا أن أمر باعتقال الوفد الذي اقتاد الباشا وإعدام أعضاءه، بل إن السلطان أرسل في طلب زعماء الثورة في الجزائر وقد اعتقلوا فعلا وأرسلوا إلى إسطنبول وقطعت رؤوسهم[3].

أما المثال الثاني فقد تكرر نفس التصرف من الإنكشارية مع الباشا حسن ابن خير الدين لما حاول إدخال عناصر من العرب والقبائل والكراغلة إلى فرقة الإنكشارية، مكافاة لهم لقاء محارتهم معه في مالطة سنة 1565م، لكن الإنكشارية اشتكت إلى السلطان العثماني من هذا التصرف[4] الذي رأت فيه خطرا على فرقتهم ، فاستجاب لهم السلطان بقراره تنحية حسن بن خير الدين واستبداله بمحمد باشا ابن صالح رايس سنة 1567م[5].

أما في الجانب السياسي فقد عرف القرن السادس عشر أي طوال فترة البايلربايات صراعا على الامتيازات السياسية بين طائفة الإنكشارية وديوان الجند، لم يحسم إلا في سنة 1568م من خلال قرار البايلرباي محمد باشا بن صالح رايس (1567م-1568م) الذي سمح بموجبه للإنكشارية بالانضمام إلى البحرية والاستفادة من امتيازاتها[6]المادية .

وقد تداول رياس البحر والجند على منصب الحاكم إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ليتفرد الجند بهذا المنصب بعد ما تمكن أغا الإنكشارية من التغلغل في السلطة والمشاركة في الحكم إلى جانب باشا الجزائر الذي كان يرسل من طرف الباب العالي وهو ما عرف بالحكم الثنائي، وكان ذلك في عهد الباشوات (1587م-1659م)، قبل أن ينفرد العسكريون بحكم الجزائر سنة 1659م، و تنقسم فترة الحكم العسكري في الجزائر إلى مرحلتين :

1- حكم الأغوات (1659م-1671م) وكانت فترة قصيرة ، لم تزد عن 12 سنة، إلا أنها كانت مليئة بالمؤامرات والاغتيالات .

---

[1]- HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p 24.

[2]- جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 112.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- Gaid ,Mouloud, op.cit, p 85.

5- HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p 89.

6-Ibid,p144.

وكان أول من جمع بين السلطتين العسكرية والسياسية في الجزائر هو الحاج علي آغا (1665م-1671م)، إذ أعطي له التصرف المطلق في مالية الدولة التي اتخذت صفة "الجمهورية العسكرية"، وبمقتل هذا الأخير رفض الجميع التقدم لهذا المنصب الذي أصبح كما يقول عبد الرحمان الجيلالي " الجالس على كرسيه فكأنه تبوأ(الكرسي الكهربائي)، وذلك من حيث فشو(تفشي)القتل والاغتيالات في أكثر الباشوات، بل وكل الآغوات بالجزائر"[1]

2- مرحلة الدايات (1671م-1830م) فبعد فشل حكم الآغوات قرر الديوان تعويضه بنظام أكثر استقرارا، إذ أصبح الداي ينتخب أو يعين من قبل ديوان أوجاق الجزائر لمدى الحياة ويحمل لقب"باشا"، ولم يكن للسلطان إلا حق تزكية القرار لتدعيم الجانب المعنوي في العلاقة بين الأيالة والباب العالي، حيث أصبح الأمر بيد الأوجاق وحده، لذا كان الباشا في الجزائر في نهاية العهد العثماني، لا يهتم بقرار الباب العالي، بل ما يهمه هو ما رضي الإنكشارية عنه، إذ برضاهم يضمن منصبه وبغضبهم يفقد المنصب وحياته في أغلب الأحيان[2].

ورغم صرامة قانون السلطان مراد الأول الذي كان يلزم الجندي باحترام قادته والانصياع التام لأوامرهم، فإن هذه القاعدة لم تحترم ابتداء من عهد السلطان بايزيد الثاني (1481م-1512م)، الذي ثار ضده الجيش الإنكشاري ونصب بدله ابنه سليم الأول (1512م-1520م) الذي أجزل لهم العطاء، وبذلك أصبح الحاكم رهن تقلبات مزاج الإنكشاري. ونفس السياسة انتهجها إنكشارية الجزائر ضد حكامهم، إذ ما إن اشتد ساعدهم حتى استولوا على الحكم، معلنين انفصالهم عن الباب العالي، وكان ذلك بطرد إبراهيم باشا المرسل من قبل السلطان العثماني[3].

إن أهم سمة ميزت الوجود العثماني في الجزائر هي هيمنة الجيش شبه المطلقة على شؤون الإدارة والجيش والاقتصاد[4]والحياة العامة، كما أن الصراع بين الإنكشارية وطائفة الرياس انعكس سلبا سلبا على حياة السكان من خلال زيادة ظلم الإنكشارية وانصراف الرياس للاهتمام بمصالحهم الخاصة، رغم أن الواقع كان يحتم تعاون الطرفين، فمهما بلغ ثراء رجال البحر فليس بإمكانهم الاستغناء عن مساندة الجند الذين كانوا يقومون بالمحافظة على الأمن في الداخل والدفاع عن الجزائر فيتيحون بذلك للقراصنة التفرغ للنشاط البحري والأمر نفسه بالنسبة للجند، فمهما بلغت قوة الجند وكثرتهم فليس بإمكانهم أن يحلموا بفرض إرادتهم على القراصنة، لأن غنائم هؤلاء كانت تسد حاجة الخزينة وتسمح

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص.

[2]- جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص ص 37-38.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 41-42.

[4]- حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص94.

لها بدفع مرتبات الجند بصورة منتظمة. ويلاحظ مارسيل كولمب أن مصير هذين الفريقين كان يسير خلال التاريخ في خطوط متوازية. فقد ازدادت قوة الطرفين بالنسبة نفسها حتى أواخر القرن السابع عشر، لتهبط بعد ذلك بصورة متتالية حتى التدخل الفرنسي، وقد تتصارع الطائفتان ولكنهما تتحدان وتتعاونان لتأكيد امتيازاتهما وحقوقهما[1].

أما خلال مرحلة الباشوات فلم يعد ولاء الإنكشارية للسلطة ولا للدين ولا لشعب، وإنما بات من أجل النفوذ والمال والسلطة[2].

وبطبيعة الحال فقد انعكست هذه المعطيات سلبا على واقع الإيالة وكيفية سير نظم الحكم فيها، تجلى ذلك خاصة من خلال كيفية تعيين الحكام ووصولهم للسلطة، وهو ما عبر عنه شالر بقوله " قد حدث كثيرا أن ساعد الحظ أحط الأشخاص وأسوأهم للخروج من الحالة التي كانوا فيها مغمورين ليرتقوا عرش الجزائر"[3]. وهذا أثر بدوره على استقرار البلاد والحياة السياسية فيها بشكل خاص، فكانت المؤامرات والدسائس السبيل الأمثل للوصول إلى الحكم أو البقاء فيه، كما حدث مع الداي إبراهيم (1733-1745م)الذي كان يلقب بالمجنون، حيث يذكر **لوجي دو طاسي** أنه أعدم 1700 رجل خلال الشهر الأول من تعيينه لمجرد الشك فيهم[4]، ولذلك كان الداي لا يغادر مقر الحكم، فقد يحدث أنه إذا خرج من قصره أن تستقبله طلقة من بندقية تعفيه من لقب الداي ومن حياته معا[5].

هذا وتجدر الملاحظة أن عهدي البايلربايات والباشوات قد شهدا هدوء نسبيا مقارنة بصراعات عهدي الأغوات والدايات، حيث لم يقتل سوى البايلرباي محمد كرد أوغلي، وحسن قورصوا بينما أغتيل كل الأغوات وحوالي نصف الدايات[6] فقد كان مصير جميع الدايات الذين حكموا خلال الفترة من من 1798 إلى 1817م القتل من طرف الإنكشارية، ما دفع الباشا علي خوجة (1817- 1818م) للعمل على التخلص من نفوذ الإنكشارية بالجزائر فقضى على العديد منهم سنة 1817م[7].

إن هذه الأحداث تبقى شاهدة على الدور الذي لعبه الجيش العثماني في الجزائر خاصة طائفة الإنكشارية، والذي لم يقف عند ممارسة مهامه الأساسية المتمثلة في الدفاع عن البلاد، والمحافظة على الأمن الداخلي وجباية الضرائب، بل تعداه إلى التدخل بصورة متزايدة في سياسة البلاد وإدارتها وفي

---

[1]- محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص ص 95-96

[2]- صالح فركوس، مرجع سبق ذكره، ص 122.

[3]- وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص45.

[4]- LAUGER DE TASSY, op.cit, p130.

[5]- جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 389.

[6]- Grammont (H.D.de), op. cit, p227.

[7]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص ص 134-136.

حياة السكان بواسطة قادته الذين كانوا يؤلفون الديوان[1]، فقد كان هذا الأخير يتكون من أصحاب الرتب العليا كما ذكر الأب دان ويجتمع أربع مرات أسبوعيا[2] تحت رئاسة الأغا لتسيير الشأن العام فضلا عن انتخاب الداي الجديد وتوليته، وذلك بإلباسه القفطان أو خلعة التولية. ويشترط في جميع أعضاء الديوان أن يكونوا من العنصر التركي، ليست فيهم ولا شائبة الكرغلية[3].

لقد كان التطلع إلى الجمع بين المهام العسكرية والسياسية هدف كل المجندين الذين يعتقدون أنه الطريق الأصح نحو المجد والثروة، حتى أن الكثير من الأسر المسيحية كانت تدفع بأبنائها للانخراط في صفوف الجيش العثماني طمعا في وصولهم إلى أعلى المراتب في الدولة العثمانية بما فيها منصب الصدر الأعظم (الوزارة الأولى)، وفي هذا الصدد أحصى الباحث **ناحوم وايزمن** 44 وزيرا من أصول أوروبية مسيحية من بين 49 وزيرا تولوا الصدارة العظمى في السلطنة العثمانية خلال الفترة من 1453م إلى 1623 م[4].

في إيالة الجزائر عرف العديد من الأعلاج الذين وصلوا إلى مناصب المسؤولية الرفيعة في السلطة، حيث عد هايدو إحدى عشر قائدا[5] من الأعلاج، مقابل ثمانية من الترك، اثنان من العرب، واحد من الكراغلة وواحد إسلامي[6]، كما تولى العديد من الأعلاج حكم الأيالة، ففي الفترة الممتدة من 1537م إلى 1656م تعاقب 36 حاكما عثمانيا على الجزائر كان من بينهم تسعة(09) أعلاج[7].

---

[1]– الديوان : كلمة ديوان فارسية معربة، وهو الجهاز الوظيفي المعروف الذي كان يقوم فيه كبار رجال الدولة، وعبر الاتصال المباشر بالسكان أفرادا، أو جماعات ببحث القضايا العامة، لذلك يمكن اعتباره بمثابة البرلمان، أو الجمعية العامة حاليا. وقد يراد "بالديوان" الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وأول من دون الديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ونفرق هنا بين الديوان الكبير وديوان الإنكشارية الذي يتكون من ضباط الإنكشارية، والذي لعب دورا كبيرا في توجيه سياسة البلاد في عهد الباشوات إلى أن استحوذ على السلطة في عهد الآغوات. حاول خضر باشا أن يحد من سلطته سنة 1595 لكنه لم يفلح. وفي عهد الدايات تلقى أعنف ضربة على يد علي خوجة سنة 1817م. أما الديوان الكبير فهو مجلس موسع جدا يضم حوالي سبعمائة عضو أغلبهم من العسكر وأعضاء الحكومة والوجهاء ونقيب الأشراف. وقد لعب دورا هاما في بداية عهد الدايات قبل أن يقتصر نشاطه على مجرد الاحتفالات في المناسبات.

للمزيد راجع صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص ص 280–281. وتوفيق دحماني، مرجع سبق ذكره، ص 152.

[2]–DAN,(P) ,op.cit, p100.

[3]– عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[4]-WEISSMAN(N),op.cit,p23.

[5]– القائد : لقب يطلق على رئيس البحارة ، والذي يدعى عادة بالرايس وهي أعلى رتبة داخل السفينة التي يشرف على تسيير شؤونها في عرض البحر مجلس يتكون من الرايس و عدد من الضباط وآغا وخوجة. للمزيد أنظر :
كاثكارت، جيمس لياندر، مذكرات أسير الداي، ترجمة إسماعيل العربي، د.م.ج،الجزائر،1983، ص 79. وكذلك.
Moulay belhamissi,marine et marinsd'alger1518-1830.

[6]– الإسلامي : لقب أو نعت كان يطلق على اليهودي إذا اعتنق الإسلام (علج يهودي)،أنظر:
HAEDO(FD),Topographie,op.cit.p63.

[7]–محرز أمين، مرجع سبق ذكره، ص148. انظر أيضا
HAEDO(FD),Topographie,op.cit.p60.

ولعل تحول الجيش إلى أداة للثراء ووسيلة للوصول إلى سدة الحكم هو الذي يفسر حالة التنافس الشديد والصراع و التآمر التي غلبت على سلوك الجيش العثماني في الجزائر وغيرها من الولايات العربية من جهة، ومن جهة أخرى يفسر كذلك سبب إصرار العثمانيين واشتراطهم خلو جيشهم من العناصر المحلية بما فيه حتى عناصر الكراغلة الذين هم من أصلابهم.

ونتيجة لهذا الوضع غابت معايير الكفاءة والنزاهة فيمن يتولى السلطة، ليفتح المجال لوسائل أخرى كالرشوة والوساطة وأحيانا الحظ الحسن، وهو ما عبر عنه شالر بقوله " وعجلة الحظوظ في هذا البلد تدور كثيرا بحيث أنها تضمن لكل واحد من الأتراك الفرصة للحصول على الثروة والجاه يوما ما في حياته "[1].

من جهة أخرى فإن التنافس على السلطة والامتيازات، كان سببا في العديد من الثورات والتمردات التي قام بها الانكشارية سواء في عاصمة الأيالة أو خارجها، خاصة في الحاميات المتواجدة على مستوى البايلكات، والتي كانت مصدرا للفوضى والاضطرابات، وقد عزز التنظيم العسكري العثماني من هذه الحالة في ظل عدم خضوع جنود الحاميات لسلطة الباي، حيث كانوا يتبعون مباشرة للأغا الذي بدوره يخضع مباشرة للداي. فقد تم تجريد الباي من أي سلطة على أغا الانكشارية بدأ من تعيينه لجعل كل منهما مستقل عن الآخر وإقامة نوع من التوازن بينهما[2]، أما قواد الحاميات أو الأبراج فقد كانوا يقيمون خارجها رفقة عوائلهم، ولا يحضرون إلا لقضاء حوائج الرعية عند تقديمهم الشكاوى[3]من تصرفات الجند تجاههم والتي كثيرا ما كانت سببا في الفوضى والاقتتال بين الإنكشارية والسكان. في حين كان الأصل في مهمة هذه الحاميات هو توفير الأمن وجمع الضرائب وإخضاع القبائل المتمردة، فضلا عن حراسة الطرق الرئيسية وحماية القوافل ومرور قوات الجيش الإنكشاري ودنوش الباي عند توجههم إلى مدينة الجزائر، وفي هذا الصدد أحدثت ثمانون نقطة مراقبة في الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة وما بين سبعين وثمانين نقطة مراقبة بين الجزائر ووهران[4].

من خلال ما تقدم، نخلص إلى أنه عند بداية دخول العثمانيين الجزائر كانت المهمة الأساسية للجيش تنحصر في صد الأخطار الخارجية، لكن هذه المهمة ما فتئت تتزايد وتتعاظم للتعدي الجانب العسكري والأمني، إلى مختلف الجوانب السياسية والإدارية والاقتصادية، ما جعل من الإنكشارية أكثر من مجرد فرقة عسكرية أو تنظيم في الجيش العثماني، بل تحولت إلى لاعب أساسي وفاعلا في

---

[1]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص57.

[2]– أحمد محمود علو السامرائي، محمد حمزة حسين الدليمي : الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826م ،مجلة التربية والعلم، المجلد 17، العدد2، السنة 2010، جامعة الموصل، العراق 2010، ص 72.

[3]–WEISSMAN(N),op.cit,p171.

[4]-BOUTIN, op.cit,p 47.

المشهد العام، وأصبح بإمكان أي مجند إنكشاري اقتحام مختلف المجالات السياسية والإدارية لتبوء المناصب العليا والتي قد تصل إلى قمة الحكم في الإيالة، وبالتالي جمع الثروة التي كانت هي الهدف الأول للمتطوع للجهاد بإيالة الجزائر التي كانت هجرته إليها بنية اللا رجوع[1].

إن هذه الأسباب هي الدافع الجوهري لسيطرة الإنكشارية منذ مطلع القرن السابع عشر على مقاليد السلطة، فأصبح الداي الذي تنتخبه هذه الفرقة هو الحاكم الحقيقي، أما الباشا الذي يمثل سلطة الدولة اقتصر دوره على إسداء المشورة [2]. كما أن الديوان الذي يمثل الإنكشارية كانت لقراراته قوة القانون[3]، ما جعلهم يستأثرون بالسلطة ويتصدون لأي فئة أخرى من غيرهم تحاول اختراقها كالكراغلة مثلا.

لقد سعى الكراغلة للتموقع في الجيش ودوائر السلطة لكنهم قوبلوا بالرفض القاطع من طائفة الإنكشارية، ما أدى إلى صراع بين الفريقين نحاول الوقوف على بعض تفاصيله من خلال تتبع ورصد الأحداث التاريخية ذات الصلة، ودراستها من جميع الجوانب لاستخلاص الأسباب والخلفيات والنتائج الخفية الظاهرة، لفهم طبيعة الصراع الذي صبغ العلاقة بين العثمانيين والكراغلة أو بين الآباء والأبناء في إيالة الجزائر.

➢ ثــانيا/ وضع الكراغلة ودورهم في الجيش العثماني بالجزائر:

تحدث الكثير من المؤرخين عن التهميش والإقصاء الذي مارسه الجيش العثماني ضد السكان المحليين في المجال العسكري، متمثلا خاصة في عدم قبول انخراط المحليين في هذا الجيش ووضع العراقيل أمامهم.

ولعل من أهم الفئات التي عانت من هذا الإقصاء الكراغلة، الذين وبحكم انتمائهم العرقي كانوا يميلون للخدمة العسكرية ويطمحون لنيل ووراثة امتيازات آبائهم في هذا المجال، إلا أن العثمانيين وخاصة الجنود العزاب من طائفة الإنكشارية نظروا إلى الكراغلة على أنهم مصدر خطر، فعملوا على الحد من تزايد أعدادهم داخل الفرقة، وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد بعد أحداث سنة 1630م[4] التي سنأتي على ذكرها، ولم يشفع للكراغلة انتمائهم العرقي العثماني بل ربطوا عبر مختلف مراحل الوجود

---

[1]– جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 45.

[2]– محمد جميل بيهم، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1950، ص100.

[3]– أحمد محمود علو السامرائي، محمد حمزة حسين الدليمي، مرجع سبق ذكره، ص 77.

[4]– Grammont (H.D.de) :Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe siècle, in R.A,N°23, Alger,1879, p410.

العثماني في الجزائر بنسب أخوالهم[1]، وقد عزز هذا التصور لدى الإنكشارية تخوفهم من إمكانية أن يكون الكراغلة طرفا في أحد التحالفات التالية، التي تهدد وجودهم ومصالحهم في الأيالة :

– الأول: حدوث تحالف بين الكراغلة والسكان خاصة فرقة زواوة أو الحضر ضد الإنكشارية في حالة حدوث نزاع ، وذلك بسبب الانتماء العاطفي للكراغلة، بالإضافة إلى إمكانية ارتباط الجنود الكراغلة عن طريق المصاهرة بالعائلات الجزائرية الأهلية، مما يزيد من عددهم ويشكلون خطرا على الدولة[2] .

– الثاني: أن الصراع بين العثمانيين أنفسهم على الحكم جعل الإنكشارية يرون في الكراغلة أداة خطيرة في يد الحكام، يمكن أن يستغلوها في أي وقت ضدهم[3].

– الثالث: إن المنافسة التي كانت بين الإنكشارية وطائفة الرياس أو بين الأتراك والأعلاج إن صح التعبير حول الامتيازات، والتي حاول الكراغلة استغلالها من خلال مساندة الرياس، اعتقادا منهم أن رجال البحرية سيمنحونهم بعض المناصب في حالة انتصارهم على الإنكشارية [4]، دفعت هؤلاء للاحتراز والتخوف منهم، بل والعمل منذ البداية على الحد من عدد الكراغلة المسموح لهم بالتسجيل في فرقتهم، ثم استصدروا قوانين تمنع صعودهم إلى مراكز القوة أو المسؤولية في الفرقة[5].

إن تدقيق التركيب التاريخي لصيرورة العلاقة بين الإنكشارية والكراغلة في الجزائر، يقودنا إلى استنتاج مفاده أن موقف الإنكشارية من وجود الكراغلة ضمن صفوفهم لم يكن على وتيرة واحدة طيلة الفترة العثمانية، بل إن هناك معطيات مختلفة كانت تتحكم في مواقف الكراغلة، سياسية واجتماعية وعسكرية. ففي العهود الأولى سمح للكراغلة بالانخراط في فرقة الإنكشارية[6]، فكانوا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها أبائهم، الأمر الذي يرجعه المؤرخون إلى جملة أسباب منها طبيعة مرحلة البيلربايات التي تميزت بقوة الحكام وطبيعتهم، فقد كان معظمهم من رياس البحر ذوو الخلفية الجهادية، ما جعلهم يسوسون الناس بالعدل، ويوجهونهم نحو الهدف المشترك وهو صد العدوان الخارجي، فكانت هذه العوامل كافية لدفع مختلف الفئات للتوحد مشغلة لهم عن الاختلاف، مساعدة على خلق نوع من الانسجام والترابط بين هذه العناصر[7].

---

[1]- Rozet(M).et Carette,op.cit, p13.

[2]-GRAMAY, op.cit, p118.

[3]-Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit,p82.

[4]-GARROT.H :op.cit, p478.

[5]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص130.

[6]– Venture de paradis ,op.cit,p 152.

[7]- Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….",op.cit,p80.

واستنادا لما ذكره حمدان خوجة فإن الكراغلة يكونون قد انضموا بالفعل لفرق الانكشارية[1]، منذ بدايات ظهورهم في الجزائر كنتاج لزيجات مختلطة، خاصة الجيل الأول منهم. لكن تجدر الإشارة إلى ملازمة هاجس التخوف من الأخر عند عناصر الإنكشارية منذ البداية، ولا أدل على ذلك من موقفهم من محاولة البايلرباي حسن ابن خير الدين إدخال عناصر من السكان لفرقتهم كما تقدم معنا.

وقد ظهر هذا الهاجس والتخوف جليا من خلال المبدأ الذي أرساه العثمانيون والقاضي بعدم السماح للكراغلة بالحصول على نفس امتيازات أبائهم. ففي الجانب العسكري ورغم أن القانون يبيح للكراغلة الانضمام للجيش فإنهم كانوا يعتبرون جنودا من الدرجة الثانية[2] مقارنة بزملائهم الجنود القادمين من خارج الأيالة.

في الجزائر حدد **فونتير دي بارادي** الرتب والوظائف العسكرية التي لا يمكن للكراغلة الوصول إليها بحيث أشار إلى أنه لا يمكن للكرغلي حتى أن يكون جندي ضمن حامية القصبة ولا ضمن النوبتجية الذين يتولون حراسة باب دار الإمارة. وما إن ينهي الكرغلي وظيفته في رتبة بولكباشي، أو وظيفة آشجي باشي في الوحدات العسكرية التي تعمل في الأقاليم، حتى يحال على التقاعد ويعطى له مرتب كامل[3]، هذا فضلا عن عدم إمكانية انخراط الكراغلة في فرقة الجاوشية ذويي ذويي القفطان الخضراء والمكلفة بمتابعة المتهمين من الإنكشارية، أو تقلد الرتب السامية في الجيش كرتبة آغا الصبايحية أو رتبة الكاهية أو رتبة بلوك باشي التي تمكن صاحبها بعد شهرين قمريين من تولي منصب آغا الإنكشارية وهو أعلى رتبة في الجيش[4].

إن هذا التمييز في تولي المناصب والذي طال كل سكان الأيالة، وسمة التردد والأخذ والرد التي طبعت العثمانيين إزاء توريث أبنائهم الكراغلة مناصبهم العسكرية، خلقت حالة من التوتر والحاجز النفسي بين الطرفين خاصة وبين السكان والإنكشارية عامة، والذي كثيرا ما كان سببا في حدوث الفوضى والتمردات، ودفعت السلطات إلى التدخل لإيقافها بعد أن أصبحت تهدد الوجود العثماني نفسه وذلك من خلال عدة إجراءات منها :

1- تدخل السلطان العثماني مراد الثالث نفسه سنة 1577م، للحد من احتقار أفراد الإنكشارية واستعلائهم على السكان[5] من خلال رسالة إلى والي الجزائر يأمره فيها بكبح جماح عناصر الإنكشارية الإنكشارية وكف أذاهم عن الرعية، ومما جاء في الفرمان السلطاني :- " حكم إلى أمير الأمراء وإلى

---

[1]- حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 118.

[2]- Venture de paradis , op.cit,p 118.

[3]-Venture de paradis , op.cit, p180-181.

[4]- Ibid, p180.

[5]- وهو ما عبر عنه وليام شالربقوله...139

قاضي جزائر الغرب، وردتنا أنباء عن العداء القائم بين سكان المدن وبين طائفة الانكشارية... حتى أن الانكشارية كانوا يهددون بقتل أو قطع يد كل من يحتك بهم أثناء مشيهم في الطريق..."[1].

2- صدور وثيقة "عهد الأمان" والتي هي عبارة عن ميثاق أو قانون أساسي حرره ضباط ديوان الجزائر، وجندها في مدينة الجزائر أول مرة في عهد الباشا إبراهيم في سنة 1068ه/1657م ،ولكنه لم يطبق كما كان مرجوا منه. لذلك حرر عهد أمان ثان في عهد الداي محمد بن بكير في سنة 1161ه/1748م دخل حيز التنفيذ وظل سائر المفعول إلى نهاية حكم الدايات في سنة 1830م[2].

وقد جاء هذا القانون على خلفية عدة اضطرابات وفتن عرفتها البلاد وطالت حتى الجيش العثماني نفسه، وكان أخطر هذه الأحداث هي التي وقعت سنة 1748م بين الأتراك والكراغلة من جهة وبينهم وبين الأهالي من جهة أخرى والتي سيرد تفصيلها لاحقا. حيث عكس ميثاق عهد الأمان رغبة في إصلاح المؤسسة العسكرية العثمانية بالجزائر من خلال التأكيد على وجوب تطبيق القوانين الخاصة بالإنكشارية، وردع العناصر المشاغبة سواء كانوا قادة أو جنودا، كما دعا العثمانيون إلى ضرورة المحافظة على حسن العلاقة مع السكان المحليين ومنهم الكراغلة على وجه الخصوص[3].

وهكذا فقد كان من بين أهم الإصلاحات التي جاء بها عهد الأمان، السماح لأبناء الإنكشارية (الكراغلة) المزاولين لخدمتهم بالانخراط في الجيش والاستفادة من امتيازات الإنكشارية. والملفت للانتباه أن إعداد وثيقة عهد الأمان كان بشكل جماعي بحيث حضر صدوره كافة أرباب الدولة واتخذت قراراته بمشاركة ومشاورة الجميع من الإنكشارية والكراغلة، ما جعل بعض الباحثين يذهب إلى أن هذا القانون قد وفق في فك مشكلة الكراغلة وحلها[4]. في حين هناك من المؤرخين من يرى أنه ورغم قبول الكراغلة في صفوف الإنكشارية، إلا أنهم بقوا دائما يعاملون على أساس أنهم جنود من الدرجة الثانية على جميع المستويات[5].

---

[1]- جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 141. نقلا عن حكم رقم 532، سلسلة " مهمة دفتري" رقم 30، صحيفة228، الأرشيف الوطني الجزائري (تعريب محمد داود التميمي).

[2]- دحماني توفيق، مرجع سبق ذكره، ص27.

[3]- للإطلاع على بنود عهد الأمان والنص الكامل أنظر:

Devoulx(A),"Ahd Aman, ou règlement politique et militaire"in R.A,N°4 ,Alger,1859-1860.

[4]- توفيق دحماني، مرجع سبق ذكره، ص ص 32-36

5 -Venture de paradis ,op.cit,p 118.

تجدر الإشارة إلى أنه ورغم ما جاء في وثيقة عهد الأمان بخصوص الكراغلة، إلا أن ثورة 1748م جرت عليهم وقف التعيين في منصب البايات، حيث جرى العمل بهذا القرار إلى غاية 1780م.أي عدم احترام بنود عهد الأمان مجددا وبقاء نفس المشكلة. ويبدو أن ما نص عليه عهد الأمان بخصوص تثبيت وإدماج أبناء الانكشارية في الجيش جاء لسد العجز في الموارد البشرية لا غير.

ويبدو من تحليل واستقراء مختلف الكتابات حول الموضوع، أن الجيش العثماني بالجزائر ضم بين صفوفه عناصر من الكراغلة حتى قبل تحرير وثيقة عهد الأمان، خاصة خلال فترة الأغوات وبقرارات وأوامر رسمية منها :-

-قرار شعبان أغا (1661م-1665م) القاضي بالسماح للكراغلة بالانضمام إلى أوجاق الجزائر، ولو أن هذا القرار لم يبلغ درجة تجسيد المشاركة الفعالة للكراغلة في الجيش والإدارة، أو السماح لهم بالصعود إلى السلطة كمسؤولين[1].

-قرار الداي الحاج شعبان (1688م-1695م) سنة 1693م، الذي سمح بموجبه للكراغلة بالتجنيد ضمن صفوف الإنكشارية، ونص على معاملتهم كبقية العناصر العثمانية وعلى قدم المساواة[2]. وإن كان معظم المؤرخين يرجعون أسباب هذا القرار إلى دوافع سياسية وعسكرية، تمثلت في حاجة الجيش بالجزائر أنداك إلى رفع عدده، نظرا لتأخر وصول المجندين الجدد من الأناضول من جهة، ومن جهة أخرى تعرض البلاد لحملتين عسكريتين من طرف تونس والمغرب على الحدود الشرقية والغربية[3].

وعلى العموم فمنذ عهد الآغوات تحسن وضع الكراغلة في الجيش خاصة من حيث التواجد العددي، وفي هذا الصدد يذكر **بياربوير** في دراسته حول مشكل الكراغلة في الجزائر أنه في مشروع حملة على الجزائر المنشور(Projet pour l'entreprise d'Alger) المنشور سنة 1666م، هناك إشارة إلى وجود نحو 1200 طفل مدون في دفاتر الإنكشارية، وأن معظمهم بلا شك هم من الكراغلة، وهو ما يؤكده كذلك دارفيو(D'ARVIEUX) سنة 1674م، عند إشارته إلى أن ميليشيا الجزائر (وهو الوصف الذي كان يصف به عادة الأجانب الإنكشارية والجيش عموما في الجزائر)، كانت تتضمن الكراغلة في صفوفها[4]. وإذا كان الإنكشارية قد ضيقوا على الكراغلة في الانضمام إلى الجيش البري، فإن هذا التضييق كان أخف من جانب الرياس فيما يتعلق بالنشاط والغزو البحري، حتى أنه في عهد الأغوات تولى منصب القبطان رايس كرغلي اسمه قارة إبراهيم[5]، وفي نفس السياق تحدث كاثكارت عن مشاركة الكراغلة في البحرية على عهد الدايات قائلا :- " معظم رجال (الطايفة) من الأتراك

---

[1]- Boyer(P) :"Le problème kouloughli….",op.cit,p84.

2-Idem.

[3]-Idem.

[4]-Idem.

[5]-Hees, Thomas,"Journal d'un voyage à Alger1675-1676",trad par G.H.Bousquet et G.W.Bousquet- Mirandolle, in R.A,N°101,Alger1957, p104.

والجنود والضباط خليط من العرب والأتراك الكراغلة (جمع كرغلي)، والفئة الأخيرة قلما تبلغ نسبتها ثلث مجموع البحارة[1].

هذا وقد تفاوت التواجد العددي للكراغلة ضمن صفوف الجيش العثماني من مصدر تاريخي لآخر ومن فترة لأخرى، ومرجع هذا التفاوت أن بعض المصادر تجمع الأتراك والكراغلة من الناحية العددية مما يصعب ضبط وتحديد عدد الكراغلة لوحدهم، ففي تقرير الضابط الفرنسي **هولن** (HULIN) الذي حل بالجزائر سنة 1802م، ذكر أن القوات البرية الجزائرية كانت تقدر ب14 ألف جندي تركي وكرغلي، أما القنصل الفرنسي في الجزائر السيد **تانفيل**(THAINVILLE)، فقدر القوات الجزائرية في نفس الفترة ب 16 ألف جندي بين عثماني وكرغلي، في حين قدر الضابط والجاسوس الفرنسي بوتان القوات البرية الجزائرية سنة 1808 ب 15 ألف جندي بين أتراك وكراغلة وعدد قليل من الزواوة، ثم فصل هذا العدد إلى عشرة آلالاف جندي (10ألف) تركي وخمسةآلالاف جندي(5آلالاف) كورغلي[2].

من جهته تحدث كاثكارت عن مشاركة الكراغلة ضمن صفوف قوات المدفعية الثقيلة والخفيفة، فوصفهم بعدم الطاعة والنظام، ووصف ضباطهم بجهل التكتيك العسكري الحديث[3].

من خلال قائمة وردت في أحد السجلات الإدارية لمدينة الجزائر فقد جند من الكراغلة بين سنتي 1819 و1824م ثمانمائة وستة أشخاص (806)، وذلك في المدن الثلاث الجزائر، قسنطينة والتيطري[4]، وحسب أحمد الشريف الزهار فإن هذه العملية جاءت في إطار سياسة الداي حسين (1818م-1830م) الرامية إلى التخلي عن قاعدة منع تجنيد السكان المحليين في فرقة الإنكشارية، فقد جاء في مذكراته عند الحديث عن الجيش النظامي :- "ثم إن الباشا (أي الداي حسين)، بعد رجوع القبجي باشا(رئيس الكتاب)، أراد أن يكتب العسكر النظامي من عسكر زواوة القديم[5]، فتكلم مع وزرائه وزرائه وعماله، وقال لهم إني أريد أن أكتب العسكر النظامي من حيث زواوة، بأن يبعثوا أولادهم ليكتبوا في دفاتر الجيش النظامي وولى على ذلك العمل أربعة رجال من أغوات الترك وجعلوا كتابا أربعة شواش وأمرهم بأن يأتوا بأولاد زواوة، فاتوا بهم في اليوم الموعود... فأمره الباشا بكتابتهم في دفتر العسكر... وكتب منهم نحو الألفين"[6].

---

[1]- كاثكارت، جيمس ليادر، مصدر سبق ذكره، ص 78.

[2]- جمال قنان: نصوص ووثائق ، مرجع سبق ذكره، ص 248.

[3]- كاثكارت، جيمس ليادر، مصدر سبق ذكره، ص 75.

[4]- خليفة حماش، العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالي، مرجع سبق ذكره، ص 123.

[5]- كان عسكر زواوة من بلاد القبائل الكبرى هو عمدة الأتراك وعدتهم في بدايات التواجد العثماني بالجزائر منذ عهد خير الدين، وقد أشرنا إلى محاولة ابنه حسن باشا تجنيدهم سنة 1561م وأسبقيته لهذا العمل .

[6]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص ص 165-166.

غير أن هذه الزيادة الكمية والمطردة لأعداد الكراغلة ضمن صفوف الإنكشارية لم يرافقها تطور في الجانب النوعي للحضور الكرغلي في الجيش، إذ لم يسمح لهم بتولي المناصب أو تقلد الرتب العليا، وحتى العساكر المجندين بقرار الداي شعبان سنة 1693م منعوا من الوصول إلى رتبة بلوكباشي[1] لقطع الطريق عليهم نحو الرتب الأعلى.

كما أن الكراغلة الذين يتم اللجوء إلى خدماتهم ضمن فرق الإنكشارية،لا تقييد أسمائهم في نفس السجلات المخصصة للأتراك[2]، والحقيقة أن دراسة ظروف تجنيد الكراغلة تفضي إلى نتائج مهمة، ملخصها أن عمليات التجنيد كانت تتم في أغلبها تحت ضغوط داخلية وخارجية، ولم تكن نابعة عن قناعة لدى العثمانيين، وهذا ما أثر سلبا على وضعية الكراغلة ودورهم في الجيش وعمق الهوة بين الطرفين وخلق نوعا من التوجس وعدم الثقة التي كثيرا ما أفضت إلى حدوث تمردات ونزاعات مسلحة تخللت مختلف مراحل الوجود العثماني بالجزائر، وهو ما سنحاول تفصيله وتحليله من خلال المباحث التالية .

➢ ثالثا/ وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة البايلربايات1544-1587م :

تناولنا فيما سبق بعض ميزات عصر البيلربايات[3] في الجزائر، والمتمثلة أساسا في طبيعة الحكام الذين عرفتهم تلك المرحلة سواء على مستوى مقر السلطنة آو في أيالة الجزائر، والذين تميزوا بالقوة التي تجلت في أعمالهم الهامة كتوطيد أركان الدولة العثمانية وتوحيد السكان خلفهم ضد العدو الخارجي، وفي الجزائر كان الباي يعين من طرف السلطان العثماني مباشرة ويتصرف كملك حقيقي[4]. حقيقي[4]. وفي عهد البايلربايات كذلك حدثت عمليات المصاهرة بين العثمانيين الوافدين والسكان المحليين، ما ترتب عنه ظهور فئة الكراغلة التي أثرت في النظام السياسي والاجتماعي للدولة العثمانية[5]باعتبارها فئة ثالثة بين فئتين مختلفتين، فهي أقرب من ناحية الآباء إلى فئة العبيد منها إلى فئة فئة الأحرار باعتبار أمهاتهم.

غير أن وضع الكراغلة هذا لم يكن ليطرح أي إشكال فيما يتعلق بدورهم في المجتمع، وذلك بسبب طبيعة المرحلة التي جعلت كافة فئات المجتمع تتوحد لمواجهة العدو الصليبي المشترك.

---

[1]– Boyer (P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p86.

[2]-Idem.

[3]– ورد في دليل الحيران ورد أن البيلرباي يقال له "باي البايات" ، و" باشالار"، وأن كلمة "لار" هي للتعظيم والتنويه . للمزيد أنظر . وكذلك محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 183 وما بعدها.

[4]– العربي إشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص 31.

[5]– خليفة حماش، العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالي، مرجع سبق ذكره، ص 121.

إن هذا الوضع للكراغلة سيتعزز أكثر عندما نعلم أن مرحلة البايلربايات شهدت تولي أول كرغلي للحكم في الجزائر كبيلرباي، وهو حسن باشا بن خير الدين وذلك ابتداء من سنة 1544م وعلى ثلاث فترات متقطعة[1].

فهل كان هذا الحدث نتيجة لقناعة جند الجزائر آنذاك والذين كان الرياس في مقدمتهم بأن لا غضاضة من تولي كرغلي للحكم، أم أن نسب حسن بن خير الدين قد شفع له ولعب دورا في عدم الاعتراض على ابن مؤسس أيالة الجزائر وموطد أركانها.

يبدو من خلال قراءة الأحداث التي تخللت فترة حكم حسن باشا، هو ترجيح الفرضية الأخيرة على اعتبار أن فلسفة الحكم عند العثمانيين والتي تقدم ولاء فئة الإنكشارية العبيد على صلة النسب التي يحملها أبنائهم الكراغلة، ما كانت لتتغير ولم تتغير سوء خلال مرحلة البايلربايات أو بعدها. ويؤكد هذا الطرح أكثر اعتراض الإنكشارية القوي على محاولة حسن باشا إدخال عناصر من الأهالي إلى صفوفهم سنة 1561م، بعد مصاهرته لملك كوكو[2]بزواجه من ابنة شيخها ابن القاضي وإشراك الأهالي في الإدارة[3]، ثم سماحه لجنود زواوة بالتجول في المدينة حاملين السلاح، الأمر الذي لم يكن مسموحا به من قبل أبدا[4].

لم يستسغ الإنكشارية هذه الإجراءات لدرجة أن بلغ بهم الأمر إلى إلقاء القبض على الباشا نفسه مع اثنين من مقربيه وأرسلوا إلى القسطنطينية مكبلين بدعوى أن الباشا يريد تسليم السلطة في الجزائر لملك كوكو[5]، ورغم خيبة مسعى الإنكشارية هذا لعدم اقتناع السلطان العثماني أحمد باشا بحجتهم، إلا أن نفس الموقف تكرر في الولاية الثالثة والأخيرة لحسن باشا(1562م-1567م) بعد عودته للجزائر ومحاولته مجددا إدخال عناصر العرب والقبائل والكراغلة الذين حاربوا إلى جانبه في مالطة أثناء حملته عليها سنة 1564م إلى فرق الإنكشارية، فاشتكت هذه الأخيرة من هذا التصرف[6] الذي رأت فيه فيه خطرا على مصالحها ومستقبلها في الجزائر.

---

[1]- هذه الفترات هي :1- من 1544 إلى1552م. 2- من 1557 إلى 1562م. 3- من 1562 إلى 1567م.

[2]- هو أبو العباس أحمد بن القاضي، رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكنة بناحية بلاد القبائل، كان أولا يشغل منصب قاض ببجاية وفي سنة 917ه/1511م أسس إمارة بجبل كوكو الواقعة عند منابع واد سباو، على نحو ثمان كيلومترات شرقي عين الحمام، ولما استقر خير الدين بالجزائر ولاه رئاسة قومه بتلك الناحية. لكنه رفض التدخل التركي في الجزائر وقاتل الأتراك إلى أن رأت الحكومة التركية أن الأمر لا يصفوا لها مع وجود ابن القاضي فأوعزوا إلى من قتله سنة 1527م. للمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 48 وما بعدها.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 94.

[4]- HAEDO (FD), Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p 24.

[5]-Idem.

[6]- Gaid ,Mouloud, op. cit, p 85.

في تحليله لهذه المواقف التي طبعت العلاقة بين البايلرباي كحاكم والإنكشارية كأقوى فصيل في مؤسسة الجيش العثماني، يعتقد **شارل أندري جوليان** أن حكام الجزائر الأوائل سرعان ما أدركوا أن الخطر الذي يهدد حكمهم لا يأتي من رعاياهم بل من الإنكشارية، لذلك حاولوا إنشاء جيش لا يقل عنهم إقداما لكنه أشد إخلاصا إليهم منهم واختاروا عناصره من بين مستجدي القبائل وخاصة قبيلة زواوة وربما فكروا في إنشاء إمبراطورية بحرية تقتصي تضافر جميع قوى الأيالة، غير أن الباي العالي بإيعاز من الإنكشارية حال دون ذلك خوفا من أن تساعد مثل هذه القوة على بعث دولة مستقلة ومنافسة له[1]، ولا يكون فيها للإنكشارية السلطة المطلقة، ولعل ما كان يزيد من هذا التخوف ارتباط العناصر المحلية كالكراغلة بأرض الجزائر على عكس العثمانيين الذين هاجروا إليها لأغراض متعددة[2].

إن موقف الإنكشارية الصارم إزاء إي إجراء يهدف لإشراك الأهالي في السلطة أثر سلبا على مستقبل علاقتهم بأبنائهم الكراغلة بقية وجودهم بأرض الجزائر، ودفع الكراغلة لاحقا لتتكتل ضمن فئة متميزة عن أبائهم العثمانيين لما عجزوا عن الانصهار فيهم برفض العثمانيين، ثم تطور الموقف إلى مواجهات بين الطرفين مافتئت تخمد لتشتعل من جديد. ورغم أن فلسفة الحكم التي سنها السلاطين العثمانيين منذ عهد مراد الأول (1360م-1389م)، كانت تمنع انتقال وظيفة الآباء إلى الأبناء خاصة العسكريين منهم والذين يجب أن يجندوا وفق نظام الديوشرمة فقط (أنظر قانون السلطان مراد)، إلا أن ما نستخلصه من الدراسة التي أجراها بيار بوير حول موضوع الكراغلة في الجزائر، هو أن هذه القاعدة كانت مبدأ نظريا ولم تكن واحدة وثابتة خلال العهد العثماني كله، بل اختلف تطبيقها من فترة لأخرى وتفاوت بحسب درجات الصراع والظروف السياسية والعسكرية المحيطة .وقد شهد عصر البيلربايات ميلاد الجيل الأول من الكراغلة الذين لم يطرح تواجدهم في الجيش أو الإدارة أي إشكال أو تخوف لدى العثمانيين حسب ما سجله ولاحظه هايدوا أثناء إقامته في الجزائر بين عامي 1578م و1581م من خلال قوله:-"...من التقاليد والعادات السائدة أيضا أن كل أبناء الإنكشارية والمهتدين (الأعلاج) وأحفادهم، بإمكانهم أن يصيروا إنكشارية إن أرادوا، وذلك ما يفعله كثير منهم حقيقة"[3]. ولعل تولي حسن باشا بن خير الدين الحكم ثلاث مرات في الجزائر وزواجه من جزائرية خير دليل على هذا الاستنتاج .

[1]- شارل أندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص 341.

[2]- Boyer(P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p82.

[3]- HAEDO(FD),Topographie et Histoire générale d'Alger, op.cit, p71.

وبما أن نظام الحكم العثماني كان عسكريا بالدرجة الأولى[1]، فإن الوضع السياسي للكراغلة ارتبط حتما بوضعهم العسكري ومدى توغلهم ونفوذهم في الجيش، وهي المسألة التي لم تكن مطروحة بحدة على عهد البيلربايات للأسباب المتقدم ذكرها، فالجيل الأول من الكراغلة الذي عصر البيلربايات كان بإمكانهم أن يصيروا إنكشارية بشهادة هايدو، كما تمتعوا بثقة ومكانة سياسية ومالية جسدتها عدة شواهد منها:

– تولي حسن بن خير الدين الكرغلي للحكم واللجوء لخدماته مرارا نظرا لعلاقته الحسنة بالمحليين وتحمس هؤلاء لعودته للجزائر[2] كلما حدث ذلك.

-صدور فرمان شاهاني[3]سنة 1580م، من السلطان العثماني مراد الثالث، إلى البيلرباي جعفر باشا ، بخوص النظام المالي للأيالة، من ضمن ما جاء فيه " أنه يجب تعيين شخص من طائفة قول أوغلو ذي كفاءة في النظام المالي، وتنظيم الشؤون الإدارية، وحذر البيلرباي من اختيار شخص يميل إلى إثارة القلق والشغب "[4]. وفي هذا الإجراء إشارة قوية لمدى الثقة والمكانة السياسية التي كان يتمتع بها الكراغلة لدى الحكام الأتراك والتي تعدت حدود الأيالة.

-عدم حدوث أي تمرد أو احتكاك مباشر بين الكراغلة والحكام العثمانيين خاصة الإنكشارية منهم، ما يؤشر على عدم قلق الكراغلة من وضعيتهم السياسية، أو على الأقل عدم تبلور تصور من هذا القبيل.

في الأخير يمكن القول أن وضع الكراغلة خاصة الجيل الأول منهم خلال مرحلة حكم البيلربايات كان مستقرا إلى حد بعيد سواء في الجانب العسكري أو السياسي، وإن كانت نفس هاته المرحلة قد شهدت بواكير الصراع بين الإنكشارية والمحليين الذين سيكون الكراغلة أبرزهم، وذلك من خلال رد فعل الانكشارية على تجنيد كل من سواهم في صفوفهم، وفي ذلك إشارة مبكرة لنفسية وميول هؤلاء نحو العزلة والاستئثار بمغانم السلطة .

---

[1]– وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 42.

[2]– يوسف بنوجيت، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد، ترجمة سامية سعيد عمار، دار دحلب للنشر، الجزائر،2007، ص175.

[3]– فرمان شاهاني: أي قانون سلطاني. والفرمان هو الإرادة، والآلية الفاعلة من أعلى إلى الأسفل في جهاز الدولة العثمانية. ويقصد به تلك المراسيم، والقرارات، والأوامر التي كان يرسل بها السلطان العثماني إلى من يمثله في الجزائر. للمزيد أنظر: توفيق دحماني، مرجع سبق ذكره، ص 154.

[4]– يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر،2007، ص 31.

➢ رابعا/ وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الباشوات1587-1659م:

جاء تغير نظام الحكم العثماني من نظام البيلربايات إلى الباشوات على خلفية شكوك ومخاوف الدولة العثمانية من محاولات الانفصال والاستقلال عنها من طرف البيلربايات، لذلك رأت أنه من المناسب الفصل بين إدارة اوجاق الغرب بتعيين واليين مختلفين لتأمين وحدة الإمبراطورية، مانعة أن تكون إدارة شمال إفريقيا كله بيد شخص واحد ولمدة طويلة[1]. وكان مما زاد توجس ومخاوف السلطنة شكاوى الانكشارية المتتالية حول تجنيد السكان المحليين في صفوفهم، ومعاملة البلربايات الحسنة لهم، من ذلك مثلا ما ذكره دو بارادي من أن الجيجليين[2] كانوا يحظون بنفس الامتيازات التي يحظى بها الانكشارية كحمل السلاح والشجار مع الجنود الانكشارية[3]. فسارعت الدولة العثمانية إلى إلغاء منصب البيلرباي واللجوء لتعيين باشوات يديرون الأيالة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

إن طبيعة نظام الباشوات جعلته يحمل بذور الصراع حول الامتيازات منذ بدايته، فهؤلاء الحكام أصبحوا يأتون إلى شمال إفريقيا لجمع المال والذهب ما أثار غضب الانكشارية والرياس معا[4]، ولخلق الفرقة والعداء بين الطائفتين الأساسيتين في الجيش العثماني بالجزائر فقد دعم الباشوات مركز الانكشارية في الجزائر على حساب طائفة الرياس[5]، وذلك من خلال الديوان الذي أصبح هو نقطة ارتكاز حركة الانكشارية التي جردت الباشوات في النهاية من كل سلطاتهم تاركة لهم مجرد منصب شكلي، ما أدى إلى تراجع سلطات الباشا بعد سنوات من إقرار حكمه، فكانت الأوامر القادمة من إسطنبول لا تطاع إلا إذا وافق عليها الديوان. وقد لاحظ الأب دان في وسط عقد الثلاثينيات من القرن السابع عشر" أن الدولة كانت ملكية بالاسم فقط لأنهم في الحقيقة حولوها إلى جمهورية". كما أن

---

[1]- أرجمند كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ط2، ترجمة عبد الجليل التميمي، تونس،1974، ص 14.

[2]- كانت مدينة جيجل تحظى بمكانة خاصة عند العثمانيين منذ عصر المؤسسين عروج وخير الدين باعتبارها حاضنتهم الأولى، وقد استقبلتهم بكل حفاوة وفرح ومنها كانوا ينطلقون في عملياتهم الجهادية، وفيها استقبل عروج سنة 1516م وفد مدينة الجزائر الذي جاء يطلب الدعم ضد الإسبان المتواجدين في قلعة البنيون. وكرد للجميل سمح العثمانيون لسكان جيجل ببعض الأعمال التي كانت محظورة على غيرهم كحمل السلاح في المدينة مثلا ووضعوا عنهم بعض الضرائب. للمزيد أنظر:

HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger , op.cit,pp4-18.

[3]- Venture de paradis ,op.cit, p 119

[4]- جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 135.

[5]- صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص107.

فرانسيس نايت وكذلك القنصل الإنكليزي والقنصل الفرنسي الذين عاشوا في الجزائر في النصف الأول من القرن (السابع عشر) كلهم رددوا ذلك الرأي[1].

كان من شأن هذه الحالة السياسية أن تدخل أطراف معادلة السلطة في الأيالة في حالة من الصراع الداخلي، الذي سرعان ما بدأت فصوله تتجسد في الواقع، وقد لعب الكراغلة دورا مهما في هذا الصراع وكانوا طرفا في أغلب أحداثه.

كانت أولى فصول هذا الصراع بداية من سنة 1595م، وجاءت على خلفية اتهام الانكشارية للحاكم خضر باشا سنة 1592امبالإختلاس، فسجن إلى أن أظهر براءته[2]، فعاد للجزائر حاكما للمرة الثانية في شهر ديسمبر سنة 1595م، حيث عاد هذه المرة وهو يفكر في وضع خطة للتخلص من نفوذ الانكشارية التي لم ينسى لها اتهامه بالاختلاس. وحسب المؤرخ عزيز سامح التر فإن هناك أسباب اقتصادية وراء أحداث سنة 1596م، تمثلت في محاولة خضر باشا إتباع سياسة مالية تحد من إثقال كاهل السكان بالضرائب، وذلك من خلال رسالته للسلطان العثماني التي يستأذنه فيها بإعادة أنصبة الأموال المستحقة كما كانت سابقا إلى خزينة مركز الولاية، الأمر الذي جعل الجميع يهدده بالعصيان إذا تم ذلك[3].

كان عدد أفراد الانكشارية قد زاد وازدادت معه عجرفتها سواء مع السكان أو حتى مع الباشا نفسه، فرأى خصر باشا أن أحسن طريقة للتخلص منها هي تسليح سكان مدينة الجزائر وفتح باب الثورة أمامهم ضد المليشيا، وحاول في نفس الوقت أن يحصل على ود وتأييد طائفة الرياس التي كانت علاقتها جيدة مع السكان، فقام بتجنيد الشعب والكورغليين ضد الانكشارية[4]، ولم يتردد سكان المدينة وخصوصا الكراغلة عندما سلحهم خضر باشا في إعلان الحرب على المليشيا، وحدثت مجازر رهيبة في شوارع المدينة، وسرعان ما سمع سكان خارج المدينة بتحرك الكراغلة فسارعوا للالتحاق بهم، وفي ظل الرغبة المشتركة في الانتقام من المليشيا تحقق نوع من التحالف بين سكان المناطق الداخلية والكراغلة الذين يقيمون في مدينة الجزائر[5].

---

[1]– جون وولف، المرجع نفسه، ص ص 135–136.

[2]– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، م.و.ك، الجزائر،1986، ص 32.

[3]– عزيز سامح التر، مرجع سبق ذكره، ص 309 .

[4]– يوسف بنوجيت، مرجع سبق ذكره، ص 185

يرى المؤرخ بنوجيت أن دافع الكولوغليين للثورة ضد الانكشارية سنة 1595م ، كان عنصريا وهذا برغم قرابتهم للأتراك، فيما يرى أن دوافع بقية الشعب تكمن في تصرفات الانكشارية التي أنهكتهم. للمزيد أنظر نفس المرجع ص 185 وما بعدها.

[5]– أنظرابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص 84.

لقد انفرد خضر باشا بمحاولة زحزحة وصاية الانكشارية مستعينا بالكراغلة الذين أقصوا عن الشؤون العامة والقبائل المستعدين دائما للثورة[1]، ورغم موافقة الخضر باشا على مسعى المصالحة بمجرد أن بدأت الثورة، خوفا من صولة الانفصال لدى الجزائريين إلا أنه وبمجرد وصول أنباء ثورة السكان إلى إسطنبول[2]، اضطر السلطان العثماني أحمد خان (1595م-1604م)[3] الذي لم يجد مخرجا للأزمة التي أدت إلى تهجير مئات العائلات نحو مدن البليدة سوى إنهاء مهام الباشا[4]، وكان الخضر باشا قد وافق على مسعى المصالحة خوفا من صولة الانفصال لدى الجزائريين[5].

من جهته أشار ابن المفتي في تقاييده إلى هذه الأحداث فذكر أنها وقعت سنة 1006هـ(1597م) وسماها بفتنة القلاعجي[6] ، وقد يكون المقصود منها أحداث سنة 1595م المشار إليها والتي اتهمت فيها فيها الإنكشارية خضر باشا بالاختلاس. ولذلك فإن معظم المؤرخين يتفقون على جعل سنة 1595م هي السنة التي سجل فيها الكراغلة حضورهم في الساحة السياسية ولفتوا الانتباه إلى خطورتهم ومدى فاعليتهم خصوصا إذا دخلوا في تحالفات مع قوى أخرى .

وإذا كانت دوافع الكراغلة للمشاركة في أحداث سنة 1595م خارجية، حيث أن مشاركتهم جاءت استجابة لتحريض الحاكم خصر باشا الذي استغل تذمر مختلف فئات المجتمع من تصرفات الإنكشارية، فإن ما تلى هذه الواقعة من أحداث خلال سنوات 1629م و1633م، والتي قادها الكراغلة بهدف الإطاحة بحكم الإنكشارية، كانت بدوافع داخلية لدى الكراغلة الذين باتوا يشكلون تنظيما متميزا له أهدافه ومخططاته.

كانت الأسباب المباشرة لهذه الأحداث هي تركيز الانكشارية في مراقبة الكراغلة والإمعان في إقصائهم من الحياة السياسية والعسكرية، أما الأسباب الغير مباشرة فتعود إلى سنة 1629م حين أعلن الانكشارية تمردهم على حسين باشا (1627م-1633م) بسبب الأجور، وأساءوا معاملته ثم سمموه[7]. وقد جاء هذا التمرد بناء على قرار الديوان القاضي بإرغام الباشوات على دفع أجور الجند .

استغل الكراغلة حالة الفوضى التي نجمت عن الصراع بين الباشا حسين وديوان الانكشارية حول الصلاحيات وتسيير خزينة الدولة وحاولوا سنة 1630م الاستيلاء على الحكم حسب ما يورده حمدان خوجة الذي كتب حول الموضوع قائلا: "وضع أفراد تلك الطبقة مشروعا يهدف إلى طرد

---

[1]- شارل أندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص 352.
[2]- يوسف بنوجيت، مرجع سبق ذكره، ص 186
[3]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 146.
[4]- Gaid , Mouloud, op. cit, p 112.
[5]- يوسف بنو جيت، مرجع سبق ذكره، ص 186.
[6]-ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص 84.
[7]- Grammont (H.D.de) , Relations, op.cit, p 416.

الأتراك (أباءهم وأجدادهم) الذين كانوا يحكمون البلاد. ولهذا الغرض اجتمعوا في حصن الإمبراطور[1]. وعندما علم الأتراك بهذه المناورة فكروا، لإحباط المشروع في أن يلبسوا عددا من العمال الذين يدعون بني ميزاب ملابس نسائية، ولما تدثر هؤلاء بالملاحف أخذوا أسلحتهم والذخيرة في شكل متاع مستورد، ثم تقدموا إلى مدخل الحصن وكأنهم نساء هربن من جور الأتراك. وبمجرد ما دخل أولئك الرجال الحصن وهم تحت ذلك القناع، هاجموا المتمردين بمساعدة فوج كان يتبعهم عن كثب، فأخضعوهم وأحبطوا مشاريعهم"[2].

أما عبد الرحمان الجيلالي فيورد هذه الحادثة على أنها وقعت سنة 1630م، من طرف مجموعة من الكراغلة لا كلهم، والذين أرادوا الاستيلاء على الحكم، فاجتمعوا لأجل هذا الغرض في برج "مولاي حسن fort L'Empereur" بالعاصمة، وكان الأتراك على علم بهذه الدسيسة إلا أنهم تظاهروا بالتغافل لإفساد هذه الخطة المدبرة ضدهم وإحباط سعي الكراغلة فيها[3] ما أدى إلى القضاء على هذه الحركة في مهدها.

ويبدو أن مشاركة جماعة بني ميزاب في وأد انتفاضة الكراغلة إلى جانب الانكشارية، مرجعه تميز هذه الطائفة بتفانيها في العمل وإخلاصها للحكام ووقوفها إلى جانب الأتراك، ما جعلها محل ثقتهم وأكسبها الكثير من التعهدات والامتيازات مع نهاية القرن الثامن عشر، ومكنها من تكوين ثروات ضخمة وشراء الدور والمنازل والمحلات والبساتين وامتلاك الحمامات وأفران الخبز[4]. وبالتالي فإن أي فوضي في المدينة من شأنها أن تؤثر على الاستقرار، لا تخدم مصالحها.

من جهته يشير محمد الصالح بن العنتري إلى أحداث سنة 1629م بالجزائر فيقول: " وفي عام 1629 سمح لعدد من الكراغلة المنفيين بعنابة، بالعودة إلى الجزائر العاصمة فقاموا بثورة دموية بالقصبة، وفجروا جزءا منها أتى على حوالي 500 منزل و600 شخص قتيل[5]. وهي نفس السنة التي

---

[1]– يقع حصن الإمبراطور أو برج الإمبراطور (يسمى كذلك برج كدية الصابون أو برج مولاي حسن) إلى الجنوب الشرقي من حصن النجمة ، فوق ربوة الصابون ، وهو يسمى أيضا حصن "بوليلة" تخليدا لذكرى شارل الخامس الذي أقام فوق هذه الربوة ليلة 26 أكتوبر 1541م، قبل أن يمنى بهزيمته النكراء وينسحب من الجزائر. وقد بناه حسن باشا الذي شرع في بنائه في سنة 1545م على مسافة 1700متر من القصبة العليا، ثم زاد فيه وعززه حسن فينزيانو في سنة 1580م . وأدخلت عليه إصلاحات سنة 1656م . للمزيد أنظر:
كاثكارت، جيمس لينادر، مصدر سبق ذكره، ص 86 . وكذلك صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص327.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 116.

[3]– عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 132

[4]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 100.

[5]– محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة أو تاريخ قسنطينة، مصدر سبق ذكره، ص 36 .

ذكرها ناصر الدين سعيدوني، والذي أشار إلى أن الكراغلة اعتمدوا في ثورتهم هذه على عناصر زواوة العاملين في الجيش[1].

أما عن انفجار مستودع البارود وما خلفه من ضحايا بين السكان فالذي وقفت عليه أن جل المؤرخين يربطونه بأحداث سنة 1633م التي سنأتي على ذكرها.

والذي نخلص إليه من خلال مراجعة مختلف الكتابات حول الموضوع، أن أولى أحداث تمرد الكراغلة تمت في بجاية سنة 1629م، ثم أعقبتها أحداث سنة 1630م بمدينة الجزائر[2]. وحسب بيار بوير فقد تمكن الإنكشارية الأتراك من اعتقال عدد كبير من المتورطين في التمرد من الكراغلة والرياس في بجاية، كما طردوا الكراغلة من مدينة الجزائر[3]، وقد كان من نتائج إخفاق الكراغلة في محاولتهم هذه عدم السماح لهم بشغل المناصب السامية، حيث عزل كل من كان يشغل منهم وظيفة حساسة في ذلك الحين[4]. بل تعدى الأمر إلى طرد الكراغلة من مدينة الجزائر وتفرقهم في مناطق مختلفة. كما كشف هذا الحادث عن مدى التحالف بين الكراغلة وجماعات زواوة، والذي يبدو أنه قديم وربما ترتبط خيوطه الأولى بالأحداث التي وقعت على عهد حسن ابن خير الدين السالفة الذكر، وسوف يتقوى هذا التحالف في المستقبل على خلفية عدة قواسم مشتركة بين الطرفين، لعل أهمها وجود نفس الموقف من الإنكشارية، فقد كان سكان منطقة القبائل من أشد المعارضين لحكم الأتراك ولم يكونوا يرضون أن تأتي قوة أخرى إلى أراضيهم وتحكمها[5]. هذا مع اختلاف أسباب العداء للأتراك فيما يبدوا لي، فالكراغلة إنما عادوا آبائهم لرفضهم إشراكهم في دوائر السلطة العسكرية والسياسية ومقاسمتهم امتيازاتها، أما بلاد القبائل فقد عرفت برفض الأجنبي حتى قبل دخول العثمانيين الجزائر.

من جهة أخرى وحسب الأب دان فحتى سنة 1629م، كان الكراغلة يتمتعون بقوة اقتصادية ورثوها عن أبائهم، ثم ما لبثت تتحول إلى قوة سياسية بفعل الظروف المحيطة[6].

وهكذا يمكن القول إن سنة 1629م كانت سنة انطلاق وبداية صراع خفي وطويل بين العثمانيين وذريتهم، بلغ ذروته خلال أحداث سنتي 1629م و1630م، عندما انكشفت خيوط التمرد الذي دبره الكراغلة للاستيلاء على السلطة، فقرر الديوان إثر ذلك نفي عددا كبير منهم إلى بجاية ثم

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني،المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[2]– للمزيد حول أحداث سنة 1629م راجع:

Boyer(P) :"Le problème kouloughli….",op.cit,p82.

ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص 49.

حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 116 وما بعدها.

[3]– Boyer(P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p82.

[4]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[5]– مزيان وشن، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي ، الجزائر،2007، ص 106.

[6]– DAN (P),op.cit,p112.

إلى عنابة وتونس، كما قام بمصادرة أملاكهم. وفي هذا الصدد ذكر الأسير الإنجليزي "فرنسيس نايت" أن الأتراك نفوا أكثر من ألفين وثلاثمائة (2300) كرغلي من المدينة على أربع مراحل، كان معظمهم ينحدرون من الأتراك الأوائل الذين فتحوا البلاد[1]. كما تحدث ابن المفتي عن هجرة القلغاز لما نفاهم الترك من الجزائر في آخر يوم من رمضان سنة 1038هـ(1629م)، ولم يرحل آخرهم من المدينة إلا في رجب سنة 1039هـ(1630م)[2].

لقد تفرق شمل كراغلة مدينة الجزائر وتوزعوا عبر عدة مناطق في الأيالة خاصة التي كانت في حرب مع العثمانيين كبلاد القبائل، حيث تجمعوا في قدم جبل فليسة وشكلوا ما أصبح يعرف بمخزن الزواتنة[3] وهم الذين يعود إليهم أصل كراغلة الأرياف، وحسب إبن المفتي فإن الكراغلة المبعدين إلى تونس لما عادوا منها في رمضان سنة1041هـ(1632م) قصدوا بلاد زواوة[4]، ولذلك قدر حمدان خوجة عددهم في عصره بين ثمانية وعشرة آلالف نسمة[5].

كذلك يذكر بوير أن من الكراغلة من استقر بضواحي زمورة في بايلك قسنطينة، ومنهم من التحق بمنطقة القبائل الجبلية بمملكة كوكو التي كان أهلها في حرب ضد الحكومة آنذاك[6].

كانت أحداث سنة 1630م مفصلية في العلاقة بين الكراغلة والأتراك، وهنا قد يتبادر إلى الذهن تساؤل حول مغزى سماح الإنكشارية للكراغلة بالتوجه نحو بلاد القبائل، مع علمهم المسبق أن هذا من شأنه أن يكون سببا في تقوية التحالف بين الطرفين اللذين يجمعهما العداء للأتراك وإن اختلفت أسباب هذا العداء. وتفسير ذلك على ما يبدو يتلخص في كون العثمانيين كانوا يهدفون لاستخدام الكراغلة في مراقبة منطقة القبائل المستعصية على السلطة، علما أن كراغلة واد الزيتون كونوا لاحقا ما أصبح يعرف بمخزن الزواتنة نسبة لواد الزيتون[7] في منبع واد يسر. أي أنهم تحولوا إلى قبيلة مخزنية تؤدي خدمات للعثمانيين مقابل امتيازات تحصلها، الأمر الذي يعزز هذا الطرح، وبالفعل فقد كان للكراغلة دور هام في إقامة السلطة التركية هناك[8]. وفي هذا إشارة إلى أن العثمانيين قد فهموا الدوافع الحقيقية لتمرد الكراغلة ضدهم فعملوا على توجيهم بما يخدم مصالح الطرفين دون الإضرار بالوجود العثماني أو منافسته في مجالات نفوذه المادية والمعنوية.

---

[1]– أمين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 159.

[2]– ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص49. حسب المحقق فارس كعوان فإن الكراغلة قاموا بمؤامرتهم ضد الأتراك بالضبط في 02 ماي1629م .

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 258.

[4]– ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص50.

[5]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[6]– Boyer(P) :"Le problème kouloughli….",op.cit,p83.

[7]– للمزيد أنظر ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص ص 257–272.

[8]–GUIN, Notes sur le Bey Mohammed,dit EL-Bey Debbah,in R.A,N°7, Alger1863, p294.

- **أحداث سنة 1633م** :

يبدو أن انعكاسات أحداث سنة 1630م الوخيمة على الكراغلة، جعلتهم أكثر إصرارا على معاودة الكرة لتحقيق أهدافهم، فكانوا يتحينون الفرصة لذلك، وقد وجدوها بالفعل في ثورة الجنود الأتراك على حسين باشا(1626م-1634م) الذي استبد بالحكم دون الديوان، ثم تفاقم الوضع لما عجز الباشا عن دفع مرتبات الجند[1]، فوضع هذا الأخير في السجن عام 1633م، واستلم الديوان زمام السلطة، وفي هذه الظروف وجد الكراغلة الفرصة مواتية لمعاودة الثورة ضد الإنكشارية حيث قاموا بثلاث محاولات للاستيلاء على مدينة الجزائر[2]، مستغلين توفر بعض العوامل المساعدة منها:

- رجوع أغلب المنفيين الكراغلة إلى البلاد حيث ببرج زمورة قرب مجانة، والبعض الآخر التحق بكراغلة واد الزيتون.
- نمو تحالف قوي بين الكراغلة والقبائل ما عزز من إمكانيات الكراغلة العسكرية والبشرية .
- استمرار الحملات التركية العسكرية نحو بلاد القبائل وإن لم تحقق أي نجاح[3].

هذه العوامل دفعت الكراغلة لاتخاذ قرار الهجوم على مدينة الجزائر ومباغتة الإنكشارية، وقد تم تنفيذ هذا المخطط في جويلية سنة 1633م، وحسب بوير فقد شارك فيه 57 كرغلي فقط، بحيث اقتصت خطت المهاجمين دخول المدينة في شكل جماعات صغيرة والتوزع في نواحي القصبة[4]، متنكرين في زي فلاحين يحملون أسلحة مخفية. وقد تم هذا الجزء من الخطة بحيث انهال الكراغلة على الإنكشارية فجأة وتمكنوا من السيطرة على بعض المواقع[5]، غير أن رد فعل الإنكشارية كان سريعا وقويا، ما اضطر الكراغلة للنزوح إلى أعالي المدينة ومهاجمة القصبة نظرا لاكتظاظها بالمسؤولين والخدم والحرس[6].

---

[1]- الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج3، مرجع سبق ذكره، ص 154.

[2]- Boyer(P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p83.

3-Idem.

[4]-Idem.

[5]- Grammont (H.D.de) , "Relations....", op.cit, pp 414-416.

[6]- علي خلاصي، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، ص29.

وقد استمرت المعركة في الشوارع ولم يوقفها إلا انفجار مستودع البارود[1] الذي يقع في القلعة الكبيرة التي احتمى بها الكراغلة[2]، فخربت هذه الأخيرة مع أكثر من 500 مسكن، ما أدى إلى مقتل أكثر من عشرة ألاف نسمة، وقد لاحق الإنكشارية الناجين من الكراغلة وقتلوا منهم الكثير[3]. فيما فضل الآخرون الانسحاب من ميدان المعركة راجعين إلى مقر إقامتهم في الأرياف[4].

لقد كان زعماء الكراغلة يعولون في هجومهم هذا على مساعدة ودعم عدة أطراف كحضر مدينة الجزائر، وعناصر زواوة[5] والرياس. لكنهم لم يحسنوا اختيار الوقت المناسب للهجوم كما تذكر أغلب المصادر التاريخية، فالزمان كان زمان قرصنة والرياس في البحر، فضلا على أن بعض الكراغلة والرياس كانوا محجوزين بمدينة بجاية من قبل الإنكشارية، وذلك بعد هزيمتهم البحرية ضد الإسبان سنة 1629م[6]، أما عناصر زواوة فقد حل الأتراك أغلب فرقهم في الجيش منذ ما يقرب من 15 سنة[7].

من جهة أخرى يبدو أن هذا الهجوم لم يشارك فيه جميع الكراغلة، بل إن ثلة منهم فقط قد اتخذت قرار التحرك نحو مدينة الجزائر[8]، ويستنتج من استقراء الأحداث أنه كان متسرعا إلى حد كبير كبير وغير مدروس. الأمر الذي أدى إلى حدوث مقتلة عظيمة في السكان لم تكن متوقعة، كما أصبح الكراغلة في وضعية أشد صعوبة ومستقبل أكثر غموضا. وفي المقابل حقق الإنكشارية انتصارا أزاحوا به جزء معتبرا من خصمهم[9].

---

[1]– يقع مستودع أو مصنع البارود في في الجزء الأوسط من القصبة، تحده من الجهة الشمالية البطارية الأولى وحديقة النعام ، ومن الجهة الشرقية قصر البايات، ومن الجهة الجنوبية البطاريتان الثالثة والرابعة، ومن الغرب مسجد الجيش وحديقة خوجة الباب. وقد عرف مصنع البارود ترميمات وتغييرات منذ أوائل القرن السابع عشر، ويعود أصلا إلى المرحلة الأولى من مراحل بناء القصبة خلال النصف الأول من القرن 16م ، لكن هياكل هذه المرحلة قد هدمت= =في الأحداث المرتبطة بثورة الكراغلة، وأعيد بناؤها سنة 1638م في أيام علي باشا الذي حكم بين 1637و1639م . حيث بني على هياكل وأسس جديدة. أما البطاريات فهي عبارة عن حزام دفاعي حول القصبة وهي عبارة عن أبنية تتكون من طوابق تحتوي مخازن للبارود ومدافع، وقد كانت القصبة محاطة بسبع بطاريات .للمزيد أنظر علي خلاصي، مرجع سبق ذكره، ص 32 وما بعدها.

[2]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص ص 130– 131 .

[3]– صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 119.

[4]– GARROT.H, op.cit, p478.

[5]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 130.

[6]– GARROT.H, op.cit, p 478.

[7]– صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 119.

[8]– أنظر أمين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 146.نقلا عن

Knight,F.A, relation of seven years slavery under the Turks of Argeire, suffered by an English captive merchant,London,1640, pp72-75.

[9]- DAN (P), op.cit, p111.

بعد هذه الحادثة قام الإنكشارية بطرد الكراغلة من جميع المناصب، وضيقوا عليهم في سلك الجندية، إذ كانوا يعزلون بمجرد وصولهم إلى مرتبة ضابط[1]، كما حظر عليهم تولي مناصب المسؤولية في الإدارة ولم يفسح لهم المجال سوى في الغزو البحري[2]. ولأن معظمهم كان يأخذ أجرا من الدولة فإنه ورغم إبعادهم ظلوا يتقاضون رواتبهم خوفا من إثارة سخطهم، وفي هذا السياق يذكرحمدان خوجة أن الكراغلة لم يكونوا يستطيعون حتى الدخول إلى مدينة الجزائر لأخذ مرتباتهم كما هي العادة، لذلك فقد دخل اليهود كوسيط في هاته العملية بين الحكومة والكراغلة، بحيث كانت"جماعة اليهود تسبق للكراغلة رواتبهم السنوية مقابل وكالة تسمح لهم بأن يقبضوا باسمهم مالهم في ذمة الدولة. وفي العادة، فإن هذه التسبيقات لا تكون في شكل نقود، وإنما تدفع في شكل بضائع وبالفائدة وقد كان هؤلاء الرجال دائما في وضعية تجبرهم على قبول التسبيقات مهما كانت الشروط"[3]، في حين كان الكراغلة(الجنود) قبل ذلك يتقاضون هذا الراتب من دار باشا الجزائر وقدره مئة ريال جزائري سكة ويمون عائلته بالقمح والزيت والسمن وكسوة وكراء المسكن وغير ذلك من المصاريف اللازمة في السنة كلها[4] لكن وحسب المؤرخ ناصر الدين سعيدوني فإن الجرايا المخصصة للجنود الكراغلة أنقصت أنقصت إلى النصف مقارنة بأجرة الجنود الأتراك، كما يفسر منع الكراغلة من الحضور إلى مدينة الجزائر بالتخوف من أن يشكل تجمعهم خطرا على موظفي الدولة[5].

وهكذا فقد كان من أهم انعكاسات فشل هجوم الكراغلة أن أصبحوا في عزلة تامة، بعد أن جردوا من حقوقهم وامتيازاتهم، وخلا الجو للإنكشارية الذين أصبحوا يسيرون البلاد حسب أهوائهم وأغراضهم[6].

أما كراغلة واد الزيتون فقد بقوا هناك يشتغلون بالفلاحة لا يختلطون بغيرهم من السكان، ومع مرور الوقت أصبحوا يشكلون طائفة متميزة عن باقي السكان بتلك الجهات، وحسب ما ورد عن حمدان خوجة فإن عدد القادرين منهم على حمل السلاح كان في أواخر العهد العثماني يتراوح مابين 8000 و10.000نسمة[7].

---

[1]- Venture de paradis , op.cit, p 180.

[2]-Piesse," L'Odyssé ou diversité d'aventures, par le sieur du Chastelet des Boys",in R.A,N°12,1868, p358.

[3]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص ص 116–117.

[4]– لبصير سعاد، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516–1830، أعمال الملتقى العلمي الأول2008، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، مطبعة ألكسندر، قسنطينة، 2009، ص 65.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص96.

[6]– أرزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني مرجع سبق ذكره، ص 114.

[7]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

لكن هذه الوضعية لم تكن تعني نهاية المعركة بين الطرفين بقدر ما كانت سببا في نقل واستمرارية المواجهة خارج مدينة الجزائر[1]، فخلال انتفاضة الشرق الجزائري (1638م-1639م) والتي جاءت على خلفية رفض قبائل الشمال الشرقي الجزائري دفع الضريبة السنوية (اللزمة) للسلطات، بعد توقف نشاط الباستيون ومراكز صيد المرجان الفرنسية التي كانت تشكل مصدر مهم للنشاط التجاري الخارجي في باليلك الشرق[2]، ما جعلها تدخل في حرب كر وفر ضد العثمانيين الذين عجزوا عن إنهائها لصالحهم فاضطروا للتفاوض وعقد معاهدة صلح تضمنت في أحد بنودها نصا صريحا يمنح بموجبه عفو عام للكراغلة[3]، وقد ذكر **بيربروجر** أنه من مقتضيات هذا العفو كان عودة الكراغلة المطرودين من مدينة الجزائر سابقا، وأن تعاد لهم مناصبهم وتشريفاتهم التي حرموا منها[4]، ورغم عدم تأكد مشاركة الكراغلة في انتفاضة قبائل الشرق الجزائري ضد السلطة العثمانية من خلال الوثائق، إلا أن هذا الشرط الذي تضمنه نص المعاهدة بين طرفي النزاع، دفع العديد من المؤرخين إلى هذا الاستنتاج، فالكراغلة ما كانوا ليحصلوا على هكذا مكافئة لولا بلائهم في تلك الحرب، وما كانوا أيضا ليضيعوا أي فرصة للانتقام من خصومهم الانكشارية متى سنحت لهم الظروف.

لكن وحسب **بوير** فإن هذا البند لم يتم احترامه وتطبيقه فعليا[5]، بل استمر استبعاد الكراغلة من دوائر السلطة العسكرية والسياسية إلى أن أصاب مدينة الجزائر وباء الطاعون خلال الفترة 1648م-1650م، والذي قضى على الكثير من أفراد الانكشارية ودفعهم من جهة أخرى إلى قبول الكراغلة في صفوفهم دون أن تكون لهم المسؤولية[6]، وفي هذا الصدد يشير بوير إلى أن بعض الكراغلة الذين نفوا من الجزائر طلبوا كفالة كشرط للرجوع، الأمر الذي لم يقبله الانكشارية فبقوا في المنفى[7].

وبهذا يكون عهد الباشوات في الجزائر قد شهد أعنف مراحل وفضول الصراع بين الكراغلة والانكشارية، والتي أحدثت شرخا كبيرا في العلاقة بين الطرفين[8]، كما أصبح الكراغلة خلاله يشكلون

---

[1]- Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit,p83.

[2]- محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص37.

[3]- Boyer(P) , op.cit, p83.

[4]- A.BERBRUGGER(Adrien) : Notes relatives à la révolte de Ben Sakhri,in R.A,N°10,1866, p345.

[5]- Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit,p83.

[6]- Grammont (H.D.de) ,"Relations.....", op.cit, p231.

[7]- Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, pp83-84.

[8]- وذلك رغم صدور وثيقة "عهد الأمان" الأولى سنة 1657م على عهد الباشا إبراهيم (1656-1659) آخر الباشوات، ولما لم تطبق وتحترم كما كان يراد منها، تم إصدار "عهد أمان " ثان في سنة 1748م، كما سبقت الإشارة إليه. والذي نص على إلحاق أبناء الانكشارية (الكراغلة) بالجيش، كما نص في توطئته على أن قرارات عهد الأمان التي وضعت عام 1657م جاءت عقب استشراء الفوضى في البلاد. ولعل من مظاهر تلك الفوضى الأحداث التي شهدها عهد الباشوات. ويبدوا من طريقة إعداد وثيقة عهد الأمان الثانية التي تم إعدادها بشكل جماعي، بحيث حضر=

فئة متميزة ضمن النسيج الاجتماعي والسياسي لسكان الأيالة، وكان لتحالفهم مع بقية القبائل والفئات الاجتماعية شأن كبير بات معه يشكل خطرا حقيقيا على السلطة العثمانية في الجزائر. فهل سيبقى نفس المشهد خلال المرحلتين اللاحقتين من حكم العثمانيين في الجزائر أم أن هناك معطيات أخرى ستظهر على الساحة السياسية والعسكرية .

➢ خامسا/ وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الأغوات 1659-1671م:

تراكمت مجموعة من الأسباب عجلت بنهاية حكم الباشوات المبعوثين من إستانبول، يلخصها ابن المفتي بقوله " ... إنهم (أي الباشوات) ماداموا يتولونها فإنهم ينتفعون باختلاس الأموال المجلوبة من القصر من جهات مختلفة، وفي ذلك العهد تعاقب هؤلاء على الحكم في ولايات متقاربة، وكان أهل الجزائر ضحية لشرهم حتى أنهم أحيانا كانوا يغرمون العلماء وعدول المحكمة بدفع مبلغ معين. وتبن جنودنا هذا، واعتزموا من الباشوات (أي أخذوا ونزعوا منهم هذه الصلاحية) حق دفع العلوفات وكذلك جباية الضرائب وتنظيم النفقات وهذا بشكل كامل"[1]، ونفس هذا التوصيف ذهب إليه ابن سحنون الراشدي بقوله:- "... وكانوا قبل ذلك يأتيهم الباشا من عند الخليفة كل عام، فإذا تمت السنة رجع إلى بلده ويحمل معه جميع ما في الخزينة من المال، فأضر ذلك بالدولة لكونهم يحتاجون إلى بقاء الأموال لديهم لمرتب الجند وتحصين البلاد وغير ذلك، وربما مات السلطان فيبقون فوضى بدون سلطان حتى يأتي الخبر عند السلطان، وهم يخافون من توثب العدو عليهم، فكتبوا إلى السلطان يشكون ذلك، فرضي منهم بالخطبة والسكة وفوض إليهم الأمر في تولية السلطان عليهم"[2].

كانت سنة 1659م بداية حكم الأغوات بعد تمرد الإنكشارية على إبراهيم باشا(1656م-1659م) بسبب تأخر الأجور، فاستولوا على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الأوجاق الذي يرأسه عادة أحد الأغوات ويتكون من قادة الجيش.

ونظرا لحاجة الإنكشارية للسلطان العثماني خاصة فيما يتعلق بعمليات التجنيد، فقد سمحوا للباشا بالبقاء في الجزائر لتمثيل السلطان فيها دون أي تدخل في شؤون الحكم[3]، وحسب المؤرخ شارل أندري جوليان فإن نظام الأغوات كان محاولة لإيجاد نوع من التوازن والديمقراطية داخل مختلف

= صدورها كافة أرباب الدولة، واتخذت قراراته بمشاركة ومشاورة الجميع، من الانكشاريين والكراغلة. يبدوا من هذه الطريقة أن الكراغلة كان لهم حضورهم أيضا في إعداد وثيقة عهد الأمان الأولى.
أنظر : توفيق دحماني، مرجع سبق ذكره، ص 31 وما بعدها.

[1]- ابن المفتي، مصدر سبق ذكره، ص64.

[2]- أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره ، ص 442.

[3]-Grammont (H.D.de) ,"Relations.....",op.cit,p284.

أجنحة المؤسسة العسكرية المسيطرة على السلطة[1]، فإلى أي مدى انعكست هذه المحاولة الصحية لإصلاح نظام الحكم العثماني بالجزائر على الكراغلة سياسيا وعسكريا؟

الحقيقة أن معظم المؤرخين يجمعون على أن عهد الأغوات كان أحلك فترة في تاريخ الوجود العثماني بالجزائر، لما شهده من استفراد الإنكشارية بالحكم وتفشي الاغتيالات، حتى أصبح القتل الإجراء الوحيد لتبديل الأغوات[2].

استفاد الكراغلة من هذه الوضعية المتوترة والتي زادها سوءا تفاقم الأوضاع الصحية والاجتماعية إثر انتشار وباء الطاعون والمجاعة، التي أودت بحياة الآلاف خاصة على عهد شعبان أغا(1661م-1665م).

هذا الوضع حتم على الإنكشارية اللجوء لخدمات الكراغلة من خلال السماح لهم بدخول الجيش كما سبقت الإشارة لذلك، ففي مشروع حملة على الجزائر المنشور سنة 1666م هناك إشارة إلى تسجيل 1200 ولد، والذين يرجح بوير أن يكون معظمهم كراغلة، وهو ما أكده دارفيوا من قبله سنة 1674م، عندما أشار إلى أن الجيل الأول من الكراغلة كانوا يسجلون في دفاتر الإنكشارية، في حين استبعد الجيل الثاني إي أبناء الكراغلة[3].

ويبدو أن الوضع العام للكراغلة خاصة في دار السلطان قد تحسن خلال عهد الأغوات، وهذا ما يفسر عدم مشاركتهم في تمرد حلفائهم زواوة (القبائل) سنة 1662م من خلال قيامهم بمهاجمة مدينة الجزائر، وهو الهجوم الذي لم ينجح بسبب اكتشاف الأتراك لأمره وقيامهم بتعذيب وإعدام المتورطين فيه[4].

وإذا كان هذا شأن كراغلة وسط وشرق أيالة الجزائر، فإن الأمر لم يكن ذاته بالنسبة لكراغلة الغرب، وبالضبط كراغلة تلمسان، ذلك أن أهم حدث شهده بايلك الغرب خلال فترة الأغوات هو ثورة تلمسان سنة 1669م ضد الحكم العثماني. وقد تزعمها الكراغلة في بداية الأمر ثم انضمت لها عدة قبائل خاصة بعد محاولة العثمانيين قمع الثوار سنتي 1670م و1671م، حيث واجه العثمانيون مقاومة شديدة وتكبدوا خسائر دون تحقيق أهدافهم. ويمكن إدراج هذه الثورة ضمن سلسلة الثورات الكرغلية

---

[1]- شارل أندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص 352.

[2]- محمد الميلي، عبد الله الشريط، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مطبعة دار البعث، قسنطينة، 1965م، ص 25.

[3]- Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, p 84..

[4]-Arvieux,Chevalier L.L.d'.Mémoires du chevalier d'Arvieux,mis en ordre par le R.P.Jean-BaptisteLabatT.VI,Delespine le fils,Paris,1735, p251.

التي شهدتها تلمسان إبان الوجود العثماني، مع أنها وقعت بتحريض من مرابطين مغاربة وجاوز اتساعها حدود أحواز تلمسان إلى المناطق المجاورة[1].

تعد هذه الثورة أهم حدث صنعه الكراغلة خلال عهد الأغوات القصير المدة، ففي سنة 1671م كان نظام حكم الأغوات قد وصل إلى أزمته القاتلة بعد تمرد الإنكشارية على علي أغا(1665م-1671م) وقتله ثم عجز الديوان عن التوصل لتعيين أغا جديد بعد اغتيال خمسة أو ستة أغوات في ظرف ثلاثة أيام[2]. ما أدخل البلاد في حالة فوضى لم ينهها إلا تدخل طائفة الرياس الذين خافوا أن تطالهم الفوضى التي باتت تشكل تهديدا خطيرا لمصالحهم، فقد كانوا أغنى الناس في الجماعات المتنفذة ومن مصلحتهم استتباب الأمن والنظام فسارعوا إلى انتزاع السلطة من الجيش واستطاعوا أن يؤثروا على الجنود(الإنكشارية) لينادوا على واحد منهم (الرياس) ويقبلوا السلطة بشروطه هو الخاصة، وقد أصبح هذا الجندي دايا مدى الحياة[3]، وبذلك بدأ عهد الدايات سنة 1671م.

- **سادسا/ وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الديات 1671-1830م:**

يعتبر عهد الدايات[4] أطول مراحل التواجد العثماني بالجزائر، إذ دام أزيد من قرن ونصف القرن وهو ما يمثل نصف مدة هذا التواجد.

وعلى الرغم من تغير نظام الحكم فقد استمر السلطان العثماني في تعيين الباشوات وإن كان وجودهم في الجزائر شرفيا فقط[5] إذ جردوا من كل السلطات[6].

---

[1]- أمين محرز، مرجع سبق ذكره، ص130. للمزيد أنظر:

Gazette de France,1670,p987

نقلا عـــــن :

Turbet-Delof,G.La presse périodique Française et l'Afrique barbaresque au XVIIe siècle (1611-1715),Librairie Droz,Genéve,1973, p125.

[2]-Mercier,E ,Histoire de l'Afrique Septentrionale(Berbérie)depuis les temps les plus reculés jusquà la conquête française(1830),T.3 ,Ernest Leroux,Paris,1891, p275.

[3]- جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص138.

[4]- الداي كلمة تركية تعني (الخال) ولم تستخدم للدلالة على عمل وظيفي إلا في الجزائر وتونس، وكانت في بادئ الأمر لقبا شرفيا، ثم إستخدم لوظيفة عسكرية في الجيش الإنكشاري في الجزائر وتونس، واستعملت بمعنى الحاكم أو الرئيس . أنظر حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر ، مرجع سبق ذكره، ص 136.

[5]- للإشارة فإنه ومنذ سنة 1659م تاريخ الإطاحة بنظام الباشوات المبعوثين من إسطنبول بسبب رفض كل من رياس البحر والإنكشارية لهذا النظام، أعلن السلطان العثماني عن عدم تدخله في حكم الأيالة عبر فرمان سلطاني، أعرب فيه عن امتناع الباب العالي عن إرسال واليا إلى الجزائر بقوله:" لن نرسل إليكم واليا، بايعوا من تريدون". للمزيد أنظر: محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي المعاص، دمشق،1997، ص 130. نقلا عن سجلات الديوان الهمايوني.

[6]-WATBLED,(E), "Pachas- Pachas Day",in R.A,N°17,Alger,1873, p440.

حاول الدايات الأوائل وكانوا من زعماء طائفة الرياس حتى سنة 1689م الحد من نفوذ وصلاحيات الديوان مما أضعف مركز الانكشارية، الذين لم يتمكنوا من استرجاع نفوذهم ومكانتهم إلا بعد ضعف البحرية الجزائرية وبالتالي تراجع نفوذ طائفة الرياس. فأصبح الداي ينتخب من بين الانكشارية بناء على اقتراح من الديوان، وإن كان هذا الانتخاب يجري عادة في جو من المؤامرات وتنتصر فيه الفئة القوية من الانكشارية[1].

أما عن أهم ميزات هذا العهد فهو تحول اهتمام جنود البحرية من الجهاد ضد المسيحيين إلى البحث عن الغنائم والثراء، وهذا على غرار الدايات أنفسهم، والذين كان اهتمامهم بجمع الثروة أكثر من أي شيء آخر. أما أهم حدث عسكري وسياسي عرفه عهد الدايات فهو القضاء النهائي على الوجود الإسباني في الجزائر سنة 1792م، حيث تمكن القادة من طرد الجيش الإسباني من وهران والمرسى الكبير[2].

وقد بقي الكراغلة في واجهة الأحداث السياسية والعسكرية طيلة عصر الدايات في إطار الصراع على السلطة والامتيازات ومدافعة مناوئيهم الإنكشارية .

هذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال المحطات والحوادث التي عرفتها الجزائر في فترة الدايات والمرتبطة بفئة الكراغلة تأثيرا وتأثرا.

أول تلك المحطات كانت سنة 1693م على عهد الداي الحاج شعبان (1689م-1695م) ، عندما أصدر هذا الأخير قرارا سمح بموجبه للكراغلة بالتجنيد في صفوف الإنكشارية، وعلى أن يعاملوا كبقية العناصر العثمانية الأخرى[3]، وقد أجمع المؤرخون على أن الدافع وراء هذا القرار كان نقص عدد المجندين في صفوف الإنكشارية[4] وحاجة الحكومة لهم خاصة بعد التدخلات الخارجية التونسية والمغربية التي سبقت الإشارة إليها، حيث جاءت التدخلات التونسية سنة 1694م على خلفية محاولة محمد، باي تونس التخلص من التبعية للجزائر ضد خصمه محمد شاكر، فتدخل رمضان باي

---

[1]- وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 44.

[2]- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003، ط1، ص 271.

[3]- DEVOULX ,(A) :Tachrifat, op.cit, p 78.

[4]-Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, p 84.

حسب بوير فإنه لم يحدث أي شئ ذو بال خلال الفترة من 1671إلى 1693م له علاقة بموضوع الكراغلة وعلاقتهم بالسلطة .أما عن سبب تناقص أعداد الإنكشارية فمرد ذلك إلى تأخر وصول المجندين الجدد من المشرق، بالإضافة إلى وباء الطاعون الذي أودى بحياة الكثير من الناس في مدينة الجزائر ومنهم الجنود الإنكشارية. ويبدوا أن توزع الكراغلة عبر مناطق الأيالة وتواجد أعداد منهم خارج دار السلطان قد منع عنهم عدوى الطاعون.
أنظر جون وولف مرجع سبق ذكره، ص 363 وما بعدها.

قسنطينة إلى جانب هذا الأخير، وألحقوا هزيمة نكراء بمحمد باي مكنت محمد شاكر من استعادة السلطة[1].

أما على الحدود الغربية فقد جهز الداي محمد شعبان جيشا بلغ 13 ألف رجل وذلك لمواجهة تدخلات سلطان المغرب مولاي إسماعيل سنة 1693م، وقد توصل الطرفان إلى اتفاق دون وقوع الحرب، وانعقدت معاهدة وجدة التي اعترف فيها مولاي إسماعيل بالمعاهدات السالفة[2]، كما نصت نفس المعاهدة على أن يكون وادي التافنة هو الحد الفاصل بين أيالة الجزائر والمغرب[3].

أبلى الكراغلة في هاتين الحملتين البلاء الحسن، إذ استطاع الجيش الجزائري بمساعدتهم التصدي لهما[4].

لكن الغريب في الأمر هو نهاية الداي الحاج شعبان التي كانت سنة 1695م، حيث يورد مولود قايد أنه دبرت محاولة لاغتيال هذا الأخير لكنه رد عليها بقمع كبير في صفوف الكراغلة الذين تمكنوا من استمالة الإنكشارية وقطعوا رأس الداي[5].

إن مشاركة الكراغلة في النهاية المأساوية لهذا الداي وقد كانت له أياد بيضاء عليهم تطرح تساؤلا حول السبب الحقيقي لهذا الانقلاب المفاجئ في العلاقة بين الطرفين؟.

الذي وقفنا عليه بعد مراجعة سيرة الداي شعبان في مختلف المصادر والمراجع التي تناولت تاريخه، هو ما ذكره عبد الرحمان الجيلالي حول الداي الحاج شعبان من أنه:-"كان شعوبيا متعصبا للأعاجم، حقودا على العرب، كما تنبئنا بذلك أعماله الشنيعة وضرباته القاسية التي حلت بالمتاجر والقرى العربية بالجزائر أيام عودة الجيوش التركية من تونس، وكان لفرط جوره وظلمه الشديد أن أمر جنوده بالانقضاض على العرب في منازلهم وقتلهم شر تقتيل، ولم يكن ليمضي على هذا العمل الشنيع سوى لحظات من الزمن حتى قبض عليه فأودع السجن في أواخر ذي الحجة 1106هـ الموافق أوت1695م ثم بعد عشرة أيام مضت قتل خنقا"[6]. أما مبارك الميلي فيرى أن سبب تنحية الداي شعبان هو خلافه مع الضباط الأتراك الذين عارضوا تنظيمه لحملة جديدة ضد تونس فواجه

---

[1]-Gaid ,Mouloud, op.cit, p 150.

حسب محمد الصالح العنتري فإن باي قسنطينة خلال تلك الفترة هو علي خوجة باي 1692-1700م. للمزيد أنظر محمد الصالح العنتري، فريدة ميسة، مصدر سبق ذكره، ص 50.

[2]- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص45.

[3]-LESPINASSE,(E).Note sur Hachem de Mascara in R.A,N°21,Alger,1877, p146.

[4]- أبو القاسم سعد الله ،" من أخبار شعبان باشا داي الجزائر1695، مجلة التاريخ، العدد18، السنة 1985، الجزائر، ص 108.أنظر أيضا:

DEVOULX ,(A) ،Tachrifat,op.cit,pp7-18.

[5]- Gaid ,Mouloud, op.cit ,p150.

[6]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 204.

الداي هذه المعارضة بإعدام بعض الضباط الأتراك، مما أدى إلى انتشار السخط في صفوف الجنود الأتراك، وسرعان ما تحول السخط إلى تمرد علني فهاجم الجنود القصر يوم 05 أوت 1695م(ذوالحجة 1106ه)، ووضعوا شعبان باشا في السجن[1].

وعليه يبدو أن تصرفات الداي شعبان ضد العرب قد استفزت الكراغلة وهم يرون ماحل بأخوالهم من جهة، ومن جهة أخرى فإن انتقامه الوحشي بعد فشل محاولة اغتياله الأولى، أبعدت عنه قسما كبيرا من أصحاب النفوذ في الإنكشارية وعندما وقعت مؤامرة جديدة ضده نجحت[2].

تجدر الإشارة إلى أن عصر الدايات شهد صراعا بين الحكام والديوان حول الصلاحيات ذلك أنه كان من أهم نتائج تنحية الداي الحاج شعبان بتلك الطريقة الانقلابية أن حدث تغيير كبير في دور وصلاحيات الديوان الذي استرجع قوته وسلطته في الحين الذي لم فيه للداي سوى دور المنفذ[3].

وقد استمرت حالة المدافعة بين الطرفين حتى مجيء الداي بابا علي شاوش[4] (1710-1718) الذي أدخل تعديلات وإصلاحات هامة على السلطة، وذلك من خلال القضاء على مثيري الفتنة من الإنكشارية وإقامة ديوان موال له كما أنهى وجود الباشا ممثل السلطان في الإيالة من خلال رفضه قبول الباشا مبعوث السلطان[5]، ورغم فعلته في الإنكشارية فقد أكسبه صنيعه هذا تعاطف رجال الإنكشارية[6]، وتغير بذلك نظام الحكم في الجزائر نوعا ما، فأصبح الداي هو الباشا والباشا هو الداي، وأصبحت الجزائر يومئذ مستقلة بإدارة شؤونها[7]، ورغم أن هؤلاء الباشاوات لم تعد لهم أي سلطة فعلية فعلية منذ عهد الآغوات يرى الدكتور **شو** أن السبب الحقيقي وراء حركة الداي بابا علي هو أن كثير من الباشاوات كان لهم في دخل في إثارة المليشيا ضد الدايات الذين لا يتفقون معهم فيقتلونهم وينتخبون بدلا عنهم دايات يرضون عنهم[8].

بالنسبة للكراغلة الذين كانوا يراقبون هذه التغييرات في السلطة بالإضافة إلى المتغيرات الخارجية في دول الجوار والمتمثلة في تحول أنظمة الحكم العثمانية في كل من إيالة تونس وطرابلس إلى حكم وراثي تديره عائلات من أصول كرغلية على غرار الأسرة القرمانلية في طرابلس ابتداء من سنة 1711م، وقبلها الأسرة الحسينية في تونس إبتداء من سنة 1705م. يبدو أن هذه المعطيات كانت

---

[1]– الميلي، مرجع سبق ذكره، ج3، ص197.

[2]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 266.

[3]– Grammont،(H.D.de) ,"Correspondance des Consuls d'Alger" in R.A,N°31,Alger,1887,p168.

[4]– ورد في كتاب السياسة العثمانية للدكتور أرجمند كوران تحت اسم "علي جاوش"، مرجع سبق ذكره،ص 15،.

[5] توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 48.

[6]– Gaid ,Mouloud, op.cit,p155.

[7] –عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 220.

[8]–SHAW.T, op.cit,p151..

وراء الثورة التي أعلنها الكراغلة في الجزائر وتزعمها كراغلة تلمسان بداية من سنة 1748م بحيث استمرت الاضطرابات حتى سنة 1766 وتخللت فترة حكم كل من الدايات إبراهيم خوجة (كوجوك أو كوشوك) 1745-1748م ، محمد بكير باشا 1748-1754، وعلي باشا 1754-1766.

ففي سنة 1748 م[1]، أعلن القائد الكورغلي رجم (رجب) البجاوي (البجائي) الثورة على السلطة التركية في تلمسان وطرد الحامية التركية بها وأعلن قيام سلطته المستقلة[2]، ويبدو أن انتقال حركة الكراغلة من مدين الجزائر إلى تلمسان يعود إلى تزايد أعدادهم بتلمسان بحكم قدم الحامية التركية هناك وتحسن ظروفهم الاقتصادية والسياسية في حين أن الكراغلة في الجزائر لم يعودوا بنفس القوة منذ أحداث سنة 1630م وانعكاساتها عليهم، حيث تناقصت أعدادهم وأصبحوا تحت المراقبة الدائمة.

أما في تلمسان فقد تمكن الكراغلة من تكوين نواة قوية وأصبحوا مجموعة مستقلة وحسب بوير فإن الكراغلة في تلمسان كان لهم ديوانهم الخاص وحكومتهم، وبالاتفاق مع الأتراك كانوا يقومون بجمع الضرائب في مناطق محدودة[3].

كل هذه المعطيات شجعت الكاغلة على حمل السلاح ضد سلطة الأتراك التي واجهتهم بكل قوة وعنف وطالت العقوبات حتى كراغلة مدينة الجزائر لأنهم ساندوا ما حدث في تلمسان وسرعان ما انطفأت الثورة وقد توفي الداي إبراهيم خوجة (كوشوك) خلال هذه الأحداث مسموما[4] في فيفري 1748[5]. وكان قد صمم على إبادة كراغلة الجزائر لتيقنه أنهم كانوا على صلة بما حدث في تلمسان[6]، تلمسان[6]، وتعد هذه محاولة أخرى فاشلة من الكراغلة لمواجهة السلطة التركية، وقد استمرت

---

[1] – حسب المؤرخ بارجي آبى" Barges Abbé" بدأ تمرد الكراغلة في تلمسان منذ 1730م، حيث قام كراغلة وحضر تلمسان بتمرد وطرد القائد المعين من طرف الأتراك، لينتهي هذا التمرد خلال الفترة من 1747إلى 1760. كما أن هناك من المؤرخين من يشير إلى حدوث تمرد من طرف كراغلة وحضر تلمسان سنة 1738م وقيامهم بطرد القائد المعين من قبل السلطة التركية .للمزيد أنظر:

BARGES,Abbé,Complément de l'histoire des Beni Zeiyan, rois de Tlemcen.éd, Lib, Ernest Leroux, Paris,1887, p 498.

الواليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص 23.

[2]– عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص232، أنظر أيضا: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 50.

[3]– Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, p84.

[4]-Gaid ,Mouloud, op.cit , p159.

[5] عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص232.

[6]– الميلي، مرجع سبق ذكره، ج3،ص 222.

الاضطرابات في عهد الداي محمد بكير باشا الذي عمل كثيرا لإعادة النظام والأمن لمدينة الجزائر، فكان يصدر الأوامر يوميا لتسليط العقوبات على اللصوص، الذين ينتهكون الحرمات والمجرمين[1].

أما ثورة الكراغلة فقد خمدت لتعاود الانفجار من جديد في عهد الداي علي باشا، حيث استغل قائد تلمسان رجم البجاوي الاضطرابات التي عرفتها بلاد القبائل وأعلن استقلاله عن الجزائر، الأمر الذي دفع الأتراك إلى جمع قواتهم في الناحية الغربية لإعادة الأمور إلى نصابها، وقد تمكن الداي علي باشا من إعادة احتلال تلمسان عنوة وإعدام القائد رجم البجاوي الذي ثار فيها وحكمها تحو 20 عاما[2].

لقد جر فشل كراغلة تلمسان في محاولتهم للاستقلال عن سلطة العثمانيين في الجزائر الكثير من النتائج السلبية التي طالت كل كراغلة إيالة الجزائر من ذلك قرار العثمانيين وقف تعيين الكراغلة في منصب البايات، حيث تم تطبيق القرار خلال الفترة من 1748-1780م.

وفيما يرى المؤرخين **بارجي ومارسر** أن ثورة الكراغلة بتلمسان لم تكن ذات أبعاد وطنية وأنها كانت حركة محلية وسوية محليا، يرى دوغرامو العكس من ذلك بأنها حركة عامة وأن ما حدث بتلمسان مرتبط وجزء مما حدث في مدينة الجزائر مستدلا على ذلك بعزم الداي ابراهيم كوتشوك القضاء على كراغلة الجزائر لولا قيامهم بتسميمه كجزء من مخطط سابق[3].

بعد هذه الأحداث انكفأ الكراغلة على أنفسهم ولم يسجل لهم أي محاولة منعزلة أو بالتحالف مع غيرهم، على غرار المحاولات السالفة واستمر هذا الوضع إلى نهاية الوجود العثماني بالجزائر، لكن هذا لم يمنع ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية كمشاركين في عدد من الأعمال التي أثرت كثيرا على واقع ومستقبل الإيالة نرصدها كما يلي:

_ سنة 1775 شارك الكراغلة في صد الهجوم الذي شنه الإسبان على مدينة الجزائر، بحيث بلغ عددهم ثلاثة آلآف كرغلي[4]، وكان الداي محمد بن عثمان (1766م – 1791م) قد حشد جميع المقاتلين من مختلف أنحاء الإيالة لمواجهة الحملة الإسبانية فعمرت القلاع والحصون ووضعت

---

[1]-Venture (De Paradis), Alger au XVIII siécl, in R.A,N°41,Alger,1897,p72.

[2]– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 51.

[3]–Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, p89.

من جهته يشير" دوفولكس" إلى أن أحداث سنة 1748 وما انجر عليها من فوضى واضطرابات كانت السبب المباشر وراء إصدار وثيقة عهد الأمان، كما أن ثورة تلمسان هي التي دفعت بتحويل مسار جيش بايلك الغرب الذي كان من المفروض أن يتوجه إلى إلى تونس، بالتوجه إلى تلمسان لمواجهة التمرد، حيث قضى على كل الثائرين بشكل عنيف ومباغت، كما استولى على ثروات هائلة نقلت إلى مقر الباي، وقد بقيت تلك الأحداث راسخة ولزمن طويل في الذاكرة الجماعية للجزائريين . للمزيد راجع :

Devoulx(A),"Ahd Aman,ou règlement politique….", op.cit, p211.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، م.و.ك، الجزائر،1988 الجزائر،1988 ، ص160.

البطاريات في مكانها، ثم وقع تسجيل الجنود الذين يشاركون في"المحلة" فكانوا يعمرون أكثر من مائة خيمة ، وكان مائة خيمة وسميت هذه الواقعة بواقعة الرمل نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه وهو رمال الشواطئ الجزائرية[1].

_ كذلك من خلال البحث وقفنا على مشاركة أحد الكرغلة كقائد فيما عرف بثورة بن الأحرش[2] التي ظهرت في شهر ربيع الأول من عام 1219 هـ (مابين 10 جوان الى 10 جويلية1804 م)[3]، وهي إحدى الثورات التي عرفتها الجزائر العثمانية خلال القرن التاسع عشر والتي تعود أسبابها أساسا إلى السياسة الجبائية التي اتبعها البايات في جمعهم للضرائب من الأهالي[4]، حيث يذكر فيرو أن قائد مدفعية بن الأحرش هو الكرغلي أحمد بن درنالي الذي كان له دور كبير في ثورة بن الأحرش ختى أصبح أحد المطلوبين الأساسيين إلى جانب قائد الثورة، حيث كلف الداي مصطفى باشا(1798م – 1805م) القائد الرايس حميدو بالقضاء على الثورة في جيجل والقبض على بن الأحرش والكرغلي درنالي لكنه لم يفلح، وتمكن هذا الأخيرمن الفرار نحو المناطق الجبلية[5].

إن مشاركة هذا الكرغلي في ثورة بن الأحرش بصفته أحد قادتها تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود عدد من الكراغلة إلى جانبه وإن كان لا يمكن الجزم بذلك، لكن من جهة أخرى فإن قراءة في أسباب وأهداف ثورة بن الأحرش المتمثلة خاصة في تهميش السكان المحليين وإقصائهم، وإثقال كاهلهم بالضرائب خاصة سكان الرياف، ما ولد رغبة في إزاحة العثمانيين عن الحكم بعد زوال مبرر وجودهم

---

[1]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، مرجع سبق ذكره، ص456.

[2]– عن ابن الأحرش ذكر ابن العنتري أن اسمه سي محمد بن عبد الله الشريف واشتهر بابن الأحرش أو البودالي ووصفة محمد بن يوسف الزياني بأنه فتى مغربي مالكي مذهبا، درقاوي طريقة درعي نسبا جاء لتلك القبائل وادعى أنه المهدي المنتظر وكان صاحب شعوذة وحيل وخبر، أعجب به الناس ونصروه فحرك بهم قسنطينة وحاصرها، وقد مات في ثورته باي قسنطينة عثمان باي (أوعصمان باي) سنة 1804، وحسب صالح العنتري فإن ثورة بن الأحرش تسببت في مجاعة كبيرة عرفتها الجزائر خاصة في الجهة الشرقية من البلاد، للمزيد راجع:

محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 207 وما بعدها.

محمد الصالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، مصدر سبق ذكره،ص 33.

[3]–BERBRUGGER,(Adrien),"Un Cherif Kabile en 1804" in R.A,N°3,Alger,1858, p209.

للمزيد حول ثورة ابن الأحرش أنظر كذلك :

FERAUD(L.Charles),"Les Cherifs Kabyles de 1804 et 1809 dans la province de Constantine" in R.A,N°13,Alger,1869,pp211-224.

FERAUD(L.Charles),"Zabouchi et Osman Bey" in R.A,N°6,Alger,1862, pp120-127..

4- Boyer(P), "Contribution a l'étude de la politique religieuse desTurcs dans la Régence d'Alger XVI-XIX Siécle" in R.O.M.M,N°1,1966, p 48.

[5]–FERAUD(L.Charles),"Les Cherifs Kabyles de 1804 et 1809…", op.cit, p213.

والمتمثل في الاحتلال الإسباني لوهران بتحريرها سنة 1792م. وكل هذه العوامل خلقت عدة تقاطعات في الأهداف بما يخدم مصلحة الكراغلة بوجه أو أخر.

_ سنة 1808م عاد الكراغلة للظهور من جديد في مدينة الجزائر، وذلك من خلال مشاركتهم الفعالة في وضع حد لمحاولة الجنود الانكشارية العزاب، نهب المدينة، وقد جاءت هذه المحاولة بناء على اقتراح الداي علي الغسال[1](1808_1809م)على الجند بنهب المدينة واقتسام أموالها بالتساوي بينهم، وذلك لمواجهة مطلبهم الملح بفتح الحزينة وتوزيع محتواها وهم الذين جعلوه دايا، وقد رأى الكراغلة والمتزوجون من الجند في فكرة نهب المدينة خطرا على ذويهم وممتلكاتهم، ما أدى إلى تحطم الجبهة الصلبة التي تتألف منها الفرقة الإنكشارية، فانقسموا إلى فرقتين بحيث شكل الكراغلة والمتزوجون الإنكشارية وبعض شباب الحضر فرقا، بينما نظم الإنكشارية العزاب أنفسهم ضد هؤلاء ولم يجرؤ أي تنظيم على الدخول في حرب، ولكن الحياة النظامية للمدينة توقفت تماما، وفي السابع من فبراير سنة 1809م اغتيل علي الغسال[2].

وهكذا فقد جنب تحالف الكراغلة مع مؤيديهم من الإنكشارية والحضر مدينة الجزائر فوضى غير محمودة العواقب لو حصلت، وهذا ما يؤكد مدى أهمية المركز الاجتماعي للكراغلة بوصفهم نتاج زيجات مختلطة كان من شأنه أن يلعب دورا إيجابيا أكثر لو أحسن توجيهه من طرف السلطة أو استغلاله من طرف السكان، كما أن النزاع بين العزاب من الإنكشارية ورفاقهم الذين كانوا إما متزوجين وإما من الكراغلة قد تسبب في صدمة لمعنويات وسمعة الفرقة الإنكشارية[3]، ما فتئت تتزايد خاصة في ظل تناقص عدد المجندين من المشرق وإفلاس الخزينة، وقد بلغت هذه الصدمة أوجها على عهد الداي علي خوجة باشا[4]1817_1818، الذي كان من أول أعماله بعد استلامه الحكم أن أحاط

---

[1] – يسمى بعلي الغسال وكذلك علي بوجوالق، ويذهب البعض إلى أنه سمي كذلك نسبة للمهنة التي كان يمارسها قبل توليه الحكم، وهي تغسيل الموتى، فيما يذكر آخرون أنه سمي كذلك لكثرة سفكه للدماء، كما يذكر عنه أنه كان فيه خور وضعف في تسيير شؤون الدولة ما جعله أداة طيعة في يد الجند، فيما يذكر الشريف الزهار أن الجوالق هي الخرق البالية من القماش. للمزيد أنظر:

عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 310. أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 103.

[2] – جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص443. أنظر أيضا:

Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, p91.

[3] – جون وولف، المرجع نفسه، ص 446.

[4] – كان الداي علي خوجه باشا يعرف كذلك بالحاج حفيز، تولى الحكم بالجزائر في 27شوال 1232هـ الموافق 09 سبتمبر 1817م، وكان يلقب بمعر علي أو علي لوكو جمع له مابين رتبتي بيلرباي وباشا. وقد أطلق عليه لقب خوجه لإلمامه بقدر من العلم، قال عنه وليام شالر" أنه كان رجلا ذكيا طيبا وذا مواهب ولكنه كان معروفا بالوقاحة وسرعة الغضب، كما كان كثير العمل واسع الإطلاع ، ولربما كان أكبر عالم متطلع في الجزائر في ذلك الوقت ، لقبه الأتراك بالخوجة ولكنه لم يمارس مهنة الكاتب قط" . أنظر وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص174 وما بعدها.

نفسه بجنود من زواوة والكراغلة[1]، ذلك أنه كان من سياسة علي خوجه إصلاح أوضاع الأيالة السياسية والعسكرية المتدهورة، وهو ما عبر عنه حمدان خوجة بقوله قام الداي علي خوجة" بثورة شاملة في نظم الأيالة القديمة[2]، وقد جاء إلى الحكم بعد فترة سيطر فيها الجيش الإنكشاري على السلطة منذ مقتل الداي مصطفى باشا سنة 1805م إلى مقتل عمر باشا في نهاية 1816م، حيث حكم في هذه الفترة ست دايات ماتوا كلهم مقتولين[3]. وبعد انتخاب علي خوجة دايا، رأى أنه يجب القضاء على رؤوس الفتنة من الجيش، فنقل الإدارة وأموال الدولة إلى القصبة[4] التي تسيطر على المدينة، ولما علم الجيش بتصرفات الداي الجديد التي تهدف للقضاء على كيانهم وامتيازاتهم ، أرادوا عزله لكن علي خوجة كان قد اتخذ احتياطاته الأمنية. إذ حصن القصبة بمدافع ومهاريس[5]، كما قام بإحاطة نفسه بحرس خاص لا يفارقه أبدا، كان يتكون من مائتين من الجنود، كما أحدث تغييرات هامة وعميقة في الحكومة بعزل بعض الوزراء ومنهم من قتله[6] .

ويجمع المؤرخون على أن الداي علي خوجة قام بأعمال هامة لم يسبقه غيره إليها، منها نقل مقر الحكم من قصر الجنينة[7] القريب من إقامات الجنود إلى حصن القصبة في أعالي المدينة والمجهز بالمدافع، ما مكنه من التحكم بثكناتهم والإشراف عليها[8]، وصاحب هذا الانتقال تحويل جميع كنوز

---

[1]-Gaid, Mouloud, op.cit, p178.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره ، ص115.

[3] – أول هؤلاء الدايات المقتولين أحمد باشا قتل سنة 1808م، ثم علي باشا سنة1809م، والحاج علي باشا سنة 1815م وأخيرا عمر باشا الذي قتل سنة 1816م .

[4]– القصبة: لفظ يطلق على القلعة التي بها مقر الحاكم. كما تطلق على جوف ووسط القصر، وقيل القصر، وقصبة البلد مدينته، وقيل معظمه. والقصبة جوف الحصن أو وسطه، والقصبة القرية، وقصبة القرية وسطها. كما ورد أن القصبة هي أعلى نقطة محصنة من المدينة وبها قصر الحاكم . وقد بنيت قصبة الجزائر في مكان مرتفع يشرف على المدينة، وعلى مراحل بداية من النصف الأول من القرن السادس عشر إلى أن صارت مقرا لحكم الدايات(1817–1830م)، وتقع في القسم الجنوبي من المدينة العتيقة ، وحسب هايدوا فإن القصبة كان يفصلها عن المدينة سور ضعيف يمتد لحوالي مائة قدم من الشمال إلى الشرق ، كما كانت من أكبر مباني المدينة التاريخية على الإطلاق. أنظر: علي خلاصي، مرجع سبق ذكره، ص 21 .

[5] – علي خلاصي، مرجع سبق ذكره ، ص 2 ، أما المهاريس فهي نوع من المدافع التي تسمى في عصرنا بالهاون.

[6]– أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص132.

[7]– قصر الجنينة : كان حكام الجزائر العثمانية منذ عصر البيلربايات يقيمون في قصر الجنينة الكائنة وسط دار السلطان ، وهي مجموعة كبرى من البناءات، وتحتوي على ساحتين الثانية أصغر من الأولى، وتتوسطها بركة مربعة الشكل وحنفية كبيرة تكسبانها روعة، ويوجد في إحدى الزوايا، مدرج خشبي كبير يفضي إلى رواق طويل، أرضه مفروشة بالجليز ومحاطة بأعمدة من الرخام وتتدفق المياه عالية وسط سقيفة مثمنة الأضلاع ويجلس الباشا على أريكته القليلة العلو في أقصى الرواق. للمزيد أنظر شارل أندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص ص 340–341 .

[8] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 322.

الجزائر التي كانت في محلات الباشا القديم ونقلها إلى القصبة التي انتقل إليها مصحوبا بالجيش يحافظ على شخصه، وفي الصباح أعلن عن هذا التغيير بطلقات مدفعية[1].

كذلك كان من الإجراءات الهامة التي قام بها الداي علي خوجة أن تخلى عن الاعتماد على الجيش الانكشاري، من خلال إعدام عدد من زعماء الجند الذين اشتركوا في التآمر على سلفه، ودعا القولوغلي إلى التسلح والالتفاف حوله وأعلن للأتراك أنه يريد أن يكون السيد وأنه سيحسن معاملة المطيعين، وترك للآخرين حرية مغادرة الجزائر للمشرق الذي قرر أن لا يعتمد عليه في عملية التجنيد[2] .

وعندما حاول الإنكشارية الثورة ضد هذه الإجراءات سرعان ما وضع لهم حد بواسطة جيش من الكراغلة و زواوة يتألف من ستة آلاف رجل وكانت العقوبة على الثورة غليظة[3]. فقد أصدر علي خوجة قرارا بحل فرقة الإنكشارية وفرض الطاعة بين جنودها، أما الرافضون للإصلاحات فقد سمح لهم بمغادرة الجزائر والرجوع إلى أوطانهم، وكان من نتائج ذلك أن غادرت مائتي عائلة المدينة متوجهة نحو تونس، طرابلس والأناضول[4]. وتجنبا لتكرار الحوادث السابقة التي كان يذهب ضحيتها الدايات جراء تسلط الانكشارية، فقد عمد علي خوجة إلى إدماج الجزائريين في القطاع العسكري مكونا منهم قوة تقدر بألفي جندي جعلهم حرسه الخاص إضافة إلى العدد الكبير من الكراغلة الذين تم توظيفهم[5].

يذهب وليام شالر إلى أن هذا الداي قد وضع خطة تقضي بإلغاء الإنكشارية كلية ويجعل العرش وراثيا في عصبته، كما يقدر عدد الأتراك الذين تخلص منهم علي خوجة ألف وخمسمائة رجل[6]،أما الشريف الزهار فذكر أن الداي وضع الجواسيس بين الجنود يلتقطون له الأخبار، وأنه قتل منهم خلقا كثيرا بيده ونفى بعضهم، وفي يوم من الأيام أخرج محلة وبعث فيها كل من رآه شيطانا (مصدر فوضى وقلق) وبعث في إثرهم، فمنهم من قتلوه ومنهم من أجلوه[7].

---

[1] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 115.

[2] – محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص ص 86-87.

[3]– جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 447.

[4]– Gaid ,Mouloud, op.cit,p178.

[5]– علي خلاصي، مرجع سبق ذكره، ص 4. أنظر كذلك :

BOYER(P),"La vie qoutidienne à Alger..." , op.cit, p95.

[6]–وليام شالر، مصدر سق ذكره، ص 176

[7]–أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 136.

وقد وقف الكراغلة وزواوة إلى جانب علي خوجه في هذه العمليات[1] التي أفقدت الإنكشارية الكثير من الامتيازات التي طالما حاربت لأجلها، ولما حاولت هذه الأخيرة المقاومة تصدى لهم غرمائهم الأقدمون من كراغلة وزواوة، الذين استطاعوا القضاء على 1200 من الإنكشارية منهم 150 برتبة بولكباشي أو أوضاباشي، أما الأحياء فأعطي بعضهم الأمان ونفي أكثرهم خارج البلاد[2].

وهكذا يبدو أن الكراغلة خاصة في مدينة الجزائر، وجدوا في حركة الداي علي خوجة سانحة للتخلص من الإنكشارية والانتقام منهم لما أوقعوه بهم سابقا، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الكراغلة في هذه المرة لم يكونوا مبادرين في هذه الحركة ضد الإنكشارية، كما كان عليه الحال في عصر الباشوات، وإنما انخرطوا في حركة تزعمها غيرهم، مما يعني ضمنيا القبول بجزء من السلطة العثمانية الحاكمة، مما انعكس على سقف أهدافهم الذي أصبح لا يتجاوز الحصول على بعض المغانم والامتيازات في دوائر السلطة دون التطلع إلى حيازة كل السلطة وتحويلها لحكم محلي .

من جهة أخرى فقد جاءت حركة الداي علي خوجة ضد الإنكشارية في وقت كانت تعرف فيه هذه الأخيرة تصفيات واسعة النطاق في الدولة العثمانية نفسها، في إطار الإصلاحات التي بدأها السلطان محمود الثاني(1808م-1839م)، والتي ركزت على تحديث الجيش. إن الهزائم التي تكبدتها الدولة العثمانية في مولدافيا وصربيا واليونان قد أدت بالسلطان إلى القيام بتصفيات واسعة النطاق داخل هذه الإنكشارية، ثم لم يجد بعد ذلك بدا من حلها نهائيا سنة 1826م. في الجزائر لم يتم حل هذا الجيش الذي ظل حجر عثرة في طريق جزأرة السلطة بخلاف ما وقع في تونس سنة 1811م، على يد حمودة باشا. مع هذا فإن التصفيات التي قام بها علي باشا(خوجة) قد أدت إلى بعض الاستقرار في السلطة[3] ومكنته من الوفات في فراشه بقصر الجنينة إثر إصابته بوباء الطاعون في فاتح مارس 1818م، وبذلك يكون قد قضى في ولايته مدة ستة أشهر فقط [4].

---

[1]-Gaid ,Mouloud, op.cit,p178.

[2]-Boyer(P) :"Le probléme kouloughli….", op.cit, p92.

أنظر أيضا:

Grammont (H.D.de), op.cit, p382

[3]- صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص222 .

[4]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص334.

ضرب وباء الطاعون الجزائر سنة 1818 في عدة مناطق مختلفة صحراوية وجبلية ، لدرجة أنه قضى خلال سنتي 1817و1818م على أكثر من 14 ألف نسمة في مدينة الجزائر وحدها، وعلى ثلثي سكان مدينة عنابة.
للمزيد أنظر: فلة القشاعي، مرجع سبق ذكره، ص 96 وما بعدها.
ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، مرجع سبق ذكره، ص 127.

كانت هذه أهم المحطات المتصلة بأوضاع الكراغلة سياسيا وعسكريا طيلة مدة الوجود العثماني بالجزائر. وإذا كنا قد تناولنا هذه الأوضاع من خلال تحليل المواقف والأحداث التاريخية سواء ما تعلق منها بالكراغلة أو السلطة العثمانية، فسنحاول من خلال الفصل التالي تحليل طبيعة العلاقة التفاعلية بين الطرفين أو بعبارة أخرى دراسة إشكالية وجدلية وخلفيات العلاقة بين الكراغلة والسلطة من خلال تحليل مختلف المؤشرات والمواقف السياسية والعسكرية والاجتماعية المتقدم بحثها، وذلك بغية مقاربة هذه المؤشرات ومقارنتها وتحليل إثرها على العلاقة بين العثمانيين والكراغلة من جهة وعلى الكراغلة كفئة اجتماعية وفاعل في مختلف المناحي.

الفصل الثالث

طبيعة السلطة العثمانية في الجزائر

- أولا: السلطة، المصطلح و المفهوم
- ثانيا: التركيب التاريخي للسلطة العثمانية في الجزائر
- ثالثا: الكراغلة والعثمانيين في الجزائر، إشكالية العلاقة
- رابعا: مشاركة الكراغلة في دوائر السلطة العثمانية بالجزائر
- خامسا: مصير ووضع الكراغلة في الجزائر مع نهاية الوجود العثماني

يهدف هذا الفصل إلى البحث في بعض المفاهيم المتعلقة بالسلطة وممارستها، باعتباره جزء لا يتجزأ من موضوع البحث ككل، وذلك بغية إسقاط تلك المفاهيم على ما كان عليه واقع السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، من خلال منظوماتها المختلفة، خاصة السياسية والعسكرية منها، وكذا الأحداث المرتبطة بها ذات الصلة بفئة الكراغلة والتي تشكل واجهة تعكس طبيعة علاقة السلطة العثمانية بالمجتمع ككل .

➢ أولا/ السلطة، المصطلح والمفهوم:

من خلال البحث في موضوع السلطة في مظانه المختلفة، أدركت أنه من المفاهيم التي يصعب تحديدها وضبطها نظرا للاختلاف الكبير الحاصل بين المفكرين بشأنها. حتى أن هناك من جعل إعطاء مفهوم للسلطة ربما سيكون أكثر سلطوية، لأن صاحبه سيدعي لا محالة أنه المفهوم القويم والسليم، وبذلك سيمارس سلطة قهر ملحوظ، فالتعريف ليس فقط هو تحديد العلاقة بين الدال والمدلول وإنما هو أيضا فرض المفاهيم على الأشياء[1].

كما أن هناك العديد من المفاهيم المقاربة لمفهوم السلطة والتي تتقاسم معه أحد معانيها. الأمر الذي زاد من صعوبة إطلاق تعريف جامع للسلطة، فهناك مفاهيم كالقهر والعنف والسيطرة والاستغلال والسيادة والدولة والملك وغيرها تلتقي كلها مع مفهوم السلطة من ناحية أو أخرى.

من جهة أخرى فقد تعددت وتطورت أشكال السلطة منذ عرف الإنسان الاجتماع فمن سلطة العشيرة أو القبيلة إلى سلطة الإمارة والمملكة وصولا إلى سلطة الدولة [2]. وفيما يرى البعض أن السلطة قد تكون سياسية أو أخلاقية أو علمية[3] يذهب نيتشه[4] إلى أن معنى السلطة يشمل كل ما يمكن أن يحجب إرادة القوة لدى الإنسان. وهكذا اشتغل الباحثون بدراسة مختلف مجالات نفوذ السلطة أو

---

[1]– عمر اوكان ، مدخل لدراسة النص والسلطة، ط1، مطبعة إفريقيا الشروق، الدار البيضاء، 1991، ص 11.

[2] – خليل أحمد خليل، العرب والقيادة، دار الحداثة، ط1، بيروت 1981، ص49.

[3] – الموسوعة العسكرية، مجموعة من المؤلفين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990،ص 312 .

[4] – نتشه: فريدريك نشته، ولد سنة 1844 في بروسيا الألمانية، فيلسوف ألماني وعالم نفس و لغويات متميز،. توصف أعماله بأنها باعث أساسي لأفكار الرومانسية الفلسفية والنازية ومعاداة السامية، لكنه يفند هذه الآراء. مرت حياته الفلسفية بعدة مراحل، مما يستوجب قراءة كل أعماله وعدم فصل شخصه عن مؤلفاته، ورغم تنشئته الدينية إلا أنه انقلب على المسيحية كعقيدة وفكر وقيم، تميز بشخصية عدوانية جدا قال عنه وول ديو رانت " أنه كان طفل داروين"، له عديد المؤلفات في الفلسفة واللغة والشعر وغيره، توفي عام 1900. للمزيد حول فلسفة وحياة نتشه راجع:

أمزيان حسين، الإغريق واليهود والألمان في فلسفة نتشه، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة،2007، ص ص 9–19.

امتداداتها ما أدى إلى بروز مفهوم جديد هو " ممارسة السلطة" ، ذلك أن جل النظريات تتعامل مع السلطة على أنها ممارسة فعل يتم من خلال إجراءات معينة تقسمها دراسات علم الاجتماع الى أربعة أمور هي التبادل، المصلحة المشتركة، التضامن وإجماع الرأي، السيطرة[1].

وقد اعتنى بن خلدون في مقدمته بدراسة هذه الجوانب المختلفة فجعلها من آثار الملك الذي هو منصب طبيعي للإنسان، لأن "البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات، ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه" إلى أن يقول" فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة" ليختم باستنتاج مفاده حاجة البشر" من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم"[2]. مع العلم أن بن خلدون لم يشر إلى مفهوم السلطة بالتحديد وإنما تناوله من خلال عدة مفاهيم كالعدالة والملك والخلافة .

لغوياً ورد فعل سَلُطَ (السلاطة) في لسان العرب لابن منظور بمعنى القهر و الاسم سُلْط، والسلطان الحجة والبرهان[3].

وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي ورد تعريف السلطة (مادة السلط) على أنها الحجة وقدرة الملك وجمعها سِلاط بالكسر، والتسليط التغليب وإطلاق القهر والقدرة [4].

أما اصطلاحا فقد اختلف مفهوم السلطة من علماء الاجتماع إلى الفلاسفة إلى السياسيين وغيرهم، ونجد في قاموس المصطلحات السياسة والاقتصادية والاجتماعية ثلاث معاني لمفهوم السلطة فهو يعتبرها من جهة بمعنى الحكم "Autorité" ، ثم بمعنى القدرة والقوة "Pouvoir" وبمعناها السياسي "le pouvoir politique" الذي هو محور اهتمامنا، فالسلطة بمعناها السوسيولوجي هي ممارسة عمل قادر على توجيه أو إرغام الآخرين وهذا التعريف يركز على كون السلطة قائمة على علاقات غير

[1]– الموسوعة العسكرية ، مرجع سبق ذكره، ص 312.

[2] – عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر، ط1، دار الفكر، بيروت لبنان، 2004، ص201.

[3]– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، الجزء 5، ص 2065.

[4] – الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،ط2، ج2، المطبعة الحديثة المصرية، القاهرة،1983، ص 363.

متساوية بين واقعين غير متشابهين يمارس أحدهما تأثير أو نفوذ على الآخر[1]وهذا ما عبر عنه بن خلدون من أن حقيقة الملك ومقتضاه هو التغلب والقهر[2].

كما بين بن خلدون كيف تتطور السلطة (الملك) وذلك من خلال دراسة حياة الأسر الملكية وتصرفاتهم في الحكم، فذكر أن أعضاء المجموعة الذين حاربوا تحت قيادة أحدهم من أجل التملك، وأسسوا الدولة يترقبهم خطر شديد، يتشكل في ضعف متزايد لا دواء له، شبيه بالضعف الذي يعتري الإنسان إذا شابا. ويجوز، في هذا النوع من الخطر، توريد المثل القائل: بأن" المرء بعد تمامه يحري" أي ينقص. كذلك الدولة إذا بلغت القمة يترقبها الضعف والنقصان. ومعلوم أن ممارسة السلطة مسألة متعبة، يؤول عنها دائما ضعف للأفراد والمجموعات الحاكمة [3].

أما الفيلسوف ميشال فوكو فهو يلتقي في تصوره للسلطة مع علماء الاجتماع إذ يعتبرها: "علاقة قوى أو أن كل علاقة قوة هي الأصح علاقة سلطة "[4].

فيما يذهب جان وليام لابيار في كتابه "السلطة السياسية" إلى تعريف السلطة على أنها ليست مفهوما سياسيا مطلق وإنما هي واقع اجتماعي تكون حيث يكون التجمع البشري[5]. هذا فيما يرى معظم الباحثين أن الدولة هي التجسيد الفعلي والأخير للسلطة، وهذا لامتلاكها السيادة ووسائل الإكراه والقوة لتطبيق القوانين في المجتمع[6].

وفي التاريخ الإسلامي أخذت السلطة عدة مسميات عند منظري الفكر السياسي الإسلامي كالماوردي وبن خلدون، منها الإمامة والخلافة والملك، بحيث نكاد نجد إجماعا في تعريف هذه المفاهيم

---

[1] – سامي ذبيان وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان ،1990، ص261.

[2]– عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص203.

[3] – محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب، ط1، دار الكتاب اللبناني، 1977، ص ص 190-191.

[4] – جيل دولوز، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ط1، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987، ص77 .

[5] – جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ط3، ترجمة إلياس حنا إلياس، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1977، ص49.

[6] – عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، تحرير ماجد نعمة، أسعد رزوق وآخرون، ج3، بيروت 1990، ص 312.

من خلال قواسمها المشتركة الأساسية. فالأصل في السلطة أيا كان شكلها هو خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع[1].

إن مسألة السلطة كانت ولا تزال هي المسألة السياسية الأساسية في تأريخ المسلمين، ذلك أن جميع الفتن والثورات والانشقاقات المختلفة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية كان مصدرها التزاحم على الخلافة[2] أو السلطة.

وإذا كانت السلطة في الدولة الحديثة تقسم إلى سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية وغيرها، فقد اتخذت السلطة العثمانية منذ نشأتها صبغة مؤسسات حكم ينظمها منطق موحد وجامع لمكوناتها المتشعبة والمختلفة، ويرى بعض الباحثين أن الإلمام بخصائص هذه المؤسسات وما اختطته لنفسها من مبادئ وقوانين تنظيمية ونظم تشريعية خاصة بمباني السلطة، أو ما طورته من سياسات استراتيجية في تعاملها مع ما واجهته من قضايا كبرى، يؤكد استحالة الركون إلى أية منهجية في التحليل تحاول أن تعين طبيعة هذه السلطة عن طريق دراسة المؤسسات والقوى التي شكلت مبانيها المختلفة[3].

والذي توصلنا إليه بعد مراجعة جملة من الكتابات التي تناولت مسألة السلطة العثمانية في الجزائر، أن هذه الأخيرة مثلتها المؤسسات التالية خصوصا:السلطان، الباب العالي، الإنكشارية، السلطة الروحية ممثلة في الطرق الصوفية، الجماعات والقبائل الممثلة للسلطة والمستفيدة منها في إطار علاقة التبادل والمصلحة المشتركة.

ولأن العلاقة العضوية بين هذه التنظيمات لم تكن تحكمها المصلحة العليا للدولة دائما بقدر ما تداخلت المصالح و الامتيازات الخاصة فقد ظهر عجز السلطة في مواجهة مختلف التحديات الوافدة.

في حالة الجزائر تميزت ممارسات العثمانيين فيها للسلطة بخصائص ومواصفات أفقدتهم قبول الجزائريين، فضلا عن تعرض السلطة للعديد من الهزات في أوائل القرن التاسع عشر نتيجة حركات

---

[1]– الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق نبيل عبد الرحمان حياوي، م.ك.ث،بيروت،ص 63.

[2]– محمد ولد داداه، مرجع سبق ذكره، ص 10.

[3]– حسن الضيقة، الدولة العثمانية الثقافة، ط1، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997، ص11.

التمرد العديدة في الشرق والوسط والغرب ضعفت هذه السلطة ثم تلاشت في الكثير من المناطق، وخاصة في بلاد القبائل وجبال البابور، الأوراس، الونشريس وغيرها[1].

في المبحث التالي نحاول دراسة طبيعة السلطة العثمانية في الجزائر من خلال علاقاتها بمختلف التنظيمات الاجتماعية والسياسية والدينية ومدى تحققها بمفاهيم السلطة المتناولة.

➢ ثـــانيا/ التركيب التاريخي للسلطة العثمانية في الجزائر:

يتفق معظم المؤرخين على اعتبار الدولة العثمانية "دولة سلطنة" وليس "دولة خلافة إسلامية"، رغم أن معظم المراجع التاريخية الحديثة تصنف الدولة العثمانية على كونها دولة خلافة إسلامية وقد تواردت الثقافة التاريخية الحديثة هذا "المصطلح" عن كتابات المستشرقين والمؤرخين الغربيين خطأ دون تدقيق أو تمحيص.

لقد نجح نظام الحكم العثماني الذي رافقته تحولات تاريخية مهمة في تقوية بنية الحكومة المركزية والإدارة العثمانية، إثر تحول إمارة عثمان في تخوم الأناضول الغربي إلى دولة تمتلك كثيرا من الأجهزة والقيادات والعناصر العسكرية والمدنية.[2] وفي الجزائر كان نظام الحكم العثماني منذ بدايته حكما عسكريا يعتمد على السلطة المركزية، وخلال مراحل تطور هذا النظام التي سبقت الإشارة إليها نجد أن العلاقة بين الجزائر وإستانبول كانت وطيدة سياسيا حين كان الباشوات يأتون من هناك، ثم أخذت تضعف أثناء الحكم الثنائي حين كان ممثل السلطان مجرد موظف سام يتقاضى أجرة ويشاهد مجريات الأمور، ولكن لا يستطيع فعل شيء. وكادت العلاقة تنقطع (بل انقطعت في بعض الأحيان) حين أصبح السلطان مقتنعا بإصدار(فرمانه) إلى من يختاره الجنود العثمانيون في الجزائر[3]، لكن ورغم هذه المعطيات فإن الاتجاه العام لعلاقة السلطنة بإيالة الجزائر قد ساده التفاهم بين السلطان وحاكم الجزائر. فالباشا كان يحاول تمكين سلطته بعد تسميته من الجنود. والبيعة لا تكفي، إذا لم يباركها السلطان بالفرمان والقفطان المذهب، وسيف الشرف والعمامة الخاصة. وقد كان في استطاعة السلطان

[1]– صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 275.

[2]– سيار الجميل، مرجع سبق ذكره ، ص ص57–59.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سبق ذكره، ص140.

أن يضغط على الباشا بعدم إرسال الأشياء المذكورة أو بمنعه من تجنيد المتطوعين في أناضولية. وهو إجراء يسبب ضعف الولاية(الجزائر)[1].

من جهة أخرى فقد انسحب طابع المركزية في التسيير الذي عرفته السلطنة العثمانية في إستانبول إلى إيالة الجزائر وهو ما أشار إليه ناحوم ويزمان من أن البايات في أقاليمهم لم تكن لهم أي سلطة على جنود الحاميات الذين يخضعون مباشرة لحكم الآغا، والذي كان بدوره لا يتلقى الأوامر إلا من الداي نفسه[2]، ويقوم الداي بتعيين البايات حسب اختياره الفردي، وغالبا ما يكون الباي من المقربين، وله سمعته وحظوته في مجلس الديوان. أما اختصاصات الباي الحقيقية، فهناك تشابه كبير في المناصب الإدارية، والصلاحيات التنفيذية في البايلكات الثلاثة، برغم اختلاف أوضاعها وأقاليمها من النواحي الجغرافية والاقتصادية والاثنوغرافية[3]. وقد جعلت هذه المركزية في التسيير الحكم العثماني في الجزائر يتميز بظاهرتي الخضوع للسلطان وعدم الاستقرار الإداري[4].

أما اجتماعيا فقد تبلورت في الجزائر بنية خاصة ومؤتلفة من السكان، وقفت على رأسها الجالية التركية التي استقرت في الجزائر، واعتبرت نفسها في أعلى السلم الاجتماعي في كامل ربوع الإيالة، إذ أن عناصرها وجدت نفسها فوق المجموع العام، وكأقلية ميزت نفسها عن الأغلبية، فلم تختلط ببقية السكان من قبائل العرب وقبائل البربر سواء كان ذلك في المدن أو في الريف، وقد ميز الأتراك أنفسهم حتى عن "الكراغلة" الذين لم يكونوا متمتعين هم الآخرين بالحقوق والامتيازات التي كانت الأقلية الحاكمة تتمتع بها[5]، ويرجع بعض المؤرخين ظاهرة التميز والانغلاق في نظام الحكم العثماني بالجزائر إلى أن العثمانيين كانوا من خارج البلاد، ولم يكن من بينهم من ولد في الجزائر أو تربى بين أهلها أو تعلم لغة أهل البلاد وعاداتهم[6]، وهذا ما جعل مجال السيادة الفعلية للسلطة العثمانية

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص47.

[2]– N.WEISSMANN, op.cit, p171.

[3]– سيار الجميل، مرجع سبق ذكره، ص297 . الإثنوغرافية : ورد تعريفها في عدة قواميس ما ملخصه أنها دراسة للأجناس والسلالات البشرية من حيث عاداتها وتقاليدها وأسلوب حياتها. أما المنهج الاثنوغرافي فهو الدراسة الميدانية العلمية للظواهر الاجتماعية، وذلك عن طريق اتصال الباحث بموضوع البحث اتصالا مباشرا يعيش من خلاله وسط الجماعة والبيئة المراد دراستها .

[4] –أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 47 .

[5]– سيار الجميل، مرجع سبق ذكره، ص ص 214–215.

[6]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص ص 138–139.

بالجزائر ينحصر في أواخر القرن19 م إلى أضيق حدوده، بحيث لم تكن سلطة العثمانيين تمتد في سنة 1830 م إلا على حوالي 15 مليون هكتار، تقيم عليها 126 جماعة مخزنية وحوالي 104 جماعات من الرعية (القبائل التي تخضع مباشرة للسلطة التركية)، و86 جماعة من الجماعات التابعة أو الحليفة للأتراك. وبما أن هذه الجماعات الأخيرة كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي، فهذا يعني أن الأتراك لم يسيطروا سيطرة مباشرة ومطلقة إلا على جماعات الرعية والمخزن، التي كانت تشغل حوالي 08 ملايين من الهكتارات. مع العلم أن فرنسا كانت تسيطر على ما يقرب 48 مليون هكتار سنة 1886م وهي مساحة الجزائر الشمالية تقريبا.

ومعنى هذا أن العثمانيين لم يكونوا يسيطرون بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة سنة 1830م إلا على حوالي 30%.من الجزائر الشمالية الحالية أو 6.3 % من كل الجزائر الحالية، أما سيطرتهم الفعلية والمباشرة فهي تمتد على 16% من الجزائر الشمالية أو 3.3 % من الجزائر كلها[1]. وهو ما ذهب إليه وليام شالر الذي وضع حدود سياسية فاصلة لمملكة الجزائر وجعل طولها حواي 500ميل وعرضها يمتد حتى الصحراء الكبرى[2]، من جهته يؤكد شارل أندري جوليان أن سلطة العثمانيين في الجزائر لم تكن تتجاوز سدس البلاد[3]، وهو نفس ما ذهب إليه من قبله الرحالة الإنجليزي الدكتور طوماس شو، فقد وضع خلال القرن 18م خريطة وضح عليها معلم وتخوم (حدود) الجزائر العثمانية ، التي يحدها من الغرب تطوان وجبال درارا، جنوبا الصحراء، شرقا نهر الزياني أما من الشمال فالبحر الأبيض المتوسط، كما حدد شو عرض مملكة الجزائر العثمانية باتجاه تلمسان بأنه لا يتجاوز 40ميل، وأن متوسط 60 ميل يمثل عرض المملكة انطلاقا من البحر الأبيض المتوسط حتى الصحراء ، وإن كان هذا الامتداد يختلف من منطقة لأخرى حيث يصل إلى حد 90ميل من الشرق إلى الغرب [4].

وعن امتداد السلطة العثمانية وتواجدها بالمناطق الصحراوية يؤكدا الرحالة العياشي[5] من خلال خلال رحلته المسماة " ماء الموائد" انحصار السيادة التركية في المناطق الشمالية دون الصحراء التي

---

[1] – صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص ص 275–276. أنظر كذلك:

RINN(L), Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey.in R.A N°43,1899.p123.

[2] – وليام شالر، مصدر سبق ذكره، ص 27

[3] – شارل أندري جوليان ، مرجع سبق ذكره، ص 378.

[4]–Show(Thomas).op.cit,pp1-3.

[5] – هو أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، العياشي المالكي، ولد بقبيلة آيت عياش قرب تافلالت في مايو سنة 1628 م الموافق لــشعبان 1037ه، رحالة، ترك عدة مؤلفات إلا أن الرحلة العياشية المسماة "ماء الموائد" هي أهم=

كانت أجزاء كبيرة منها لا تخضع للعثمانيين وإنما يسيرها أمراء محليين. ففي الجنوب الغربي بنواحي واد الأساور(الساورة) يشير العياشي إلى أمير دون ذكر اسمه باسطا نفوذه. حتى أنه شاهد أفراسا مهملة في البراري دون أن يقربها أحد، في دلالة إلى حالة الأمن التي كانت تسود نواحي واد الساورة حتى حدود توات التي لم يشر العياشي إلى خضوعها لأي حاكم بعينه[1].

في حين أن الجهة الشرقية من الصحراء الجزائرية عرفت النفوذ والتواجد العسكري للعثمانيين لكنه لم يكن تواجدا مستقرا وشاملا فقد انحصر في الحاميات أو الحصون التي كان يقيمها العثمانيونوالتي كانت مهمتها الأساسية جمع الضرائب[2] دون التدخل في الحياة العامة للسكان على غرار ما كان عليه الوضع في أغلب المناطق الداخلية .

= وأكثر ما أشتهر به العياشي، فقد ضمنها حياته الفكرية والعلمية وتجربته الشخصية كعالم رحالة.وهي موسوعة أخبار عن العالم الإسلامي يومئذ وعدها كثير من الباحثين من أشهر وأفيد الرحلات المغربية على مر التاريخ فهي بالإضافة إلى فوائدها التاريخية والأدبية والجغرافية، قد جاءت بمعطيات اجتماعية وإنسانية ذات فائدة كبيرة، كما تضمنت في جزئيها أخبارا وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها العياشي أثناء أسفاره وأهم ما فيها وصف طريق الصحراء والسكان والعوائد وأحوال المعاش والأمن والحديث عن العلماء والدين وأتعاب المسافرين. وبهذا فرحلة العياشي من الكتابات المصدرية المهمة التي تساعد الباحث على معرفة بعض مناحي الحياة في الصحراء خلال القرن 17م. للمزيد راجع

العياشي، عبد الله بن محمد بن أبي بكر، ماء الموائد، تقديم وتحقيق سعيد الفاضلي و سليمان القرشي تحت عنوان الرحلة العياشية، ط1، دار السويدي، أبو ظبي ،الإمارات العربية المتحدة ،2006،ج1، ص11-35.

بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 17 و ما بعدها.

عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، دولة الكويت، ص99 وما بعدها.

[1] – العياشي، عبد الله بن محمد بن أبي بكر، مصدر سبق ذكره،ص 76 .

[2] – خلال العهد العثماني عرف الجنوب الشرقي أوضاعا اختلفت عما كان عليه الحال في الجنوب الغربي ومرجع ذلك أن الولاة العثمانيين حاولوا مد نفوذهم إلى هذه المنطقة منذ عهد حسن آغا (1533-1544) الذي سير حملة هي الأولى من = نوعها نحو بسكرة فحصل على خضوع السكان إلى سلطته حماية لأنفسهم من القبائل العربية المغيرة، وما إن وصل صالح رايس إلى السلطة كبيلرباي على الجزائر (1552-1556) حتى علم أن تقرت وورقلة قد امتنعتا عن دفع الضريبة المعتادة فنظم حملة من ثلاثة آلاف تركي و ألف فارس مزودين بمدفعين في أوائل أكتوبر 1551 وسار نحو الصحراء، فقصف مدينة تقرت وقبض على ملكها ثم سار إلى ورقلة التي فر ملكها مع جنوده البالغ عددهم أربعة آلاف رجل واضطر هذا الأخير إلى الاعتراف بسلطة الأتراك مجددا فعاد إلى سلطته بعد الالتزام بدفع الضريبة. وتأتي حملة صالح باي على الجنوب القسنطيني سنة 1788م في إطار حرص العثمانيين على بقاء نفوذهم في المنطقة خاصة جباية الضرائب. للمزيد حول الموضوع راجع : – FERAUD,L, notes historiques sur la province de constantine, les Beni djallabs,sultans de Touggourt in R.A N°24 Alger1880.

-HAEDO (F.DE),topographie et histoire d'Alger ,op.cit,p 269.

– محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص64 و ما بعدها.

إن هذه الأرقام والمعطيات تؤكد إخفاق منظومة الحكم العثماني بالجزائر في تشكيل مجتمع متجانس موحد، كما تعكس مدى ضعف الدولة التي تنظم شؤون المجتمع في علاقتها بالأطراف والهوامش البعيدة عن السلطة المركزية ، وفي المقابل ضعف ولاء هاته الأطراف للسلطة ، ولعل هذا التوصيف ينطبق بصفة خاصة على أغلب المناطق الداخلية والصحراوية التي لم تكن خاضعة للعثمانيين، والتي وصفها كثير من المؤرخين تبعا لتلك الوضعية ببلاد السيبة، أي البلاد والقبائل الخارجة عن نطاق السلطة المركزية[1]. وهو ما عبر عنه روجي كوثراني من أن الدولة العثمانية كانت مجرد لحمة اصطناعية لم تنبثق عن السكان والأرض ، وأن الإطارات السياسية سواء كانت كبيرة أو صغيرة لا تترجم تماما الحياة الحقيقية للسكان، هذه الحياة الحقيقية ينبغي البحث عنها خارج هذه الأطر، ينبغي البحث عنها في الطوائف المختلفة، في طوائف قرابة الدم "القبائل"، في الطوائف الدينية وفي الطوائف المدنية أو الحرفية ، فداخل هذه الطوائف تجري حركة امتلاك الناس والأفكار، دون اعتبار للحدود الإدارية والسياسية.

وحسب نفس الباحث فإن أقصى ما توصل إليه العثمانيين هو إيجاد دولة تمثل إطار للتعايش بين عدة أشكال من السلطات[2] والتي جسدتها جماعات الشيوخ والمرابطين و الطرقيين أو السلطة الروحية[3] وجماعات القبائل المتحالفة مع العثمانيين كقبائل المخزن وغيرها ، وبالتالي فقد عرفت دولة الجزائر خلال العهد العثماني عدة سلطات سياسية وروحية وعسكرية وعلمية (سلطة العلماء)، وكان لكل منها فضائها السياسي الخاص المنسلخ عن الفضاء السياسي العثماني [4].

أما عن الشرعية التي كانت تستند إليها هذه القبائل المرابطية المتحالفة، فتمثلت في أصولها الشريفة(الجينيالوجيا[5]) أو من ممارساتها الأخلاقية، وهو ما جعل الشريف أو المرابط يتمتع برأس مال

[1] – برشان محمد، دور الزاوية الزيانية في بلاد السيبة، مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخـــــــي (تراجم ومصادر) جامعة وهران، العدد20،جانفي–جوان، 2013، ص 271.

[2] – روجي كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام، ط1، دارسات الوحدة العربية، بيروت،1981، ص ص 17–18.

[3] – السلطة الروحية: هي تلك الهيئات أو التنظيمات التي تربط بين الحاكم الشرعي بالحكام وتقود الأهالي في ذات الوقت سواء كانت رؤساء دينيون أو مشايخ حرف أو مشايخ حارات. وقد كانت سلطة المرابط والقائد والشيوخ من أهم مكونات السلطة خلال العهد العثماني. للمزيد أنظر

خالد زيادة، السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، عدد 39–40،1985.

[4]– عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر،2000، ص101.

[5] – الجينالوجيا: هي النسب والشرف، أو علم الأنساب.

رمزي داخل المجتمع القبلي[1]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العثمانيين حاولوا استغلال وتوجيه هذه السلطات بما يخدم مصلحتهم واستقرارهم، ومن هذا المنطلق أوجدوا طريقة إدارية محكمة تمثلت في حكم الجزائريين بالجزائريين[2]، وذلك من خلال الإبقاء على سلطة شيوخ القبائل ورؤساء العشائر ودعم مرابطي الطرق وشيوخ الزوايا، والمحافظة على أوضاع أراضي المخزن الخاضعة وأراضي السيبة الممتنعة. وقد أدت هذه التقاليد المتوارثة إلى تدعيم مبدأ ثنائية السلطة الإدارية، إذ اكتفى العثمانيون بالإشراف غير المباشر، بينما أعطيت للأعيان والموظفين المحليين المتعاملين مع أهالي الأرياف صلاحيات محدودة خاضعة لتوجيهات الموظفين الأتراك المقيمين بالمراكز العسكرية والمدن المهمة[3].

وحسب رأي بوير (boyer) فإن هذه السلطة ورغم أنها حظيت بمكانة لائقة في ظل الحكم العثماني من خلال بعض الصلاحيات، إلا أن كل ذلك كان بمقابل حيادها في مجال السياسة، فقد أسندت لهم مناصب كتابة الدولة (خوجة البايلك) والقضاء والإمامة والوظائف الإدارية الصغرى والمتوسطة على أن لا يهتموا بالقضايا العامة[4].

إن هذه الوضعية السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر العثمانية تدفع للتساؤل حول الهدف الحقيقي من وراء خلق هذه الكيانات أو السلطات السياسية المختلفة، فهل كانوا يهدفون منها إلى إيجاد إطار يحافظ على وجودهم وفي نفس الوقت يكون وسيلة للتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطات الروحية تطبيقا للمثل القائل " العرب صندوق والقايد مفتاحه" ؟أم أن هذه الأوضاع استغلت فقط لإخضاع المناطق المستعصية والتي حافظت على استقلالها بعد فشل العثمانيين في إخضاعها؟ وإنني إذ أثير هذه التساؤلات التي ليس من شان هذا البحث المتواضع الخوض فيها بقدر ما يبدو أنها يمكن أن تكون مشاريع بحث و استفاضة وتدقيق.

كانت السلطة الروحية ممثلة في المرابطين والشيوخ من أقوى السلطات التي اعتمد عليها العثمانيون لتثبيت أركان حكمهم منذ دخولهم الجزائر، وذلك لسببين رئيسين حسب ما يبدو :-

[1] – سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية بايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر1832-1847، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011، ص ص 10-11.

[2]– هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1862، د.م.ج، الجزائر، 1995، ص16.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره ،ص ص 254-255.

[4]–Boyer. P, "Contribution à L'étude…" op.cit,p11.

1- أن القبائل كانت تضع ثقتها التامة في المرابطين[1]، لأن المرابط وحتى شيخ الجماعة تقوم سلطته على الاحترام والوقار والوازع الديني والأخلاقي، عكس سلطة القياد التي تعتمد على القوة مثلها مثل السلطة المركزية بالمدينة[2].

2- خضوع بعض المناطق لسلطة المرابطين بشكل شبه تام، ونظرا لأهمية هذا المنصب فقد كان الداي يتدخل لتعيين المرابط الذي يحكم ، كما حدث في مدينة جيجل أين كان المرابط يعين من طرف الداي بواسطة مراسيم كمرسوم سنة 1682 م ومرسوم سنة 1755م [3].

وإلى جانب سلطة المرابطين وجد العثمانيين في الجزائر بعض القبائل التي لا تخضع إلا لسلطة الجماعة خاصة في الأرياف، والتي يكون على رأسها شيخ أو مجموعة من ذوي الرأي من رجال القبيلة الذين يتدخلون في الأقضية وشؤون الحرب والسلم، أما إذا كان الخلاف بين القبائل فتتكون الجماعة من كبار شيوخ هذه القبائل[4] .

على ضوء هذه المعطيات نستنتج أن الجزائر العثمانية عرفت أكثر من سلطة حددها بعض المؤرخين كما يلي :-

- سلطة الداي .
- سلطة الباي .
- سلطة قبائل المخزن .
- سلطة الأسر والطرق الصوفية (السلطة الروحية)
- سلطة قبائل ليست مخزنية[5].

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مصدر سبق ذكره، ص 88.

[2]- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لباليك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999، ص 42.

[3]-FERAUD, "L'exploitation des forêts ou la Karasta, dans la kabyle orientale sous la domination Turque" in **R.A**, N°12, 1868, pp386-387.

[4]- خنوف علي، مرجع سبق ذكره، ص 11.

[5] - عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية، مرجع سبق ذكره، ص ص101-102. أنظر كذلك:

- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص ص 257-271. - هلال عمار، مرجع سبق ذكره، ص ص10-11

وقد طرأت على علاقات العثمانيين بهذه العناصر المتنفذة عدة تبدلات بتأثير عوامل داخلية وخارجية [1]،ورغم أن الجزائر لم تعرف الحكم الوراثي خلال العهد العثماني كقاعدة مؤسساتية ، إلا أن سلوك وممارسات الحكام كرست هذه القاعدة[2]. يتجلى ذلك في سياسة العثمانيين منذ عصر الأخوين عروج و خير الدين اللذين سارعا لكسب ود وثقة الشيوخ والعلماء والمرابطين ، وتبعهم خلفائهم من الحكام العثمانيين على هذا النهج فحرصوا على كسب هذه العناصر الدينية عن طريق إعفاءات ضريبية وهدايا تقدم لهم في المناسبات في المناسبات الدينية، وعن طريق الحبوس، ومنح الزوايا والأضرحة حرمة خاصة وحظر ملاحقة اللاجئين إليها، ومنح عدد كبير من المرابطين نصيبا من غنائم القرصنة[3] ، وبقدر ما كان هذا التعايش والتعاقد مفيدا و مهما للعثمانيين لأجل ترسيخ وجودهم في بلاد الجزائر فقد عمل من جهة أخرى على انحلال السلطة المركزية وذلك من خلال فسح المجال لظهور تنظيم تسلسلي وراثي لدى هذه السلطات المتعددة يخرج عن نطاق سلطة الوجق الذي يسعى المستفيدون فيه إلى مضاعفة امتيازاتهم المالية الناتجة عنه[4].

هذا ولابد من الإشارة إلى أن من هذه التنظيمات منها ما كان يستمد سلطته من السلطة السياسية المتمثلة في العثمانيين، ومنها ما كان له مجاله الخاص وسلطته المستقلة، كما في المناطق الداخلية والبعيدة والمناطق الواقعة جنوب البلاد التي كانت لا تخضع للحكم العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محليين[5]، يستمدون سلطتهم ونفوذهم من قوة السيف أو عراقة النسب.

➢ ثـــالثا/ الكراغلة والعثمانيين في الجزائر، إشكالية العلاقة:

تقدم معنا تبيان أن عمليات المصاهرة التي عرفتها الجزائر بين العثمانيين الوافدين والسكان المحليين إنما جاءت في إطار المصلحة المشتركة بين الطرفين كما استنتج ذلك العديد من المؤرخين والمحللين **كفونتور دي بارادي وطال شوفال**، فالأسر كانت تسعى للارتباط بالإنكشاري عن طريق

---

[1]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 77.

[2] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص55.

[3]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 77.

[4] – إيف لاكوست، اندري برنيان، اندري نوشي، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح إستنبولي، منصف عاشور، د.م.ج الجزائر، 1984، ص 123.

[5] مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 28.

المصاهرة ليكون حاميا لها، في حين كان اليولداش يسعى للزواج من الفتاة العربية الغنية لتنتشله من فقره[1]. فكان من أهم نتائج هذه الزيجات ظهور فئة الكراغلة التي أحدثت وضعا اجتماعيا جديدا فهي من جهة الآباء أقرب إلى فئة العبيد (أو القوللر)، أما من جهة الأمهات فهي أقرب إلى فئة المسلمين الأحرار[2].

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن فئة الكراغلة جاءت نتيجة مصاهرات لم يكن مرغوبا فيها سياسيا ورسميا سواء في إسطمبول أو الجزائر كما أوضحنا ذلك، فقد كانت العوامل السياسية والاقتصادية هي الباعث الرئيس للزواج خاصة لدى العثمانيين الذين كلن إقبالهم على الزواج في أيالة الجزائر ضعيفا مقارنة بما كان عليه الحال في بقية الأقاليم والولايات العربية[3]. ويرجع بعض الدارسين سبب ضعف إقبال إنكشارية الجزائر على الزواج إلى رغبتهم في المحافظة على نقاوة طائفتهم وتجنب الاختلاط بأهالي البلاد خاصة[4].

انعكست هذه الرغبة في الانغلاق والعزلة لدى العثمانيين على وضعية أبنائهم الكراغلة خاصة من الناحية الاجتماعية، إذ دفعهم هذا السلوك دفعا لتشكيل فئة جديدة بعد أن رفض آبائهم احتوائهم والذوبان فيهم. وقد ورث الكراغلة خصائص وميزات اجتماعية وأنثربولوجيا[5]كان لها بالغ الأثر في تحديد هويتها مكانتها الاجتماعية حتى أن من المؤرخين من جعل هذه الوضعية سببا في معاناة الكراغلة من عقد نقص اجتماعية وسيكولوجية[6] ، فرغم أن أباء الكراغلة هم عبيد السلطان إلا أنهم لم يسمحوا لأبنائهم بوراثة جميع الحقوق التي يخولها النظام لفئة العبيد أو "القوللر" ، ما جعل الكراغلة في الجزائر يعانون من الإقصاء والتهميش حيث كانوا يعتبرون سياسيا في المرتبة الثانية مقارنة بالجنود

---

[1]– Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18e , op.cit, p175.

[2] – أنظر الفصل الأول ص 85 ومابعدها.

[3] – سيار الجميل، مرجع سبق ذكره، ص 251.

[4]– صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص357.

[5] – الأنثروبولوجيا : لها تعريفات عديدة منها أنها علم يعنى بالإنسان وأعماله وسلوكه، أو هي علم الإنسان من حيث هو كائن طبيعي واجتماعي وحضاري، كما تعرف على أنها علم الحضارات والمجتمعات البشرية.

[6]– سيار الجميل، مرجع سبق ذكره ، ص215.

القادمين من خارج البلاد والذين سمح لهم بتولي جميع المناصب والرتب[1]، في حين بقي الكراغلة مستبعدين من عديد الوظائف السياسية والعسكرية.

ولذلك يرى خليفة حماش أن الدارس لقضية "القول أو غليين" في " الجزائر بسطحية يصعب عليه فهمها، خصوصا وأن صلة النسل التي تربط الأبناء بالآباء من المفروض أن تكون أقوى من أي اعتبار يمنع "القول أوغليين" من مشاركة آبائهم الحكم . غير أن فلسفة الحكم عند العثمانيين التي جعلت من فئة "قوللر" العنصر الوحيد المؤهل لتولي المناصب في الدولة، كانت أقوى من تلك الصلة[2]. وقد يكون من فلسفة الحكم عند العثمانيين هو ما تقدم بيانه من أن هؤلاء يقدمون الخال على العم في عرفهم الاجتماعي، أي أن الخال أقرب إلى الأبناء من عمهم[3]، وهذا ما جعل العثمانيين يتخوفون من علاقة أبنائهم الكراغلة بأخوالهم و ما يمكن أن تنتجه هذه العلاقة من تحالفات سياسية أو عسكرية بين الكراغلة والسكان المحليين ضد مصالح العثمانيين، فضلا عن إمكانية ارتباط الجنود الكراغلة عن طريق المصاهرة بالعائلات الجزائرية الأهلية، مما يزيد من عددهم فيشكلون خطرا على الدولة[4] ومستقبل العثمانيين، ولعل هذا نفس التوجس الذي منع لأجله السكان الأصليين من الانضمام لصفوف الجيش .

وقد تبين من خلال الأحداث التي عرفتها أيالة الجزائر أن الكراغلة كثيرا ما حاولوا الاستعانة بالأهالي كما حدث في ثورتهم ضد العثمانيين سنة 1630م، وكذلك وقوفهم إلى جانب الأهالي ضد الإنكشارية سنة 1808م عندما منعوهم من نهب البلاد واستباحتها، أما في سنة 1817م فقد تقدم معنا الإشارة إلى استعانة الداي علي خوجة بالكراغلة في حركته ضد الإنكشارية.

إن هذه الحوادث بقدر ما تؤكد صدق حدس وتخوف العثمانيين من أبنائهم الكراغلة، بقدر ما تضعنا أمام سؤال كبير يتعلق بتصرفات الكراغلة وحركتهم ضد آبائهم، هل كانت مجرد رد فعل طبيعي على التهميش الذي عانوا منه؟ وبالتالي كان يمكن تجنبها لو أن العثمانيين أدمجوا الكراغلة في وسطهم الاجتماعي والسياسي والعسكري خاصة، أم أنها كانت ستحدث لا محالة في ظل تكون و تبلور

---

[1]– Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18e , op.cit, p118.

[2] – خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 124–125.

[3] – محمد سي يوسف، المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، م.ت.د.م، العدد 25، زغوان تونس 2002، ص 67.

[4]–SHAW(T),op.cit, p185.

فئة اجتماعية جديدة باتت تشكل أحد أهم أطياف المعارضة الداخلية لحكم العثمانيين، ولها مطالب مستقلة عن توجهات الحكام وسياستهم ؟

إن تحليل مختلف الأحداث المرتبطة بالكراغلة تدفعنا إلى الاستنتاج بأن حركة هؤلاء لم تكن على نسق واحد في أسبابها وأهدافها، ذلك أن منها ما كان بتحريض من الحكام الذين استغلوا وضع الكراغلة وعلاقتهم المتوترة بالإنكشارية، كما حدث على عهد خضر باشا سنة 1596م لما استعان بهم لإخماد عصيان الإنكشارية. وفي المقابل فإن هناك من الأحداث ما كان بمبادرة خالصة من الكراغلة كما حدث خلال الفترة (1629م-1633م)، حيث تميزت حركة الكراغلة خلال هذه المرحلة بمجموعة من السلبيات منها عدم التخطيط الجيد، وعدم اختيار الوقت المناسب، فضلا عن عدم السعي لإشراك اكبر عدد من الكراغلة والأهالي وبقيت الفئات الاجتماعية التي تجمعها قواسم مشتركة مع الكراغلة كقبائل زواوة فيما يتعلق بالموقف من العثمانيين عموما وطائفة الرياس فيما يتعلق بالموقف من الجنود الإنكشارية . وقد تكون هذه العوامل أحد أسباب فشل الكراغلة في مسعاهم السياسي والعسكري.

ويجمع معظم المؤرخين على أن مشكلة الكراغلة كانت بالدرجة الولى مع الجنود الإنكشارية (الأوجاق)، وخاصة العزاب منهم، والذين كانوا يرون في الكراغلة أكبر فئة طموحة منافسة لهم على الامتيازات والحكم، فعملوا على خلق حالة من الشقاق بين الكراغلة والعثمانيين خاصة بعد أحداث سنة 1630م [1].

حاولنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة التوصل إلى معرفة فيما إذا كانت ثورات الكراغلة في أيالة الجزائر قد جاءت في إطار عمل منظم ذو أهداف ورؤية واضحة مسبقة، الأمر الذي لا يمكن الجزم باستنتاجه، كما أني لم أقف عليه في أيا من المصادر أو المراجع التي أتيح لي تحصيلها ومراجعتها ، في حين يكاد يكون هناك نوع من الإجماع بين مختلف الباحثين والدارسين لموضوع كراغلة الجزائر على أن هذه الفئة في أقصى مطالبها كانت تسعى فقط لتحصيل مختلف الامتيازات متأثرين بآبائهم العثمانيين، بغض النظر عن طبيعة الحكم وانعكاساته على واقع ومستقبل الأيالة، وبالتالي فإن الصراع مع الإنكشارية كان صراع مصالح بالدرجة الأولى ، ولم يكن صراعا على المصلحة العامة للبلاد ومدى تحقيق الحكم العثماني لها.

[1] – حمدان خوجة ، مصدر سبق ذكره، ص ص116-119.

هذا الاستنتاج يقود بدوره إلى استنتاج أخر وهو أن تغيير وإصلاح نظام الحكم العثماني في الجزائر بما يخدم المصلحة العامة لم يكن ضمن الأهداف الإستراتيجية البعيدة للكراغلة، وإن شاركوا في محاولات إصلاح هذا النظام التي جاءت أساسا بمبادرة من الحكام العثمانيين أنفسهم، كما حدث على عهد كل من الداي علي سنة 1808 م والداي علي خوجة سنة 1817م، من خلال أشراك الكراغلة في وضع حد لتمرد وعصيان الإنكشارية كما تقدم بيانه. إلا أن الكراغلة ونظرا لغياب الرؤية البعيدة المدى لم يستغلوا هذه الفرص للبناء عليها والتأسيس لنظام وطني محلي بل إن تطلعاتهم تضاءلت مع نهاية القرن الثامن عشر لتنحصر في مجرد السعي للمحافظة على الامتيازات أو مساندة فرقة ضد فرقة أخرى[1].

ويبدو أن فشل الكراغلة في محاولاتهم لتحييد الأتراك عن مقاليد الحكم في الجزائر قد ساهم في إضعاف معنوياتهم بل وأثر على وضعهم ومستقبلهم في الأيالة. وانسحب هذا التأثير على كل الجزائريين ذلك أنه لو قدر للكراغلة النجاح في مسعاهم لتغير واقع الجزائر كما ذهب إلى ذلك المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله بقوله :- " ...ولو نجح الكراغلة لتغير وجه التاريخ الجزائري ، ولوجدنا الحكم فيها أكثر التصاقا بالشعب وأكثر اهتماما بمصالحه وأكثر ارتباطا بقيمه الحضارية، بل لتوقعنا أن يتحول الحكم شيئا فشيئا إلى حكم (وطني) مستقل"[2]. ونفس هذا المعنى ذهب إليه بوير في مقاله الموسوم " مشكلة الكراغلة في أيالة الجزائر" وهو عنوان يوحي بأن هذه الفئة قد عانت أوضاعا سياسية واجتماعية رقت إلى درجت المشكلة الوطنية، تجسدت في رفض الكراغلة من طرف آبائهم من جهة وعدم نجاحهم في الاندماج في السكان المحليين من جهة أخرى[3]، ليقرر في الأخير أن الكراغلة فشلوا في تحقيق هدفهم المتمثل في طرد الإنكشارية من الجزائر وانتزاع السلطة منهم، ما دفعهم إلى التفكير فقط في كيفية المحافظة على امتيازاتهم[4] .

---

[1]- Boyer(P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p90

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص 149.

[3] – تقرر الدكتورة معاشي جميلة أن وضع الكراغلة في قسنطينة والشرق الجزائري عموما كان أحسن بكثير مما كان عليه وضعهم في بقية المناطق. تجلى ذلك من خلال اندماجهم المبكر والواسع في المجتمع القسنطيني، فضلا عن أن بايلك قسنطينة لم يشهد تمردات وصراعات عسكرية بين كل من الكراغلة، الإنكشارية ، الأهالي على غرار ما كان عليه الحال في بقية المناطق، للمزيد أنظر :

معاشي جميلة ، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 361 وما بعدها.

[4]- Boyer (P) ;"op. cit, p90.

➢ رابعا/ مشاركة الكراغلة في دوائر السلطة العثمانية بالجزائر:

نحاول من خلال هذا المبحث رصد مختلف مساهمات ومشاركات الكراغلة في دوائر السلطة العثمانية الحاكمة في أيالة الجزائر، وذلك بغية الوقوف على المناصب التي كانت مفتوحة أمام هذه الفئة ومسموح لها ولوجها وكذا المناصب المحظور على الكراغلة شغلها وطبيعة هذه الوظائف.

في هذا الصدد لابد من التذكير لما أشرنا له سابقا فيما يتعلق بانتقال الوظائف من الآباء العثمانيين إلى الأبناء الكراغلة، والذي كان يتم في الجزائر كما في إستمبول وفق فلسفة سياسية تتأرجح بين الأخذ والرد، بحسب درجات الصراع بين الآباء والأبناء داخل الهيئة الحاكمة، علاوة على الظروف السياسية والعسكرية المحيطة. ولذلك فإن تلك القواعد لم تكن دون شك واحدة خلال العهد العثماني كله، وإنما كانت تختلف من فترة لأخرى ، مما يجعل من الصعب على الباحث رصدها رصدا دقيقا[1]. لكن وفي هذا الخضم لابد من الإشارة إلى ثابت واحد وأساسي في السياسة العثمانية وهو مبدأ عدم توريث المنصب من الأب إلى الابن كما كان الحال في تونس[2]، مما جعل الاهتمامات السياسية لا تسيطر على العائلات.

وبناء عليه فإن تعامل العثمانيين مع الكراغلة خضع لعوامل عدة لعل أهمها طبيعة المرحلة خاصة من الناحية السياسية والعسكرية. فقد لجاء العثمانيون لخدمات الكراغلة من خلال تجنيدهم لأجل تغطية العجز بعد تأخر وصول المجندين الجدد من الأناضول مثلا أو بعد انتشار وباء الطاعون مثلا، كما أن أحداث سنوات 1596م،1629م و1633م كانت مفصلية في مسار العلاقة بين الطرفين، إذ دفعت العثمانيين إلى توخي الحذر والاحتياط عند تولية الكراغلة أية مناصب، بل والعمل على استبعادهم من المناصب السياسية والإدارية الحساسة، وعسكريا الحرص على عدم تقلدهم الرتب العليا حتى لا تقوى شوكتهم. حتى أن حمدان خوجة يصور حدة العلاقة بين الطرفين بقوله " وقد استمر هذا الحقد من الأتراك على أفلاذ أكبادهم مدة قرنيين تقريبا"[3] ، ويبدو أن هذا الحقد قد أدى إلى قطيعة نهائية بين الآباء والأبناء ولم تستطع المحاولات المتعدد من بعض الحكام وضع حد لهذا العداء وإزالة هذه

[1] – خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سبق ذكره ، ص ص 56-81.

[2] – جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 389.

[3] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص117.

القطيعة، وحتى الإجراءات التي اتخذها الداي شعبان عام 1683م، في صالح الكراغلة لم تطبق عمليا لمعاداة الضباط الأتراك لمثل هذا التنازل المخل بامتيازاتهم[1] .

نلمس أثر المعطيات المرحلية في تحديد طبيعة العلاقة بين طرفي الصراع من خلال المعاملة التي حظي بها الكراغلة خلال القرن 16م، إذ عوملوا على قدم المساواة مع بقية العناصر المشكلة لأوجاق الجزائر، فسمح لهم بشغل جميع المناصب في الأيالة، والتي كان أعلاها منصب البايلرباي الذي شغله حسن باشا ابن خير الدين على ثلاث فترات متقطعة [2]، حيث كان لطبيعة حكام تلك المرحلة الدور الكبير في إرساء قواعد معاملات وعلاقات طبيعية أساسها التعاون لدفع الخطر الخارجي .

وابتداء من أواخر القرن السادس عشر أخذت جماعة الأتراك العثمانيين خاصة فرقة الإنكشارية تعزز سلطتها من خلال محاولة إبعاد جماعة الكراغلة، والتخوف هنا ذو خلفية سياسية[3] أساسا فأهم المناصب في الدولة والوزارات ووظيفة خوجة الخيل لم تعد تعطى إلا للأتراك لأن الكراغلة طردوا من الحكم، كما عزل كل من كان يشغل منهم وظيفة حساسة في ذلك الحين، وكل كرغلي يصل إلى المرتبة السابعة، كان يعزل، وبهذه الكيفية لم يكن لأي واحد منهم أن يشتغل في البلاط[4].

تفيد الدراسة التي أجراها خليفة حماش حول موضوع الموروث الوظيفي في أيالة الجزائر، أن هذه العملية كانت تحكمها ثلاث مبادئ أو قواعد أساسية :

- المبدأ الأول يتعلق بمستوى الوظائف التي كان يسمح بأن تشكل موروثا وظيفيا للآباء ينتقل إلى الأبناء.

-المبدأ الثاني يتمثل في مستوى الطبقة (أي الجيل) الذي ينتمي إليه الأبناء ضمن أسرتهم. فحسب المؤرخين الذين تناولوا موضوع القول أوغليين فإن أبناء عناصر الهيئة الحاكمة (الأتراك في معظمهم) كانوا يعتبرون "قواأوغليين" في الطبقة الأولى فقط (أي في الجيل الأول)، أما في الطبقات الموالية التي يصيرون فيها أحفاد (أي أبناء أبنائهم وأبناء أبناء أبنائهم) فهم لا يعتبرون " قول أوغليين" وإنما من الأهالي .

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 96.

[2]-HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger , op.cit, p80 et sq.

[3] – حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري ، مرجع سبق ذكره، ص80.

[4] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص ص 116–117.

-المبدأ الثالث يتمثل في الانتماء العرقي للأم ،لأن أبناء الأمهات التركيات أو الأوروبيات اللواتي اعتنقن الإسلام لا يعتبرون كراغلة بل مثل آبائهم تماما في التمتع بمختلف الامتيازات.

وقد خلصت الدراسة إلى أن هذه المبادئ كانت في أغلبها نظرية ولم يكن تطبيقها في الواقع مبدأ عاما مطلقا في ظل وجود عدة شواهد على حالات خالفت هذه المبادئ، من خلال تولي الكراغلة لمناصب من دائرة مناصب المسؤولية المحظورة عليهم أو وجود كراغلة من الجيل الثاني والثالث ورثوا وظائف ومسؤوليات سيادية وإن كانت هذه الاستثناءات في تولي الوظائف والمسؤوليات بقيت في حدود ضيقة ولم تشكل القاعدة العامة كما أن هذه الوراثة والانتقال لم ترقى إلى وراثة منصب الباشوية، الأمر الذي لم يكن ليسمح به الأوجاق مطلقا لأنه سيؤدي إلى إحداث تغيير في نظام الحكم يترتب عنه تأسيس نظام سياسي جديد يقوم على مبدأ الوراثة ، كما أن ارتباط الأوجاق بالباب العالي جعلهم يتصدون لأي محاولة من هذا القبيل[1].

من جهته يذكر حمدان خوجة أنه من بين الوظائف التي استبعد منها الكراغلة، وظيفة الترجمان الذي هو مترجم البلاط أو أمين اللغات الأجنبية و كذلك وظيفة كاتب الدولة، كما نستشف من كلامه أن الكراغلة استبعدوا من الإشراف على المؤسسات الوقفية (وكيل الأوقاف) حيث كان يعين العرب في هذه الوظائف بدل الكراغلة في حين يشير نفس المصدر إلى أن أبناء الأتراك الكراغلة كانوا يقبلون في عضوية الديوان قبل أحداث سنة 1630م [2]، أما فونتير دو بارادي فيذكر من بين الوظائف التي كان يحرم منها الكراغلة وظيفة المحاسب في الخزينة[3]، ومن جهة أخرى يشير نفس المؤلف إلى أن الكراغلة كانوا يتولون وظيفة ضابط الشرطة المعروف باسم جراح باشي، والذي ينظر في كل الخصومات التي تقع بين الأتراك والأهالي واليهود والمسيحيين[4].

ويبدو أن معرفة الكراغلة للغة التركية قد أهلتهم لأن يكونوا واسطة اتصال بين الحكومة والأهالي بل إن الحكومة أجبرت على استخدامهم في الوظائف المساعدة وتمكن بعضهم من شغل

[1]– خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص ص 59–61.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص ص 85–117.

[3]– Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18^{e} , op.cit, p167.

[4]– Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18^{e} , op.cit, pp108-110.

وظيفة المفتي والباي[1]، وحتى وظيفة الخواجة[2] لأن أعمال أصحابها الذين يعرفون القراءة والكتابة لا تزيد عن الإشراف على السجلات الإدارية[3]، وقد قدر لوجي دي طاسي عدد هم سنة 1724م بثمانين كاتبا موزعين على مختلف الأجهزة الإدارية داخل دار الإمارة وخارجها، زيادة عن الخواجات الأربعين الذين يعملون في الديوان [4].

بالنسبة لوظيفة المفتي فقد تقدم معنا الإشارة إلى تولي بعض الكراغلة لهذا المنصب[5]، أما بالنسبة لوظيفة الباي فقد اضطر العثمانيون لخدمات الكراغلة في هذا المجال لثلاث أسباب فيما يبدوا لي :

- قلة عدد الأتراك في البايلكات الثلاث باستثناء دار السلطان ما دفع العثمانيين إلى اللجوء لتعيين الكراغلة في الوظائف الإدارية والعسكرية على مستوى البايلكات، وقد ساعدهم ذلك على الوصول إلى مرتبة الباي نفسها[6].

- مدى ارتباط الداي المعين بعلاقات مصاهرة مع الأسر والقبائل القوية ، وذلك حتى يضمن دعمها للقضاء على الاضطرابات التي تقع بين القبائل والسلطة من حين لآخر[7]، مع العلم أن البايات خلال العهد العثماني كانوا يعينون من بين الجنود ذوي القدرات والكفاءات العسكرية والإدارية، ولذلك برر حمدان خوجة تعيين حسين داي للباي الحاج أحمد على رأس بايلك قسنطينة بأنه جاء لكفاءته واستحقاقه، بدليل أنه عرف كيف يبقى حتى بعد سقوط الحكومة العثمانية[8].

---

[1]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص88.

[2]– الخواجة: تكتب خواجا وخواجة، جمعها خواجات (في اللهجة الشرقية تعني السيد) وفي التركية العثمانية تعني المسجل أو الكتاب أو الناسخ أو المعلم الخاص، وكان العمل في هذه الوظيفة يتطلب قدرا من العلم لأنه يشرف على السجلات التي تقيد فيها الأسماء والحسابات، علاوة على المراسلات وغيرها.

للمزيد أنظر حافظ جلال وآخرون، دائرة المعارف، القاهرة، 1933، مج7، ص 467.

[3]– Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18^{e} ,op.cit,p188.

[4]- LAUGER DE TASSYTassy,op.cit,p143.

[5] – انظر الفصل الأول ص 114 ومابعدها.

6- Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18e , op.cit, p180.

[7]– FERAUD, Notes historiques sur la province de Constantine, op .cit ,p 103.

[8] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص135.

- طبيعة العلاقة بين الحكام العثمانيين في الجزائر والبايات في أقاليمهم[1]، وكذلك صلاحيات الباي التي كانت تجعله دائما تحت سلطة الباشا أو الداي من خلال تقديم الدنوش، وعدم خضوع جنود الحاميات للباي، ووجود منصب الأغا إلى جانب الباي مع عدم الخضوع له، بل إن الأغا يتلقى أوامره من الداي نفسه ما يجعل البايات تحت المراقبة الدائمة[2].

وقد أثبت المؤرخون تولي عدة كراغلة لمنصب الباي، لعل أولهم كان حسن باشا ابن خير الدين الذي تولى هذا المنصب بمازونة حسب ما يورده محمد بن يوسف الزياني[3]، ودائما في بايلك الغرب يشير بوير في دراسته عن الكراغلة إلى تولي مصطفى العمر (أو الأحمر) وهو كرغلي، وظيفة باي الغرب خلال الفترة 1736م –1748م، كما تولى الكراغلة هذا المنصب خلال الفترة (1780م–1799م) و(1805م–1812م)[4] ، وقد سيطر الكراغلة على الحكم في بايلك الغرب ابتداء من عهد الباي محمد الكبير أي من 1779م إلى 1830م[5]. فحسب صاحب دليل الحيران فإن عدد باياتال أيالة الغربية(أي بايلك الغرب) من أولهم إلى أخرهم ثلاثة وثلاثون بايا مع تأكيده أنه لم يكن يتولى هذا المنصب إلا من هو تركي أو قرغلي[6].

أما في بايلك التيطري فيشير بوير إلى محمد الذباح الذي حكم خلال الفترة (1768م–1771م)، وقد كان حظ الكراغلة في بايلك الشرق أوفر منه في بقية البايلكات، ذلك أنه تولى سبعة منهم حكم البايلك ذكرهم محمد الصالح العنتري كما يلي :

- أحمد خوجة باي بن فرحات 1700م–1703م.
- حسين شاوش باي 1708م.
- عبد الرحمان باي بن فرحات 1709م.
- علي بن صالح باي 1710م–1713م.

[1] – وليام سبنسر، مرجع سبق ذكره، ص70.

[2]–N.WEISSMANN, op.cit, p171.

[3]– محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 192.

[4]– Boyer (P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p88.

[5] – الوليش فتيحة، مرجع سبق ذكره، ص 114.

[6] – محمد بن يوسف الزياني، مصدر سبق ذكره ، ص 192.

-عثمان باي 1803م-1804م ، وهو إبن محمد بن عثمان الكبير باي وهران، وفي ولايته حدث تمرد إبن الأحرش.

-حسين باي ولد صالح باي 1806م-1807م .

-الحاج أحمد باي بن محمد الشريف 1826م- 1837م [1]، وهو أشهر بايات قسنطينة، وقد أفردنا له ترجمة خاصة فيما يأتي .

إن تولي هذا العدد المعتبر من الكراغلة لحكم بايلك الشرق قد يكون مرجعه حسب رأي إلى حالة الاستقرار التي طبعت علاقة الكراغلة ببقية فئات المجتمع في البايلك، فضلا عن أن هذا البايلك لم يعرف أي ثورات أو تمردات من طرف الكراغلة ضد السلطة المحلية أو المركزية على شاكلة ما كان عليه الحال في دار السلطان أو في بايلك الغرب خاصة تلمسان[2].

كما تجدر الإشارة إلى أن العثمانيين قد توقفوا عن تعيين الكراغلة في منصب البايات بعد أحداث تلمسان سنة 1748م، ضد الحامية التركية وتم تطبيق هذا القرار ابتداء من سنة 1748م ليتم التراجع عنه سنة 1780م[3] تحت ضغط الأسباب والمعطيات التي تقدم شرحها.

أما في مجال العلاقات الخارجية كالسفارات والبعثات الدبلوماسية إلى الباب العالي أو أوروبا فقد كانت مشاركة الكراغلة فيها ضئيلة جدا، حيث وقفت في هذا المجال على بعثة صهر سنان أغا المسمى شريف محمد(كرغلي)، إلى مرسيليا سنة 1620م وذلك للتدخل لدى السلطات الفرنسية إثر المذبحة التي تعرض لها الوفد والتجار الجزائريين بمرسيليا على خلفية أعمال قرصنة حسب الرواية الفرنسية[4].

أما في مجال القضاء ونظرا لكون النظام القضائي كان يقتصر على المسائل الدينية والقضايا المدنية الصرفة، فإن الحكام لم يروا مانعا من السماح لبعض الحضر والكراغلة بتولي المناصب القضائية التي لم يكونوا يتقاضون عليها أجورا محدودة وهذا ما ساعد على انتشار الرشوة ودفع ببعض

[1] – محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص ص51 – 90.

[2] – للمزيد أنظر جميلة معاشي ، مرجع سبق ذكره، ص 360.

[3]– Boyer(P) :"Le problème kouloughli….",op.cit,p88.

[4]– جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا1619-1830، م.و.ك، الجزائر،1987، ص ص 57-61.

القضاة إلى الانحراف في بعض الأحيان، بعد أن ضاقت بهم سبل العيش ولم يلقوا العناية اللائقة من الحكام مثل بقية الموظفين الآخرين[1] .

أما المجال العسكري فقد كان أكثر استقطابا للكراغلة باعتباره وظيفة لا تتطلب أية إمكانات تعليمية أو حرفية، ويكفي للشخص لكي يتولاها أن يكون سليم الجسد والعقل حتى يستطيع القيام بعمله العسكري. ولذلك وجد في تلك الوظيفة مختلف أبناء العناصر العثمانيين الذين كانوا يمسكون بأجهزة الحكم في الجزائر[2]. وقد سبقت الإشارة إلى استبعاد هذه الكراغلة من المناصب العليا كأغا السبايهية[3]، كما كان يتم إحالتهم على التقاعد بمجرد وصولهم لرتبة بلوك باشي فضلا عن حرمانهم من العمل في الحاميات المكلفة بحراسة القصبة أو دار الإمارة[4].

➢خامسا/ مصير ووضع الكراغلة في الجزائر مع نهاية الوجود العثماني :

يعتقد الكثير من المؤرخين أن ثورات الكراغلة كانت من أهم الأسباب والعوامل التي ساهمت في نهاية الوجود العثماني بالجزائر، وقد كانت الظروف العامة التي عرفتها الجزائر قبيل نهاية الحكم العثماني بها خاصة السياسية والعسكرية منها كانت لصالح الكراغلة، فأمام كثرة الثورات الداخلية وازدياد المخاطر الخارجية مقابل تناقص عدد الجنود النظاميين القادمين من المشرق على خلفية أحداث سنة 1817م التي قضى فيها الداي علي خوجة على حوالي 1200 جندي إنكشاري[5]، كل هذه العوامل دفعت المسؤولين العثمانيين إلى فتح باب التجنيد أمام العناصر المحلية خاصة الكراغلة وزواوة، وفي هذا الصدد يشير الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى أن الداي حسين اتخذ قرار تجنيد السكان المحليين واعتبارهم كجنود نظاميين حيث كتب منهم في دفتر العسكر النظامي نحو الألفين[6]. الأمر الذي من شأنه أن يجعل عدد الجنود الترك النظاميين أقل من عدد الجند الجزائريين.

---

[1] –ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره ، ص23.

[2]– خليفة حماش، الأسرة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 58.

[3] – أغا السبايهية : أي قائد الجنود الفرسان أو الخيالة.

[4]– Venture (De Paradis), Tunis et Alger au 18e, op.cit, pp180-181.

[5] – يورد دوغرامون أن الداي حسين حاول تجنيد عناصر من آسيا، وبالفعل حصل على موافقة السلطان العثماني لكن حصار الفرنسيين للجزائر سنة 1827 حال دون ذلك. للمزيد أنظر:

Grammont (H.D.de) ,Histoire d'Alger sous la domination Turque, op.cit,p382.

[6]– أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص ص 165–166. حيث يورد الزهار أن إجراء تجنيد السكان المحليين لم يعجب الخواجة (الكتاب)الأربعة الذين كلفهم الداي بهذه المهمة، إذ انه بمجرد انصراف الداي =

لكن يبدو أن سياسة التقارب بين الكراغلة والعثمانيين وإن جاءت تحت ضغط الظروف، إلا أنها انعكست سلبا على العلاقة بين الكراغلة والسكان المحليين، إذ أصبح الجزائري العادي ينظر إلى الكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الأتراك الحاكمين[1]، وانتهى بهم الأمر أن فقدوا تلاحمهم وخمدت همتهم وزاد التصاقهم بالأتراك وتخوفهم من العرب، وقد ذكر ابن مسلم(مسلم بن عبد القادر) ما يؤكد توتر علاقة الكراغلة ببقية السكان عندما أشار إلى أن باي الغرب محمد بن محمد، ذهب إلى تلمسان عام 1220هـ– 1805م ،وآخى بين العرب والكرغلان وأوصاهم على بعضهم البعض[2]، ثم ذكر أن "الباي في قلبه شيء كثير مما هم فيه القرغلان أهل تلمسان من ضيق الحال وعدم القوت والمال، والعدو لا يفارقهم بالغدو والآصال، وجواسيسهم تتعاقب على الباي بأخبار النكال والوباء، وذلك أن الفتن واقعة بينهم وبين عرب البلد، وطالت واتصلت على الوالد والولد"[3]. وبالفعل فقد كان من نتائج سوء العلاقة بين الحضر والكراغلة في تلمسان أن شارك الحضر الذين التحقوا بمقاومة الأمير عبد القادر في الحصار الذي فرضه هذا الأخير على الكراغلة لما تحصنوا في قلعة المشور وبعد هزيمة تلمسان واحتلالها انقلب الكراغلة إلى منتقمين من حضر تلمسان وعربانها المتحالفين مع الأمير[4].

انعكس هذا الوضع سلبا على مستقبل الكراغلة ومصيرهم مع نهاية الوجود العثماني بالجزائر، خاصة وأنهم اتجهوا لتشكيل طائفة متميزة عن بقية الأهالي في المناطق التي تواجدوا بها، مركزين اهتمامهم في تنمية ثرواتهم الاقتصادية كتعويض عن إخفاقهم في تحقيق أي مكاسب سياسية.

إن الكراغلة من خلال هذا التصرف إنما يقلدون آبائهم العثمانيين الذين تميزوا بالانغلاق على أنفسهم والانعزال عن الأهالي طيلة تواجدهم بالجزائر، الأمر الذي حال دون تشكيل جبهة وطنية موحدة ضد الأخطار الخارجية وجعل المجتمع الجزائري عشية الغزو الفرنسي سنة 1830م عبارة عن

= ضرب الخواجة الأرض بالقلم الذي بيده، ودعا بالتركية، وذلك من شدة غيظه على كتابة أولاد العرب. أنظر مذكرات الشريف الزهار، ص166.

[1] – ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 44.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره ، ص97.

[3] – مسلم بن عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص 87.

[4] – سلطانة عابد، الرسائل العربية، مرجع سبق ذكره، ص ص 28–32.

مجتمع متفكك تعصف به الروح العرقية والقبلية التي زاد من حدتها عدم وجود حكومة مركزية قوية، مقابل سعي الأتراك لاستغلال هذه الأوضاع في زيادة التباعد بين فئات المجتمع[1].

وقد صور ابن أبي الضياف نفسية المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة واصفا السواد الأعظم منهم باليأس والسأم من " سطوة جنود الترك وبلغ السيل الزبى، وزهدهم ذلك في الوطن وضاق فيهم الوطن ،والمظالم الفظيعة ربما تفضي إلى مخالفة الشريعة" ، وأضاف بأن " هذه ثمرة إضاعة الحزم وتنافر القلوب بين الراعي والرعية"[2].

من جهته وصف سيمون بفايفر طبيب وخزناجي الداي العلاقة بين الكراغلة والأتراك والسكان المحلين قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر بقوله" لقد أثار الأتراك الشعب الجزائري ضدهم بسبب ما ألحقوه به في عصور مضت من أذى وإهانة واضطهاد، ومن ثم بدأ الجزائريون يشعرون على مهل بقواهم الكامنة في أعماقهم ويطالبون بحقوقهم كاملة، فأجبروا الداي على أن يعترف لهم كل يوم بنصيب أكثر من هذه الحقوق، حتى إنه لم يكن من النادر أن ينتقموا من الأتراك ويلحقوا بهم الهوان والمذلة. ثم يكشف بفايفر عن جانب من حقيقة نفسية وشعور الأتراك تجاه الجزائريين بقوله : وكثيرا ما سمعت الأتراك يقولون فيما بينهم " لقد تغير الموقف الآن. هذا ما يريده القدر في هذه اللحظة، ولكن أمهلونا قليلا أيها العرب الملاعين...فعندما تنتهي الحرب مع فرنسا، ويرضى عنا السلطان ثانية، ونصبح في غير حاجة إلى مساعدتكم ، ينبغي لكم أن تضطهدوا من جديد، وتشعروا مرة أخرى بثأرنا منكم"، هكذا كانوا يتحدثون فيما بينهم، ولكنهم في الظاهر كانوا يعاملون الجزائريين برفق ولطف ومروءة"[3]

إن قضية انهيار الجزائر العثمانية دفعت واحدة وفي أول مواجهة وصدام لها مع قوة أوروبية تضعنا أمام سؤال كبير يتعلق بالأسباب الحقيقية وراء هذا الانهيار، فهل كان الأمر نتيجة للوضع الصحي والديمغرافي والحالة النفسية للأهالي؟ أم أن الحالة الاقتصادية ومتطلبات التطور الاقتصادي لأوروبا كان له دخل في ذلك؟ أم أن الأمر يفسر في نطاق غلبة السلاح وعدم تكافؤ القوة العسكرية؟[4]

---

[1]– محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 206.

[2] – محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 206، نقلا عن ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، ص 168.

[3]– سيمون بفايفر، مصدر سبق ذكره ، ص 73.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ،ج1، م.و.ك. الجزائر،1984، ص54.

أم أن لمسألة العلاقات والتركيبة الاجتماعية التي كرسها الحكم الاجتماعي في الجزائر دخل في الموضوع ؟خاصة وأن الكثير من فئات المجتمع ابتهجت في بادئ الآمر بالتخلص من العثمانيين.

بالنسبة للكراغلة فقد وجدوا أنفسهم في خضم هذا الوضع معزولين عن الأهالي والعثمانيين ، ذلك أنهم كانوا يكرهون الأتراك لما يتمتعون به من امتيازات سياسية وعسكرية حرموا منها ، وفي نفس الوقت يحتقرون الأهالي [1] ما جعل علاقتهم بهم تسوء وتتوتر، خاصة كراغلة تلمسان الذين حدثت بينهم وبين العرب فتن قبل وبعد العزو الفرنسي للجزائر[2].

لقد كان لهذا القاسم المشترك بين الكراغلة والعثمانيين والمتمثل في حب الانعزال والتميز عن بقية فئات المجتمع، انعكاس سلبي على الفئتين معا، بحيث أثر على علاقتهما ببعضهما وعلى علاقتهما بالمجتمع خاصة بعد انهيار السلطة العثمانية في الجزائر واستسلام الداي حسين ثم مغادرته مدينة الجزائر في 10 جويلية 1830م، برفقة حاشيته المتكونة من 58 رجلا وامرأة[3].

لقد تمخض عن استسلام الداي المبكر للواقع الجديد الذي أفرزته الحملة الفرنسية على الجزائر عدة نتائج كان من أهمها القضاء على السلطة العثمانية سياسيا من خلال مغادرة الداي حسين للجزائر، وعسكريا من خلال ترحيل 2500 جندي إنكشاري على متن أربع سفن فرنسية اتجهت بهم إلى آسيا الصغرى[4]، كما قام الفرنسيون بنزع سلاح الجنود غير النظاميين، وأرسل دي بورمون رجال الإنكشارية غير المتزوجين إلى أزمير وسمح بالبقاء للمتزوجين، ولكنه عاد وأمر بإبعاد بقية الإنكشارية قسرا مدعيا أن الأتراك قد أخذوا يدبرون المؤامرات ضد الفرنسيين، ونفذ هذا الأمر بشكل وحشي رغم أنهم كانوا أقل خطرا من غيرهم، واختفى بذلك أخر مظهر من مظاهر الحكم العثماني في الجزائر[5].

---

[1] – محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 206.

[2] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره ، ص97.

[3] – ورد بهذا الصدد في مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، وحسب المحقق المرحوم أحمد توفيق المدني أن عدد الجنود الترك الذين أرادوا مفارقة البلاد رفقة الداي حسين هو 120 جندي.

أنظر مذكرات الشريف الزهار، مصدر يبق ذكره، ص 189.

[4] – أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 205. ورد في مذكرات سيمون بفايفر أنه لم يسافر من الجنود الإنكشارية إلى تركيا سوى ألف وخمسمائة، وانضم من بقي منهم إلى البايات وجموع العرب. أنظر بفايفر سيمون، مصدر سبق ذكره، ص 129. في حين ذكر المؤرخ صالح فركوس أنه بتاريخ 11يوليو 1830م جرى ترحيل 5092 تركي إلى آسيا الصغرى (الأناضول). أنظر صالح فركوس، مرجع سبق ذكره، ص 190.

[5] – جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 115.

ويرجع معظم الباحثين حرص الفرنسيين على التخلص من الإنكشارية بطردهم إلى تخوفهم من أن يكونوا مصدر فوضى أو اضطرابات في المستقبل [1] .

لقد انقسم المجتمع الجزائري العريض على نفسه بعد عدم نجاح المقاومة الأولى للحملة الفرنسية ودخول الفرنسيين لمدينة الجزائر، فالحضر واليهود كان يبدوا عليهم الارتياح لنهاية الحكم العثماني من جهة ومن جهة أخرى فقد كانوا يأملون أن يصلوا هم إلى السلطة[2].

أما الكراغلة فكان وضعهم أصعب، حيث يورد بعض المؤرخين أنهم تعرضوا لهجمات ومضايقات بعض القبائل، الأمر الذي جعلهم مضطرين إلى الانضمام للجيش الفرنسي[3]، ويبدوا أن موقف السكان المحليين من الكراغلة كان سببه تصرفاتهم تجاههم وعلاقتهم المتوترة معهم والتي كان سببها ما تقدم بيانه من أن الكراغلة قلدوا آبائهم العثمانيين في الانعزال والتعالي على الأهالي، وقد ذكر بوير بهذا الخصوص أن الكراغلة حافظوا على نفسيتهم المتعالية الباحثة عن الامتيازات والمصالح الضيقة، وهذا ربما ما يفسر علاقتهم بمقاومة الأمير عبد القادر وموقف هذا الأخير من كراغلة تلمسان والزواتنة[4].

من جهتهم فقد حاول الفرنسيون استغلال هذه المعطيات والأوضاع، من خلال استقطاب الكراغلة وعزلهم عن بقية فئات المجتمع الجزائري في إطار سياسة فرق تسد، حيث وجه الجيش الفرنسي نداء إلى الكراغلة يدعوهم فيه إلى الحياد وعدم المقاومة بل والتعاون معه تحت عدة مبررات، كتخليصهم من اضطهاد الأتراك الذين اغتصبوا ممتلكات ومنتوجات الكراغلة، وفي المقابل ضمان أن يصبح الكراغلة أحرارا ورؤساء في مسقط رأسهم [5]، ولعل في هذه النقطة بالذات محاولة استغلال

---

[1]–Nettement Alfred, Histoire de la conquête d'Alger écrite sur les documents inédits et authentiques , Paris, Jacques le coffre,1856, p467.

[2]– بفايفر سيمون، مصدر سبق ذكره، ص 130. جدير بالذكر التنويه لما أشار إليه المؤرخ العلامة أبو القاسم سعد الله من أن المؤرخين الفرنسيين يتهمون حضر الجزائر بأنهم كانوا يحلمون بعودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر خلال السنوات الأولى للاحتلال، وكان أعيان الحضر يعملون لصالح هذه الفكرة سواء لدى السلطات الفرنسية، أو في اتصالاتهم مع الباشا حسين المخلوع في المنفى، أو مع الحاج أحمد باي.

للمزيد أنظر أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 65.

[3]–ROZET,(M)et CARETTE,(E), op.cit, p78.

[4]- Boyer(P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p93.

[5]– عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900، موفم للنشر، الجزائر2010، ص ص 30–31.

لطبيعة العلاقة المتوترة بين الأتراك والكراغلة بسب الامتيازات[1] (أنظر نسخة من النداء في لملحق).

[1] - كتب العديد من المؤرخين عن علاقة الكراغلة بالمقاومة الجزائرية، حيث أن هذه العلاقة لم تكن سيئة منذ بداية مقاومة الأمير، بدليل تدخل الأمير عبد القادر سنة 1832م لإبرام صلح بين الحضر والكراغلة في تلمسان وجمع كلمتهم، لكن يبدو أن الكراغلة رأوا في مقاومة الأمير وسعيه لجمع القبائل وأخذ البيعة منهم خطرا على مصالحهم وامتيازاتهم، وفي نفس الوقت رأوا في السلطات الفرنسية فرصة لتقوية نفوذهم والدفاع عن مكانتهم، فراحت هذه الجماعات توقع بين الحضر و**عرب مجاهر** الذين التحقوا بالمقاومة، مستغلة ذلك التناقض القائم بين سكان الريف وسكان المدن. وهكذا سعى الكراغلة للتخلص من سلطة الأمير عبد القادر بشتى الوسائل فلجئوا إلى الاستعانة بسلطان المغرب مولاي عبد الرحمان الذي قام بإرسال قوة صغيرة بقيادة المولي علي إلى تلمسان ولقد فرح الأهالي بهذه القوة الإسلامية الجارة، إلا أن العداء القديم بين سلطان المغرب والسلطان العثماني دفع الكراغلة والجنود غير النظاميين للتراجع ورفض الاعتراف بسلطة المولى عبد الرحمان عليهم، ليتحول ولائهم إلى السلطات الفرنسية المستقرة في وهران .كما أن كراغلة وادي الزيتون حاولوا الاتصال بالفرنسيين وعقد صلات ودية معهم الأمر الذي مكن الجنرال كلوزال من تنصيب "شيخهم القائد بيرم" حاكما عليهم من قبله، وهذا ما دفع الأمير عبد القادر إلى محاولة إخضاعهم وإيقاع العقاب بهم، فأجبر جماعات كثيرة منهم على مغادرة مدن مليانة ومعسكر ومستغانم والاستقرار بالقرب من قاعدته الرئيسية تاقدامت التي أنشاها بالقرب من تاهرت، والتي أصبحت تضم ما بين 200 و300 أسرة من الكراغلة.إن موقف الكراغلة من التطورات الخطيرة التي عرفتها الجزائر في بدايات الاحتلال الفرنسي، يثبت عدم قدرتهم على التخلص من النفسية المتعالية التي آلفوها أيام الوجود العثماني في الجزائر والتي أورثتهم التهافت على المكتسبات والامتيازات والحرص عليها رغم كل الظروف، فالكراغلة لم يستنجدوا بالفرنسيين حبا فيهم وإنما رغبة في المحافظة على امتيازاتهم ومكاسبهم، كما أسهمت هذه النفسية في تكريس نفس العلاقة المتوترة بين الكراغلة والأهالي وبقاء نفس النظرة المتعالية، رغم وجود المحتل الفرنسي الذي كان من شأنه أن يدفع نحو التلاحم والتوحد.

للمزيد حول الموضوع أنظر: محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، م.و.ك،الجزائر،1984،ص 146.
– سلطانة عابد، الرسائل العربية، مرجع سبق ذكره، ص 31.

– ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية، مرجع سبق ذكره، ص ص 242–243

عرب مجاهر: قبيلة عربية عريقة ينتهي نسبها إلى سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن أبي ربيعة وعمه الحارث بن مالك،أرضهم غربي مليانة وضواحي وهران ومستغانم. للمزيد أنظر: محمد بن أبي راس الناصر، مصدر سبق ذكره، ص ص 69–70

الفصل الرابع

نماذج لشخصيات كرغلية في مجتمع الجزائر العثمانية

- أولا- شخصية حسن باشا بن خيرالدين
- ثانيا- شخصية الباي محمد الكبير
- ثالثا- شخصية الحاج أحمد باي
- رابعا- شخصية حمدان بن عثمان خوجة

نتعرض في الفصل الأخير لدراسة سير أربع شخصيات كرغلية بارزة في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، محاولين الوقوف على دور وإسهام الكراغلة في مختلف جوانب الحياة من خلال هذه الشخصيات، التي كان اختيارنا لها على أساس التأثير الذي مارسته سواء على مستوى الشأن العام لما تمتعت به من كاريزما، أو بوصفها نماذج من فئة الكراغلة تعكس طبيعة علاقة السلطة العثمانية بهذه الشريحة من المجتمع وتبقى شاهدة عليها من خلال بعض كتاباتها. وقد حاولنا اختيار شخصيات مختلفة الاهتمامات وإن كانت بينها قواسم مشتركة شأنها في ذلك شأن كل المهتمين بالقضايا العامة.

يأتي على رأس هذه الشخصيات الكرغلية البيلرباي حسن باشا ابن خير الدين بصفته شخصية جمعت بين الاهتمامات والإنجازات العسكرية والسياسية، أما النموذج الثاني فهو شخصية الباي محمد الكبير باي الغرب الذي تظل إنجازاته شاهدة على مدى ما يمكن أن يقدمه الكراغلة من خلال مواقعهم في السلطة. لننتقل إلى بايلك الشرق مع شخصية الحاج أحمد باي أخر الحكام العثمانيين في الجزائر، ومن عجب أن الكراغلة الذين عانو من الحرمان والصراع من أجل السلطة، كانوا هم أخر ممثل للسلطان العثماني في الجزائر، بل واستماتوا في الدفاع عن الحكم العثماني الذي حرمهم هذه السلطة.

وقد ختمنا هذا الفصل بشخصية ثقافية وسياسية، تركت بصماتها في تاريخ الجزائر وهي اليوم أحد شواهده، ونعني بها شخصية حمدان بن عثمان خوجة الذي عاصر وجمعته الظروف والمصاهرة مع الحاج أحمد باي .

➢ أولا/ شخصية حسن باشا بن خير الدين :

1- التعريف بشخصية حسن باشا بن خير الدين:

جاء في كتاب غزوات عروج وخير الدين" أنه كان لخير الدين إبن يعرف بمولاي حسن، وكانت أمه ذات شرف ونسب"[1]، فيما ذكر هايدوا في كتابه "تاريخ ملوك الجزائر" أن "أم البايلرباي حسن كانت من موريسكي الجزائر"[2]،أي أنها من أصول أندلسية، ومعلوم أن الجالية الأندلسية كانت قد هاجرت إلى بلدان شمال إفريقيا بعد سقوط غرناطة في 1492م، وقد تكاثر عددهم في الجزائر مع مجيئ الأتراك حتى أصبحوا من أهم العناصر المشكلة لطبقة الحضر، حيث تميزوا بعاداتهم وتقاليدهم

[1] – مجهول ،غزوات عروج وخير الدين، مصدر سبق ذكره، ص 79.

[2]- HAEDO (FD), Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p73.

الخاصة وبوضعهم الإجتماعي المميز[1]، أما صالح عباد فقد ذكر أن أم حسن باشا كانت من الأهالي وقد تكون من قبائل زواوة، حيث أشار إلى أن حسن باشا عندما صاهر ملك كوكو، إنما فعل كما فعل أبوه خير الدين من قبل [2]، الأمر الذي جعله متفتحا عليهم وأكسبه ثقتهم وحبهم[3].

من جهته ذكر المؤرخ جون وولف أن حسن باشا من أم جزائرية[4] دون أي تحديد، كما أن أيا من هاته المصادر لم يشر إلى تاريخ ومكان ميلاد حسن بن خير الدين.

2- حسن باشا الحاكم :

حسب ما جاء في كتاب طلوع سعد السعود، فإن أول مسؤولية تولاها حسن بن خير الدين كانت منصب الباي بمازونة[5]عاصمة بإيلك الغرب قبل معسكر ووهران . وهو نفس ما ذهب إليه محمد بن يوسف الزياني الذي ذكر أنه "لم يظهر له في ذلك فسلمه في ذات السنة إلى أبي خديجة" [6]، وكذلك رابح بونار محقق كتاب " أنيس الغريب والمسافر" لمسلم بن عبد القادر[7]، ويبدو أن هذه الوظيفة لم

[1] – ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص ص 97-98.

[2] – صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 87.

[3] – صالح عباد، المرجع نفسه، ص ص 83-87.

[4] – جون وولف، مرجع سبق ذكره ،ص 112.

[5] – الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009،ص271.

[6] – محمد بن يوسف الزياني ، مصدر سبق ذكره، ص 192.

بخوص تولي حسن باشا بن خير الدين لمسؤولية الباي في بايلك الغرب ومن خلال المصادر والمراجع التي راجعتها لم أعثر على هذه المعلومة في غير هاذين المصدرين الذين يوردانها بنفس الأسلوب تقريبا، خاصة وأن سنة 971هـ التي جعلها كل من المزاري والزياني سنة تولية حسن باشا لهذا المنصب توافق سنة 1563م، التي كان حسن باشا بن خير الدين خلالها بيلربايا على الجزائر. وقد يكون المراد هنا تولية حسن باشا لبن خديخة على رأس باي الغرب الذي تأسس في نفس السنة م. وإذا رجعنا إلى ما كتبه المؤرخين عبد الرحمان الجيلالي و محفوض قداش من أن الباي الأول لبايلك الغرب هو ابن خديجة الذي عينه حسن آغا (المراد حسن باشا وليس حسن آغا متبنى خير الدين) بايا على ما زونة عاصمة بايلك الغرب بعد حملته على وهران سنة 1563م نرجح أن يكون المراد هو المدة التي قضاها حسن باشا في ما زونة لتولية بن خديجة. للمزيد راجع :

عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره،ص95. وكذلك:

KADDACHE, Mahfoud, L'Algérie durant la période ottomane,OPU,Alger,1992,p138.

[7] – مسلم بن عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص 18.

ترق لحسن باشا ما جعله لا يعمر فيها طويلا ، حتى أن من المؤرخين من لا يشير إلى توليه لهذا المنصب مطلقا، كما جاء في كتاب" فريدة منيسة" لابن العنتري الذي أورد أن حسن بن خير الدين وبعد أن قسم البلاد إلى ثلاث بيالك ، عين المدعو "أبو خديجة" على بايلك الغرب، ونصبه في مدينة ما زونة[1].

أما تاريخ تولية حسن باشا لمنصب الوالي العام أو البيلرباي ، فالذي توصلت إليه من خلال مراجعة مختلف الكتابات في الموضوع، أنه كان في أواخر سنة 1544م، وهي السنة التي يرجحها معظم المؤرخين، على أساس أن تولي حسن باشا لهذا المنصب جاء إثر وفاة حسن أغا متبني خير الدين، والذي ذكر هايدو بشأنه أنه توفي أواخر سبتمبر 1543م[2] ، وحسب يوسف بنوجيت فإنه كان قد مضى من عمر حسن باشا حينها 28 سنة[3]، كما نفيد من مختلف الدراسات أن خير الدين لم يكن وقتئذ في الجزائر ذلك أن هناك فترة بين وفاة حسن أغا وقدوم حسن باشا تولى فيها الحاج بكير أو بشير الحكم في انتظار مجيئ الحاكم الجديد الذي يعينه السلطان العثماني[4].

يعتبر بعض المؤرخين تعيين حسن باشا ابن خير الدين في منصب بايلرباي الجزائر إنما جاء تقديرا لخدمات والده العظيمة، ويبدوا أن هذا التقدير كان يحظى به كلا الرجلين في الجزائر كذلك، إذ لم يسجل أي اعتراض من طرف الانكشارية أو الرياس على هذا التعيين، بل إنه كان مدعوما من الرياس وخاصة القدامى منهم رفقاء أبيه خير الدين[5] .

وسيتأكد هذا التقدير في المستقبل أكثر من خلال تعيين حسن باشا ثلاث مرات في منصب البايلرباي، وقد تقدم معنا أنه وبسبب قيامه بتجنيد الأهالي في صفوف الجيش فقد تعرض لمؤامرة من طرف الإنكشارية، حيث قبض عليه وبعث به مقيدا إلى القسطنطينية في شهر جوان 1561م بتهمة السعي للاستقلال، ليرجعه الباب العالي. إلى منصبه كبيلرباي سنة 1562م[6].

---

[1] – محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص 30.

[2]- HAEDO (FD), Histoire des rois d'alger ,op.cit,p68.

[3]– يوسف بنوجيت ، مرجع سبق ذكره، ص 148.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 85.

[5] صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 83.

[6] – عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص 102.

إن تحليل هذه الأحداث تفيد بمجموعة استنتاجات أهمها :

رغم أن حسن باشا محسوب على الكراغلة فإنه لم يلاقي أي معارضة من طرف عثماني الجزائر خاصة طائفة الإنكشارية ،منذ توليه لمنصب الباي ثم ترقيته لأعلى منصب في الأيالة. ويبدو أن السبب الرئيس وراء عدم الاعتراض هذا يكمن في التقدير والاحترام الذي كان يحظى به والـــده خير الدين، باعتباره سبب سعادتهم [1]وقدومهم للجزائر. دون أن يكون للاقتناع بشخصية حسن باشا أو عدم الاكتراث بتولي شخصية غير عثمانية أي دخل . ويتعزز هذا الطرح أكثر من خلال ردة فعل الإنكشارية على محاولة حسن باشا إدخال عناصر محلية في الجيش العثماني والذين وصل عددهم في سبتمبر 1561م ستمائة رجل مسلح[2]، الأمر الذي لم يكن مسموح به من قبل أبدا[3].

- إن جرأة الانكشارية على البايلرباي والتي جعلتهم يلقون عليه القبض ويرسلونه إلى القسطنطينية مكبلا تحت عدة دعاوى واتهامات كمحاولة الاستقلال بالجزائر أو تسليم السلطة لملك كوكو[4]، فيها إشارة واضحة وكبيرة إلى القاعدة التي كان الانكشارية يريدون إرساءها بخصوص التعامل مع العناصر المحلية والأهالي والمتمثلة في عدم إشراكهم في أي نوع من أنواع السلطة سواء كانت سياسية أو عسكرية ، وأن أي خرق لهذه القاعدة سيواجه بالرفض والقوة ولو تعلق الأمر بالبيلرباي نفسه، بل ولو كان هذا البيلرباي هو حسن باشا ابن خير الدين مؤسس الإيالة وسبب مجيئهم إليها .

وعلى الرغم من أن السلطان العثماني نفسه لم يقتنع بهذه الحجج وعاقب الوفد الذي ذهب إليه، بل وتتبع زعماء الانقلاب في الجزائر من خلال إرسال باشا جديد لاعتقالهم، ثم جدد الثقة في حسن باشا الذي رجع للجزائر بعد ذلك بقليل معززا بعشرين سفينة تركية، ما يؤكد قبوله من طرف كل إنسان في المدينة[5]. إلا أن سلوك الاستئثار بالسلطة وامتيازاتها وتهميش السكان المحليين كان قد رقى رقى إلى درجة العقيدة لدى العثمانيين في الجزائر وخاصة طائفة الانكشارية منهم، وستزداد هاته العقيدة رسوخا من خلال الأحداث التي تقدم بيانها أين تجلت بوضوح في مسار العلاقة بين العثمانيين وكل من فئتي الكراغلة وزواوة. وهذا ما يجعل تولي حسن بن خير الدين للسلطة في إيالة الجزائر

[1] – الأغا بن عودة المزاري ، مصدر سبق ذكره، ص 251.

[2] – جون وولف، مرجع سبق ذكره ، ص 112.

[3]– HAEDO (FD), Histoire des rois d'Alger, op.cit,p129.

[1]– HAEDO (FD), Ibid,p129.

[5] – جون وولف ، المرجع نفسه، ص 112.

يظهر كأنه فلتته أو استثناء عزم الانكشارية وصمموا على عدم السماح بتكرارها وهو الأمر الذي حصل بالفعل.

أما أهم أعمال وإنجازات حسن باشا بن خير الدين، فإذا كان لا يذكرون أي أعمال تنسب لحسن بن خير الدين حين تواجده بمازونة عدى تولية بن خديجة على رأس البايك بعد استحداثه، فإننا نجد في المقابل سجله مملوء بالبطولات والإنجازات العسكرية والسياسية والإدارية خلال الفترات الثلاث التي حكم فيها أيالة الجزائر.

2-1 ولاية حسن باشا الأولى 1544م-1552م:

خلال هاته الفترة عمل حسن باشا على إعادة النظام إلى صفوف القوات التركية خاصة الانكشارية التي تعودت على نوع من الفوضى وانعدام الطاعة[1]. كما تمكن من ترسيخ قدم الأتراك في تلمسان بعد أن دحر المغاربة منها سنة 1545م، ثم كرر الفعلة سنة 1552م بعد احتلال المغرب لتلمسان في 1550م، حيث ألحقت عاصمة الزيانيين هذه المرة بالحكومة الجزائرية نهائيا وولى عليها حسن قورصو.

فضلا عن هذا الإنجاز فقد اهتم حسن باشا بتنظيم البلاد إداريا حيث أحدث سنة 1548م مقاطعة التيطري وولى عليها رئيسا يحمل لقب الباي، كما أنشأ الحصون ومنها الحصن المعروف ببرج مولاي الحسن بالعاصمة.

وعلى إثر خلاف نشأ بين حسن باشا ومفوض دولة فرنسا، الذي سعى بالبيلرباي ووشى به لدى الباي العالي، وأحاطه بطائفة من التهم والشبه، ولطخ سمعته بالريب فاستدعي حسن باشا إلى إسطمبول[2].

2-2 ولاية حسن باشا الثانية 1557م- 1562م :

خلال هذه المرحلة عمل البايلرباي حسن باشا على إعادة النظام إلى طائفة الانكشارية والرياس، بعد أن بدأت تلوح في الأفق بوادر النزاع حول الغنائم والامتيازات. وقد دفعته هذه المهمة الصعبة إلى البحث عن تحالفات متينة مع السلطات المحلية من اجل السيطرة على الجيش[3]، ولأن

[1] – الميلي ، مرجع سبق ذكره،ج3، ص73.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 87.

[3] – الميلي ، مرجع سبق ذكره،ج3، ص 95.

الزواج السياسي من أقصر الطرق لعقد التحالفات السياسية، فقد صاهر حسن بن خير الدين سلطان كوكو أحمد بن القاضي بزواجه من ابنته، كما صاهر لنفس الغرض كبار قادته حيث زوج قائده حسن قوصو من كبيرة بنات أخت زوجته، وزوج قائده العلج علي بابنة أخ سلطان كوكو، وبذلك حقق العثمانيون مكاسب مهمة في طريق بناء الاستقرار وتهدئة منطقة القبائل[1].

إن في إقدام حسن باشا على مصاهرة السكان المحليين تشجيع غير مباشر لبقية العثمانيين للقيام بهكذا مصاهرات وإن كانت قد اقتصرت في البداية على كبار القادة في شكل زواج سياسي وتحالفي قبل أن تأتي الأحداث التي عرفتها خاصة مناطق وسط وغرب البلاد والتي دفعت العثمانيين للتراجع قليلا عن مصاهرة المحليين بتشجيع الجنود على ذلك وتحفيزهم إليه بالوسائل الاقتصادية خاصة، فيما استمرت العملية بوتيرة أحسن في الجهات الشرقية التي لم تشهد نزاعات بين الكراغلة والانكشارية على غرار ما كان عليه الوضع في بقية الجهات .

أما على صعيد دفع الأخطار وتوطيد الأمن الداخلي فقد نجح حسن باشا في إجلاء السعديين عن تلمسان ، كما قضى على الجيوش الإسبانية في مستغانم فلم يسترجع الإسبان هيبتهم بعدها[2]، ولنفس الغرض عقد تحالفات مع السلطان عبد العزيز من خلال الاعتراف له بالإمارة على قلعة بني عباس (آث عباس)[3] وبهذا أشرك جنوده في الحروب العديدة التي خاضها العثمانيون ضد قراصنة أوروبا[4] .

---

[1]- HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p131.

أنظر كذلك: الميلي ، مرجع سبق ذكره،ج3، ص97.

[2]– شارل أندري جوليان، مرجع سبق ذكره،ص345.

[3] – قلعة بني عباس: شيدت مطلع القرن 16م، في أعالي سلسلة جبال البيبان، وسط أرض جبلية وعرة وعلى هضبة صعبة المنال، وذلك مستجابة للظروف السياسية المتمثلة في استيلاء الإسبان على بجاية سنة 1510م. شيدها إبني السلطان الحفصي أبي العباس عبد العزيز الناجين من نكبة المعركة التي انتهت بإحلال بجاية، يعرف ابنا هذا السلطان بالأمير عبد الرحمان والأمير العباس الذي أعطي اسمه للقلعة. اشتهرتا بمدافعها الأربعة وبعلاقتها الندية مع العثمانيين حيث شن عيها صالح رايس حملة في 1552م، وفي سنة 1590ثار بنو العباس بزعامة أحمد أمقران رأس ذرية العائلة التي ستبرز خلال المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي .

للمزيد راجع : يوسف بنوجيت، مرجع سبق ذكره، ص ص 6–20.

[4]– مزيان وشن ، مرجع سبق ذكره ،ص ص100–101.

وقد انتهت هذه المرحلة كما تقدم معنا بالدسيسة التي قام بها الإنكارية ضد حسن باشا والتي على اساسها تم اعتقاله في سبتمبر 1561م ووضع الأصفاد في رجليه وطرده على هذه الحالة إلى القسطنطينية (إستنبول) بعد شهرين من ذلك [1].

نلاحظ خلال هذه الفترة من ولاية خير الدين أنه اتبع استراتيجيتين مهمتين في تسيير شؤون الإيالة والسيطرة على الجيش ، تتمثل الأولى في ظاهرة الزواج السياسي التي سنها بين قادته والتي ستنتشر بين الجند فيما بعد رغم مخالفتها للمبادئ العامة الحاكمة والمنظمة للجيش العثماني كما جاء في قانون السلطان مراد الأول السالف ذكره، وذلك للأهداف الاستراتيجية المرجوة من وراء هاته العملية، فقد استفاد العثمانيون من الواقع الاجتماعية والسياسي بتطبيق سياسة التقرب من القوى القبلية والزعامات المحلية ومنها المؤسسات الدينية بشكل خاص.[2]

وعلى الرغم من أن العثمانيين كانوا من الناحية الإجتماعية والاقتصادية في أمس الحاجة لمصاهرة السكان المحليين، إلا أنهم سياسيا كانوا يتوجسون خيفة من عمليات المصاهرة، ولذلك فقد حامت الشبهة حول تحركات حسن باشا التي جرت أمام مرأى العثمانيين والمهتدين الحديثي العهد بالإسلام(الأعلاج)، هؤلاء الذين كانوا يخشون فقدان الجزائر، أرض الخيرات في ذلك العصر الذي راجت فيه أعمال القرصنة وكثرت فيه المكاسب. إنه خوف نابع من كون حسن باشا ثمرة زواج خير الدين مع واحدة من أهل البلد، بالإضافة إلى اقترانه هو بزوجة من بلاد القبائل. وليس بمقدور أحد أن ينفي أن الذي أسس دولة الجزائر هو والده خير الدين، ولذلك بدا من الطبيعي كما يقول بربروجر "أن يتأسف حسن باشا بن خير الدين على كون والده تابعا للباب العالي بعد أن كان زعيما مستقلا. فسعى إلى إعادة الأمور إلى نصابها عن طريق التحالفات السرية"[3]. وقد استغل أتراك الجزائر هذا المعطى بما يتوافق ونفسيتهم فكتبوا رسالة إلى السلطان العثماني أرسلوها مع حسن باشا عند اقتياده إلى استانبول كما تقدم معنا، يشرحون فيها المخاطر المحدقة بمصير إيالة الجزائر، بسبب تصرفات هذا الشخص الذي يعتبر نصف تركي[4]

[1]- A.BERBRUGGER(Adrien) ,Les époques militaire de la Grande Kabylie, éd ,Bastide lib,Paris,1857,p100.

[2]– زيدين قاسمي، مرجع سبق ذكره،ص71.

[3]- A.BERBRUGGER(Adrien) , op.cit,100.

[4] – يوسف بنوجيت، مرجع سبق ذكره،ص 171.

أما الاستراتيجية الثانية فكانت محاولة امتصاص قوة الجيش في الجهاد من خلال توجيهه نحو مختلف الثغور حتى لا ينشغل بشؤون السلطة والسياسة، خاصة طائفة الانكسارية، وهذا ما نلمسه من خلال الحملات التي نظمها حسن باشا نحو مختلف المناطق والثغور خاصة الغربية منها.

2-3 ولاية حسن باشا الثالثة 1562م-1567م :

يصور هايدو فرح الأهالي بعودة حسن باشا للمرة الثالثة للجزائر بقوله " فرح الجميع بالعودة غير المتوقعة لحسن باشا، في مطلع سبتمبر 1562، وحتى النساء في هذا البلد المتحفظ، صعدن إلى سطوح البيوت للترحيب به بالزغاريد"[1] .

بدأ حسن بن خير الدين المرحلة الثالثة من حكمه ككل مرة بالدعوة للجهاد، فتوجه إلى وهران في 05 فيفري 1563م، بعد أن أعد للحرب عدتها، واستطاع بجيشه الكبير أن يحاصر المرسى الكبير في 03 أفريل 1563م فركز مدفعيته عليه، ولم تنج الحامية الإسبانية هناك إلا بعد وصول الدعم إليها في 08جوان 1563 م، والذي كان يقوده القرصان الشهير أندري دوريا، فانسحب حسن باشا وعاد إلى مدينة الجزائر بعد أن فقد العديد من جنوده في عملية الحصار[2]، وبحسب المؤرخ جون وولف فإن الجنود الانكشارية الذين نجوا في هاته الحملة كانوا على يقين من أن حسن باشا إنما وضع الانكشارية في مقدمة عمليات الجيش عقابا لها جزاء إهانتهم له سابقا[3] .

ومن أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة قرر حسن بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاث اقسام كل منها يحمل اسم بايلك، هي بايلك الغرب وبايلك التيطري وبايلك الشرق أو بايلك قسنطينة، هذا إلى جانب بايلك العاصمة في الوسط والذي يحمل اسم دارالسلطان كذلك، ويحكم كل بايلك نائب عن الباشا بالجزائر يحمل لقب باي، بمساعدة مجلس ديوان صغير، وعدد من الأعوان[4].

---

[1]- HAEDO (FD): Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p127.

[2]- HAEDO (FD),Ibid,p128.

أنظر كذلك: الميلـــي، مرجع سبق ذكره، ج3،ص ص 99-100.

[3]- جون وولف، مرجع سبق ذكره، ص 113.

[4] - محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص 30.

من أعمال خير الدين كذلك مشاركته في حصار مالطا مع العثمانيين والذي انطلقت التحضيرات له منذ سنة 1564م وانتهى بدون جدوى[1] .

بعد انتهاء عمليات الحصار الذي دام خمسة أشهر وانتهى سنة 1565م[2]، يذكر المؤرخ مولود قايد أن خير الدين وبعد عودته إلى الجزائر حاول من جديد تكرار تجربة تجنيد السكان المحليين، من خلال إدخال العرب والقبائليين والكراغلة الذين حاربوا إلى جانبه في مالطة إلى فرق الانكشارية، لكن هاته الأخيرة اشتكت من هذا التصرف[3]، فاستدعاه السلطان بعد سنتين إلى استانبول ليرقى، فغادر الجزائر في جانفي 1567م ليتسلم وزارة الحرب[4] (القائد العام للأسطول العثماني)، وحسب هايدوا فإن خير الدين توجه إلى إستنبول دون زوجته ابنة ملك كوكوالتي كان له منها ولد صغير جدا[5]، الأمر الذي دفع الكثير من المؤرخين إلى الاعتقاد بأن زواج حسن باشا كان سياسيا بالدرجة الأولى.

[1] المدني توفيق، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

[3]- Gaid , Mouloud, op.cit,p85.

[4]– يوسف بنوجيت، مرجع سبق ذكر،ص177.

[5]- HAEDO (FD), Histoire des rois d'Alger ,op.cit,p131.

➢ ثانيا/ شخصية الباي محمد الكبير:

1- التعريف بشخصية الباي محمد الكبير:

هو محمد بن عثمان الكردي،، ويسميه العرب في الناحية الغربية "محمد الاكحل" لأنه كان أسمر اللون[1]، كنيته أبو عثمان،أمه جارية اسمها زائدة، أهداها لأبيه ملاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى، أما أبوه فهو أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي، كان خليفة على مليانة، ثم ارتقى فأصبح بايا على التيطري وأحوازها. توفي أبوه بمدينة معسكر ودفن بها، بعدما بقي في الحكم تسعة أعوام، تاركا أمر عائلته لصديقه إبراهيم المليانى الذي تولى بايا على في المدينة مكانه. وتحت رعاية إبراهيم باي نشأ محمد نشأة صالحة وأقبل على العلم والفروسية. ولما توسم إبراهيم في محمد الكبير الصلاح صاهره بأن زوجه إبنته ، وأشركه في أعمال الإدارة وهكذا ظل محمد الكبير يرتقي في المناصب من قائد على فليتة بزمورة ناحية غيليزان(1765- 1769م)، إلى خليفة للباي إبراهيم في القطاع الشرقي وقاعدته مليانة[2](1769- 1779م)، وبعد وفاة الباي خليل تقلد منصب الباي بباياك الغرب سنة 1779م (1192هـ) بتعيين من الداي محمد عثمان باشا (1766-1791م) داي الجزائر وطلب ورغبة ملحة من الرعية لما توسموه في شخص الباي محمد الكبير من صفات الشجاعة والصدق والحزم[3].

وقد وصف الأسير تيدينا الذي كان خزندار الباي محمد الكبير وأعجب بشخصيته شديد الأعجاب، بقوله:" وكان شديد الإنسانية وذا سلوك طيب. بالإضافة إلى ذلك ثقافته الواسعة على خلاف الأتراك الأخرين. ويحب كثيرا الأجانب، وفي بعض الأحيان تمتلكه موجة من الغضب بسبب حيويته وانفعاله". كما وصفه المزاري بقوله " كان رجلا جسيما، لا بالطويل ولا بالقصير، محبا للعلماء

[1] - على خلاف هذا الوصف الذي نجده في معظم المصادر المحلية للباي محمد الكبير ، فإن الأسير تيدنا يصفه عند أول لقاء بينهما بأنه" ذو وجه جميل، ولحية سوداء تظهره شديد البياض". وحسب تيدينا دائما فإن الباي محمد الكبير يكون قد ولد خلال الفترة من 1734م إلى 1739م،حيث أنه قدر أن يكون قد مضى من عمر الباي سنة 1779م، مابين الأربعين أوالخامسة والأربعين سنة. للمزيد انظر: عميراوي حميدة، الجزائر ،الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر،مصدر سبق ذكره، ص 54.

[2] - نور الدين عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 115.

[3] أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص ص 15-16. وكذلك أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا،مرجع سبق ذكره، ص 140.

والصلحاء، قريب الغضب سريع الرضا، شديد الحزم والأوامر والإمضا، كثير الغزو على أهل الصحراء"[1].

2-سياسة الباي محمد الكبير في الحكم:

بمجرد جلوس محمد الكبير على كرسي الحكم وتعيينه بايا، شرع في إصلاح شؤون الرعية، والسهر على مصالح العباد وتنظيم البلاد، فسار السيرة الصالحة المحمودة، وكان من سياسيته التركيز على جانبين مهمين هما الأمن والإقتصاد. لذلك نجده يبادر بإخضاع القبائل المتمردة على الحكم العثماني سواء التي امتنعت عن تأدية الضرائب أو التي كانت تحترف اللصوصية وقطع الطريق على المسافرين، فأخضعها جميعا وملأ خزينة البايلك بالضرائب التي صارت تدفعها تلك القبائل، كما أدمج بعضها في "المخزن" فأصبحوا له منقادين. فساد الأمن واستتبت العافية وتآخت القبائل وارتفع الفساد.

كذلك من أهم حملات الباي محمد الكبير الداخلية، تلك التي قام بها سنة1785م (1199هـ)، نحو الجنوب والتي أدب من خلالها القبائل العاصية والمستقلة، انطلاقا من مقره في معسكر وصولا إلى مدينة الأغواط، التي دخلها بقوة هائلة، مرورا بالشلالة وعين ماضي[2]، فانقادت له جميع القبائل التي بضواحيها، بما فيها "ميزاب"[3]، حيث شكل التزام القبائل بدفع الضرائب المستحقة عليها لبيت المال تحت قوة السلاح ، موردا ضريبيا هاما للبايلك. وقد وثق أحمد بن هطال التلمساني كاتب الباي ومستشاره هذه الرحلة وأرخ لها في كتابه "رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" .

أما في المجال الاقتصادي فقد تميز الباي محمد الكبير بحسن إدارته وسياسته خلال الأزمات، وفي هذا الصدد أنشأ الباي محمد الكبير المطامير العامة في كل جهة لخزن القمح الاحتياطي كل سنة حتى يتقي أخطار الجذب والمجاعات، وكان إذا اشتد البلاء والغلاء بالناس يفتح أبواب قصره في وجه المحتاجين فيقدم لهم المأكل والملبس. وفتح للناس أعمالا عمرانية كثيرة خاصة في مجال البناء وشق الطرقات والقنوات، فوفر بذلك فرص العمل والكسب الحلال. كما وضع سياسة للقضاء على الإحتكار والغلاء، فكان يعين الخلائق بالسلف العام، والتصدق والإطعام، وأكبر من ذلك أنه كان

[1] – الأغا بن عودة المزاري، مصدر سبق ذكره، ص 290.

[2] – مسلم بن عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص 23.

[3] – أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص ص 17–18.

يسأل عن سعر السوق فيبيع زرعه بأبخس منه خوفا من زيادة السعر، فإذا إنخفض سعر السوق إلى سعره، نزل هو بسعره، وهكذا أوجب على نفسه البيع في كل بلد على هذا الوجه حتى إرتفع القحط فشملت بذلك صدقته الغني والفقير والقريب والبعيد[1]. وقد ذكر مسلم بن عبد القادر أنه وقع على عهد الباي محمد الكبير سنة 1780م قحط شديد صاحبه وباء الطاعون، حتى هلكت أمم كثيرة، وخرج الباي بأهله ومخزنه فارا منه نحو البادية لزمن طويل[2].

ويذكر صاحب "الثغر الجماني" أن الناس في دار السلطان كان ينتظرون بفارغ الصبر وقت قدوم الباي محمد الكبير عليهم لدفع الدنوش كل ثلاث سنوات، فكان مجموع ما يدفعه لبيت المال دون الهدايا والتبرعات، مائة ألف سلطاني ذهبا، ويوزع مثلها على الشعب، هذا زيادة على ما يدفعه من قطع الحيوانات والحبوب والأقوات، وعدد من العبيد والخيول المسومة التي يهديها إلى ذوي الوظائف السامية، كما كان يعطي مالا كثيرا لخدام المساجد[3]. أما سياسته الداخلية فكانت مزيجا من الشدة واللين، يخمد الثورات التي تقوم بها الجهات القاصية بعنف. ثم يبسط الرحمة والعدل. فلم تقع بعد ذلك ثورات ولا قلاقل في بلاده،. وكانت صلاته الودية متينة مع الباشا محمد عثمان وبقية البايات. كما كانت علاقته مع سلطان المغرب مولاي محمد بن عبد الله بن اسماعيل على أحسن ما يكون صفاء ومودة، وكانت الهدايا الثمينة دائمة التبادل بينهما[4]

3- أهم أعمال وإنجازات الباي محمد الكبير:

شهد عهد الباي محمد الكبير أعمالا وإنجازات تجاوزت أهميتها ونتائجها حدود بايلك الغرب الذي كان يحكمه لتشمل كامل الأيالة، ولعل أهم هذه الإنجازات على الإطلاق هي محاربة الإسبان المحتلين لوهران والتضييق عليهم إلى أن تم فتحها في 29 فبراير1792م. هذا فضلا عن أعمالا أخرى، نحاول في ما يلي تفصيلها.

[1] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص ص 135–136.

[2] – مسلم بن عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص 64.

[3] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص ص 124–130.

[4] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 142.

3-1 فتح وهران:

كان الإسبان قد استولوا على المرسى الكبير سنة 1505م، ثم وهران سنة 1509م، ومنذ ذلك الحين أصبح إسترداد هذا الثغر الإستراتيجي واجبا وشرف سعى لحيازته كل الحكام العثمانيين الذين تداولوا على السلطة سواء على المستوى المركزي أو المحلي.وقد مكث الإسبان في وهران مايزي عن القرنين أي حوالي مائتين وخمس سنوات، فأقاموا الحصون وثبتوا أقدامهم داخلها وأصبحت مركزا لهم ينطلقون منه للنهب والسلب[1] إلى أن تم الفتح الأول لوهران في 01/20/ 1708م[2] على يد كل من الباي مصطفى بن يوسف "بوالشلاغم" (1708-1732م) وصهر الداي محمد بكداش[3] ومساعده أوزن حسن. وقد نقل الباي بوشلاغم مقر البايلك من معسكر إلى وهران، غير أن حكمه لم يدم فيها طويلا إذ تمكن الإسبان من معاودة إحتلال المدينة بعد أربعا وعشرون سنة، أي سنة 1732م. وحسب أحمد الراشدي فإن سياسة الباي بوشلاغم كانت أحد أهم العوامل الداخلية المساعدة في سقوط المدينة للمرة الثانية بيد الإسبان، فقد مارس هذا الأخير في حكمه سياسة التعسف والاضطهاد والاغتيال، فضلا عن عدم الاهتمام بتحصين مدينة وهران مما سهل على الإسبان احتلالها[4].

بمجرد تسلم الباي محمد الكبير مقاليد حكم بايلك الغرب فكر في وجوب استعادة المدينة المسلوبة وقد وجد نفس الحماسة لدى الداي محمد بن عثمان[5] الذي أذن له في ذلك. وحسب الزياني

---

[1] -محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سبق ذكره، ص 204.

[2] -SANDOVAL(C.X.de-),Les inscriptions d'Oran et de Mar-Elkebir.in R.A,N°15,1871,p67.

[3] – محمد بكداش :هو محمد بن علي الشريف الحسيني النكداني أو "النكيد" نسبة إلى "نيكيدا" الواقعة بتركيا، يلقب ب " بكداش"، أي الحجر القاسي، كصفة لشدته وصلابته، وهو نسبة إلى شيخ الطريقة البكتاشية، عربي الأصل ينتمي إلى أسر ة من آل البيت ، قدم الجزائر سنة 1675م ضمن العسكر العثماني النظامي،فنزل بمدينة عنابة ولازم بهاالشيخ قاسم المعروف بساسي فانتفع بعلمه. تولى بعدها وظائف حكومية حتى وصل إلى منصب الداي سنة 1707م. للمزيد حول سيرة هذا الداي أنظر: محمد بن ميمون، مصدر سبق ذكره، ص 114 ومابعدها.

[4] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص ص 194.

[5] – الداي محمد بن عثمان : تولى الحكم سنة 1766م بعهد من الداي علي بوصبع، كان مؤثرا للإنصاف والعدل عارفا بقوانين الدولة، يعد من أبرز دايات الجزائر الذين شهد عصرهم حوادث كبرى خاصة ما تعلق بإخماد التمردات الداخلية ورد الحملات الخارجية ، كحملة الدانمارك (1767م) والحملات الإسبانية بداية من عام 1775م والتي انتهت بإجلائهم نهائيا من وهران وإن لم يكتب له أن يشهد ذلك النصر حيث أنه توفي سنة 1791م ، هذا فضلا عن مأثره الاجتماعية والعمرانية . للمزيد حول سيرة هذا الداي راجع :

أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 77 وما بعدها.

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 22 ومابعدها.

فإن الداي محمد عثمان هو من أمر الباي محمد الكبير بالتحرك لفتح وهران[1] ،فنادى الباي في الناس حي على الجهاد وباشر التحضيرات الحربية، خاصة ما تعلق بتعبئة الناس من جميع البلاد، وشراء الأسلحة والبارود، وتوطئة الأرض لجر المدافع عليها، كما أحدث طريقا نحو "جبل المائد" وهو جبل على مقربة من وهران، مرتفع يشرف على المدينة من موقع استراتيجي، ليكون المكان الذي يتمركز فيه جنوده[2].

كان من استعدادات الباي محمد الكبير لفتح وهران أن أحيا الرباطات الطلابية، وذلك عن طريق الإتفاق مع العلماء على جمع الطلبة والقراء بجبل المائدة ليثبطوا همة الإسبانيين[3] ويحولوا بينهم وبين المدد الخارجي، وقد ساعده ذلك على إستقطاب آلاف الطلبة كما كان يشرف مباشرة على سير الرباطات ويشجع الناس على الإنضمام إليها بإستخدام مختلف الوسائل مثل الإعفاء من الضريبة والسماح للمنخرطين بالحرث حتى ضواحي مدينة وهران إلى جانب أنه عمل على تخصيص كل الأسواق التجارية بمدينة تلمسان ليسهل على الطلبة شراء ماهم في حاجة إليه[4]، وذلك بهدف تسهيل وصول المدد والتموين الحربي من سلاح وعتاد إلى المرابطين في الثغور المتقدمة. كما أطلق سراح جميع المساجين ليكونوا عونا له على ماهو عازم عليه[5].

مرت عملية فتح وهران بعدة مراحل ابتداء من سنة 1780م، فقد غزا الباي محمد الكبير المدينة في نفس السنة ثم كرر المحاولة سنة 1784م دون أن يوفق في فتحها، وفي المقابل شن الإسبان حملات عسكرية على مدينة الجزائر لكنها لم تحقق أي نتائج مما دفعهم إلى توقيع إتفاقية سلام في 26أوت 1786م، نصت على إيقاف القرصنة وإمكانية دخول التجار الإسبان إلى الموانئ الجزائرية ودخول تجار الجزائر إلى بعض الموانئ الإسبانية التي تم تحديدها وإيفاد قنصل يمثل إسبانيا لدى الحكومة الجزائرية[6]. وقد ذهب المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي إلى أن هذه المعاهدة إشارة ضمن بنودها إلى جلاء الإسبان عن وهران والمرسى الكبير، لكن الإسبان تلكؤا وماطلوا للحصول على

[1] – محمد بن يوسف الزياني ، مصدر سبق ذكره، ص 74.

[2] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص 266.

[3] – أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 19.

[4] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص ت245..

[5] – أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 21.

[6] – يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780–1798)، د.م.ج، الجزائر،1993، ص 44

المزيد من الإمتيازات التجارية[1]. وهذه المرة ضرب الباي محمد الكبير حصارا خانقا على وهران ضيق فيه على الإسبان، وكان ينظم من حين لأخر هجمات متفرقة على مواقع الجنود الإسبان، بالإضافة إلى نصب الكمائن قرب أسوارهم وإرتداء ملابس مموهة تشبه بذلتهم العسكرية[2]. كما كان من محاسن عملية فتح وهران أن اختلط العرب بالعسكر العثماني الذي أرسله الباي محمد من مدينة معسكر، حتى قيل أنه كان عدد من اجتمع في مدة سبعة أيام أو خمسون ألف مقاتل. ثم قسم هذا الجيش على ثلاثة أقسام: فجعل القسم الوافر على يده وجعل جيش تلمسان وفليتة وجيش الأعراش المجاورة لهما على يد ولده عثمان وكما جعل جيش مازونة ومستغانم والقلعة وكافة الأعراش الشريفة على يد محمد بن إبراهيم، وفي أوائل رسنة 1790م بدأ الهجوم وصار قتال شديد في برج العين حصلت فيه النصرة للعرب بأخذه ولكن نزعه منهم الإسبان بسبب تفريطهم، فلما عاين الباي تلك الموانع ظهر له أن الصواب في الإنتقال والتأخر عن المدينة ليتأهب تأهبا أعظم مما كان عليه سابقا[3].

وفي أثناء إستعداد محمد الكبير للهجوم على مدينة وهران، إذا بزلزلة شديدة تحرك المدينة من أقصاها، فتهدم معظم بنيانها، ولقي عدد كبير من السكان حتفهم، وكان هذا الزلزال حافزا إستعجاليا للباي، فتحرك نحو وهران وبعد هجومات متوالية على أسوار المدينة، قرر الباي أن يبقي جيشه هناك محاصرا للبلاد، وقد إستطاع الطلبة المرابطون أن يضعوا حدا للغارات التي كان يشنها بعض المتعاونين مع الإسبان من قبيلة بني عامر[4]، ليدوم هذا الحصار حتى سنة 1791م ولم يرفع إلا بعد التوصل إلى إتفاق صلح بين داي الجزائر وسلطان الإسبان كان من أهم بنوده أن يتخلى الإسبان عن وهران والمرسى الكبير ليتم بذلك تحرير هذا الثغر الاستراتيجي، وهو الحدث الذي كان له صداه في المغارب والمشارق، وبعد إنتهاء مدة الجلاء دخل العثمانيين إلى المدينة في يوم الرابع من شهر

[1] - عبد الرحمان الجيلالي ،مرجع سبق ذكره، ص 270.

[2] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص 198.

[3] – جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص ص 223–224.

[4] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص 243.

قبيلة بني عامر: نسبة إلى جدهم الأول عامر بن صعصعة، هم قبيلة من قبائل العرب، قدموا إلى الشمال الإفريقي ضمن الزحف الهلالي سنة 442هـ(1050م)،على عهد الفاطميين. إستقروا في ضواحي مستغانم (تمزغران ثم سيرات) وكان لهم نفوذ.للمزيد أنظر عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم،الجزائر، ش و ن ت، الجزائر، 1984، ص 8 وما بعدها.

رجب 1206هـ(1792/02/29م)، يتقدم الباي العلماء الذين كانوا يحملون في أيديهم صحيح البخاري[1]، وقد نقل الباي محمد الكبير مقر حكمه لمدينة وهران واتخذها عاصمة لبايلك الغرب.

3-2 المجال الاجتماعي: إذا كان تحرير وهران يأتي في القمة والمقدمة كأهم إنجاز قدمه الباي محمد الكبير للجزائر ، فإن هذا النجاح ماكان ليتأتى لولا العديد من النجاحات الأخرى التي أحرزها هذا الحاكم في مختلف المجالات والتي إجتمعت لتحقيق الهدف الأسمى. من هذه المأثر نذكر ما إشتهر به الباي محمد الكبير من الإعتناء بالفقراء والمساكين وسائر المحتاجين خاصة أيام المجاعة التي إجتاحت البلاد، فكان يخزن الحبوب ويوزعها على المحتاجين، كما كان يداوي المرضى بنفسه والفقراء بنفسه، ويوزع الأموال عليهم وعلى الطلبة في كل مناسبة عيد، وكان يبعث في كل سنة بهدايا ثمينة إلى الحرمين الشريفين[2].

3-3 المجال الثقافي والديني:

كان الداي محمد الكبير حريصا على إحياء ما إ ندرس من علوم في البلاد، فكان يجزل العطاء للعلماء والأدباء، وكانت له مكتبته الخاصة التي يعتكف فيها على المطالعة مما أكسبه ثقافة واسعة خاصة في مجال الطب الذي كان مغرما بدراسته، فكان يجهز بنفسه الأدوية المختلفة ويوزعها على الناس ويتفاخر بذلك فيقول " أنا طبيب الفقراء" [3] .

ولعل فكرة إحياء الرباطات الطلابية في حد ذاتها تشهد بمدى حنكة هذا الرجل، فقد أدت هذه الرباطات دورا جد الهام في العمليات الجهادية ضد الإسبان من خلال تعبئة الناس ونشر ثقافة الجهاد والتضحية، وقبل هذا ساهمت في إحياء وتشجيع الإقبال على طلب العلم، خاصة وأن الباي محمد الكبير كان يشرف بنفسه على سير هذه الرباطات. ويحث على الإنضمام إليها بشتى الوسائل كتشجيع الطلبة ماديا ومعنويا[4].

[1] - أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص 456

[2] – أحمد بن هطال التلمساني ، مصدر سبق ذكره، ص24.

[3] – أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، مرجع سبق ذكره، ص 142. للمزيد حول إنجازات ومساهمات الباي محمد الكبيرأ نظر الفصل الأول ص 110.

[4] – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص ص 244-246.

3-4 إنجازاته في مجال العمران:

إشتهر الباي محمد الكبير بالكثير من الأعمال في مجال التشييد والبناء سواء في مدينة معسكر عاصمة البايلك أو غيرها من الحواضر كتلمسان وحتى مدينة الجزائر. ففي معسكر قام محمد الكبير بتهديم المسجد العتيق وإعادة بناءه، وكذلك جامع السوق، وجلب الماء في القنوات إلى المدينة وأجراه في ميضات المساجد، وبعد ذلك بدأ في بناء المسجد الأعظم الذي شيده باسمه وانفق عليه من ماله الخاص واوقف عليه أوقافا واسعة، كما بنى القناطر والجسور وعبد الطرقات وحصن أسوار معسكر، وأنشا السوق العتيق ومقبرة لمشاهير شخصيات معسكر. وفي تلمسان جدد بناء مدرستين وأعاد لهما أوقافهما القديمة، كما رمم المباني العمومية، أما في مدينة الجزائر فقد بنى دارا جميلة وأثثها ثم سلمها لوكلائه هناك، وفي مستغانم بنى قصرا جميلا . أما في وهران فقد بنى في أوائل السنة التي فتحها فيه مسجدا بالموضع الذي وقف فيه حصانه .[1]

والحقيقة أننا لوحاولنا تتبع منجزات ومأثر الداي محمد لكبير ما وسعنا إحصائها واستقصائها، وما ذكرغيض من فيض، فسيرة الباي محمد الكبير مازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسات المتخصصة. وبالنسبة لموضوعنا فإن أهم ما قدمه هذا القائد الكرغلي هو أنه شغل مختلف مكونات وفئات مجتمع الجزائر العثمانية الناس بالجهاد ودفع العدو الخارجي، فجند العثمانيين والجزائريين جنبا إلى جنب، مما ساهم بلا شك في تقليل الاستقطاب العرقي وبلورة نوع من الشعور الوطني .

[1] - أحمد بن هطال التلمساني ، مصدر سبق ذكره، ص ص 26-28.

➢ ثالثا/ شخصية الحاج أحمد باي:

1- التعريف بشخصية الحاج أحمد باي :

حسب العربي الزبيري فإن الحاج أحمد باي ولد سنة 1786م[1]، في حين رجح أرجمند كوران أن تكون سنة 1780م هي سنة ميلاده[2]. كان الحاج أحمد يسمى باسم أمه فيقال الحاج أحمد بن الحاجة شريفة وهي من أسرة بن قانة المعروفة في الصحراء، أبوه هو محمد الشريف خليفة حسن باي الذي تولى الحكم بعد صالح باي المتوفى سنة 1792[3].

كان جد أحمد باي بايا تركيا على قسنطينة خلال الفترة الممتدة من 1756م إلى 1771م، واسمه أحمد الكولي[4]أو القلي، كما شغل أبوه الشريف محمد منصب الخليفة. وقد كان الحاج أحمد باي يلقب بالباي قبل أن يصبح بايا[5] وبدأ يبرز كرجل لامع وكفء منذ سنة 1809م عندما وصل إلى رتبة قائد العواسي[6]، ثم تعيينه عام 1818م خليفة للباي، حيث أثبت جدارته في وظيفته الجديدة، الأمر الذي دفع الداي حسين إلى توليته بايلك قسنطينة وذلك سنة1826م[7].

وعن سبب تولية الكرغلي الحاج أحمد بايا على قسنطينة، يشير نقيب أشراف الجزائر الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته إلى أنه كان كل من" تولى بايا يجمع مالا ويخفيه لعواقبه ولذريته، وإذا قرب وقت الدنوش يأخذون أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب، وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد إلا نقصا وضعفا، وهكذا إذا اضطروا أي الحكام الأتراك إلى تولية الكرغلي أحمد باي على قسنطينة"[8].

---

[1]- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1973، ص6.

[2] - أرجمند كوران، مرجع سبق ذكره، ص80.

[3] - العربي الزبيري، مذكرات ،مصدر سبق ذكره، ص 6.

[4] - أرجمند كوران، المرجع نفسه، ص 80.

[5] - جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع في بايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 261.

[6] العواسي: لقب يطلق على القبائل التي كانت تقطن منطقة عين البيضاء وأحوازها (تقع حاليا في ولاية أم البواقي).

[7]- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة1826-1850، د.م.ج، الجزائر، 2009، ص ص 19-20.

[8] - أحمد الشريف الزهار، مصدر سبق ذكره، ص 160.

أما صالح بن العنتري فأشار إلى أن الحاج أحمد تولى منصب باي قسنطينة سنة 1241هـ(1826م) بقوله: " ولما توقع الفساد في الوطن وانحلت الأحكام في زمان منماني باي[1] واشتهرا ظلم الأتراك، كان حسن باشا في هذا الوقت خمم في عقله وظهر له في تدبيره أنه رجع حاج أحمد باي في قسنطينة، ومن بعد ترجيعه عين له باشا أغا المتولي أمور العرب بالجزائر، وخرجوا معا يجوسون الوطن وينظرون في شأنه..." إلى أن يقول: " ومن بعد ذلك تبقى حاج أحمد باي في البلاد في هذا الوقت أحكامه بالعدل والسداد وعلى نمط الشريعة والرشاد، وقد زال الظلم والجور"[2] .

وحسب بونا فونت فإن الأتراك في بايلك قسنطينة كانوا يتخوفون من العواقب التي قد تنجم عن ظهور هذا الكرغلي، لكن لم يجترئوا في طلب الإذن للتخلص منه من داي الجزائر، وقد علمت والدته التي كانت متعلقة به جدا بالأمر واستطاعت حمايته [3].

2- ملامح من سياسة الحاج أحمد باي :

ورث الحاج أحمد باي لدى تسلمه حكم بايلك الشرق أوضاعا صعبة وواقعا مزريا سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. من ذلك نفوذ العائلات الكبرى الذي أثر على حكم الأتراك الذين سبقوا الحاج أحمد باي، ولذلك كان لزاما عليه أن يسلك سياسة تختلف عن سياسة أسلافه تجاه تلك العائلات.

كانت العائلات الكبرى في بايلك الشرق وبحكم عراقتها ونبل أصالتها تتقاسم قيادة البايلك تقريبا، حيث تشرف على تسيير شؤون الغالبية الساحقة لقبائل الشرق. وصالح باي[4] مثلا رغم نفوذه

[1] – محمد باي مناماني: تولى باي على قسنطينة خلال الفترة من ديسمبر1824 إلى جويلية 1826م، وقد تولى عديد الوظائف من قبل، كان عجوزا هرما، وفي أيامه سادة الفوضى وعمت الاضطرابات ونعدم الأمن وعجز عن توفير الدنوش المطلوب منه، حصل بينه وبين خليفته خلاف فاستدعي إلى العاصمة وحمل معه أموالا زهيدة والتزم بدفع الباقي حال عودته، وخلال رجوعه إلى قسنطينة أرسل الداي حسين شواشا اعتقلوه في حمزة(برج البويرة)، واقتاده إلى القليعة في أحواز العاصمة بمتيجة، ووضع في الإقامة الجبرية حتى احتل الفرنسيون الجزائر العاصمة، عاش بعد ذلك سنوات أخرى. للمزيد أنظر محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، مصدر سبق ذكره، ص89.

[2] – محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص ص 90-91.

[3]–Bonnafont ,Jean-Pierre, Réflexions sur l'Algérie, particulièrement de la province de Constantine, Paris, Ledoyen,1846,p56.

[4] – صالح باي: تولى بايا على قسنطينة قرابة ربع قرن بداية من سنة 1771م إلى غاية صيف 1792. يعد من أحسن أحسن الولاة الذين تعاقبوا على الحكم في مقاطعة قسنطينة طوال العهد التركي، أنجز أعمالا كثيرة عسكرية واقتصادية وعمرانية وثقافية وإجتماعية، كان لها آثار بارزة في حياة السكان. وقد كان لجهوده العسكرية مردود جيد من خلال استتباب الأمن والهدوء في البايلك. تغيرت سيرته في أخر أيامه فكثر ظلمه وأرهق الناس بالضرائب فشكوه إلى الداي حسن باشا بالعاصمة الذي قام بعزله في شهر أوت سنة 1792.=

القوي لم يتمكن من البقاء في الحكم لمدة طويلة إلا عن طريق التعامل مع هاته الأسر، ذلك أن سلطة الأتراك ببايلك الشرق كثيرا ما كانت تبوء بالفشل في ممارساتها السياسية بسبب نفوذ تلك الأسر على القبائل [1].

لذلك كان من سياسة أحمد باي توطيد العلاقة مع هاته الأسر عن طريق المصاهرة. ولهذا الغرض فقد كون الحاج أحمد باي لنفسه شبكة من المصاهرات ربطته بمختلف الأسر المتنفذة بالبايلك وخارج البايلك، منها أسرة إبن أبي الضياف وأسرة بن قانة، كما تزوج من إبنة بومزراق باي التيطري والذي بقي مواليا له بعد احتلال الجزائر، وصاهر أسرة المقراني والحنانشة، الأمر الذي مكنه من توحيد القبائل الكبيرة والقوية في الجهة الشرقية، كما شهدت قسنطينة استقرار كبيرا في عهده ،كما صاهر الحاج أحمد باي الكراغلة وذلك من خلال زواجه من أخت صديقه حمدان بن عثمان خوجة " خدوجة بنت عصمان خوجة" سنة 1812م. في حين لا يوجد ما يثبت مصاهرته للانكشارية أو العناصر التركية بصفة عامة[2].

يمكن كذلك أن نستنتج بعض معالم سياسة الحاج أحمد في الحكم من خلال ما ورد في مذكراته، من ذلك مثلا أنه كان يعمد إلى التحريض بين القبائل لأنه يرى أن الحرب هي عادة العرب، وعلى الذي يريد حكمهم أن يبقيها بينهم، أما أوضاع السلم فإنها تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد. وهذه الحالة لا ينبغي أن يطمئن إليها من كان يريد السيطرة عليهم إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال الإخوة ويجدون أنفسهم منظمين للقيام بالثورة، وعلى العكس، فإذا وجدت الحرب أو العداوات فإن من يريد حكمهم يكون دائما متأكد من وجود الأنصار[3].

= للمزيد راجع: أوجين فايست، مصدر سبق ذكره ، ص23 و ما بعدها.

محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة، ص ص 62-65.

[1] – صالح فركوس، الحاج أحمد باي ، مرجع سبق ذكره، ص 47 .

[2] – معاشي جميلة، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 261.

[3] – محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، مصدر سبق ذكره، ص ص 40-41 .

3-علاقة الحاج أحمد باي بالانكشارية :

تقدم معنا أن الانكشارية كانوا يمنعون العناصر المحلية وخاصة الكراغلة منهم، من تولي أعلى المسؤوليات في السلطة مخافة أن ينقلبوا عليهم ويستأثروا بها، ولذلك كان الانكشارية يتخوفون الحاج أحمد باي بالذات لآنه كرغلي ولما عرف عنه من صفات قوية قبل وبعد توليه مسؤولية بايلك قسنطينة، وقد دفعهم هذا التخوف إلى محاولة التخلص من الحاج أحمد باي فتحينوا فرصة وجوده بمدينة الجزائر لأداء الدنوش سنة 1830م والتي صادفت الحملة الفرنسية وأعلنوا عصيانهم وتمردهم، هذا العصيان الذي سيكون الأخير والذي سينهي وجود الأتراك ببايلك الشرق بصفة خاصة .

لقد تحدث الحاج أحمد باي في مذكراته عن تفاصيل هذا التمرد وردت فعله القاسية عليه فقال: " في أثناء غيابي عن قسنطينة دبرت مؤامرة ضدي، لقد تركت في المدينة حامية الشتاء وهي مكونة من الأتراك واليولداش، فأراد هؤلاء الأجناد أن يقلدوا ما كان قد جرى في مدينة الجزائر، وأعلنوا أنهم لم يعودوا يعترفون بي كباي وعينوا مكاني القائد سليمان...، وعندما علم هؤلاء الناس بمقدمي، أرادوا أن يثيروا علي القبائل المقيمة في نواحي سطيف ولكنني هزمت من خرج إلي وقصدت قسنطينة التي غادرها المتآمرون ليعترضوا سبيلي، وبمجرد ما خرجوا من المدينة اجتمع الطلبة والسكان بسرعة ... وألقوا القبض على سليمان وقتلوه أمام باب المدينة. وهكذا لم ألاق أي عناء لاسترجاع سلطاني، ولكنني أردت أن أضرب مثلا، فوضعت يدي على المجرمين، ووفقا للقانون حكمت عليهم بالإعدام ونفذت الحكم فيهم. وبعد ذلك قررت أن أضع حدا للمناورات المستمرة التي يقوم بها الأتراك واليولداش، وخشي الكثير منهم نقمتي العادلة فالتجأوا إلى العرب. فكتبت إلى كل الجهات أقول" تحللوا من هؤلاء الأجانب الذين لا يحملون إليكم سوى البلبلة ويمنعون الحاكم من أن يحقق الخير الذي يريده لكم" ووجدت هذه الكلمات آذانا صاغية فدفع كثير من اليولداش ثمن الطغيان الذي فرضوه على البلاد زمنا طويلا "[1].

ويبدو أن الحاج أحمد باي وبرغم هذه الحادثة لم يكن ينوي التخلص من أفراد الانكشارية خاصة في ظروف الحرب التي فرضتها فرنسا على الجزائر، بل عمل على جمع ما تبقى منهم ، بعد احتلال مدينة الجزائر لإعداد مقاومة قوية بشرق البلاد ومقاومة أي هجوم محتمل على قسنطينة[2].

[1] – محمد العربي الزبيري، نفسه، ص ص 17–19.

[2] – جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص 341

وحسب ما جاء في مذكرات أحمد بوضربة حول حياة الحاج أحمد باي ، فإن قوات هذا الأخير بلغت 2000 رجل قبل سقوط مدينة الجزائر، كما ذكر أنه أصدر بيانا يعد فيه جميع الأتراك الذين يتبعونه، بأنه سيحسن معاملتهم ويضمن لهم أجرا قدره 5ريالات شهريا، فجمع بهذه الصفة أكثر من 2000 تركي تحت رايته[1].

غير أن القوات العثمانية التي انضمت للحاج أحمد باي في مدينة الجزائر سرعان ما استجابت لدعوات وإغراءات زملائهم الثوار في قسنطينة، فالتحقوا بهم وتخلوا جميعهم تقريبا عن الحاج أحمد، الذي أصبح في موقف حرج، فأرسل إلى السكان يطلب منهم أن يوضحوا موقفهم ويقول أنه لم يعتمد على غيرهم أبد وإذا كانوا لا يريدونه، فإنه سينسحب بثرواته إلى الصحراء عند أخواله. وفي اليوم التالي خرج أعيان قسنطينة على رأس الجماهير، وبالاتفاق مع العلماء، فبايعوا الحاج أحمد دايا وأوفدوا له جماعة تخبره بذلك، وقالوا له بأنهم إذا تأخروا في اتخاذ القرار، فلأنه اصطحب معه الأتراك، أما وقد تخلى عنه هؤلاء الأتراك وخانوه ووضع نفسه تحت حماية أهالي قسنطينة، فإنهم يساندونه، وبالفعل فقد خرج شعب قسنطينة على بكرة أبيه، في نفس اليوم، فهزم المتمردين وقضى على عدد كبير من الأتراك الذين لم ينجح منهم سوى من لاذ بالفرار[2]، ودخل الحاج أحمد منتصرا إلى قسنطينة، غنيا بغنائم المغلوبين وقرر في ذلك اليوم إضافة لقب الباشا إلى اسمه ليزيده مفخرة، ورسم هذا اللقب في ختمه بدل لقب الباي الذي كان يحمله سابقا...وأقر الباب العالي فيما بعد هذا اللقب الجديد بفرمان. وكانت البقية الباقية من الحرس التركي الذي منحه الأمان، وإن كان عددهم قليلا جدا، قلقة منه كل القلق، وللتخلص منهم صادر أموالهم وأرسلهم في شكل فرق صغيرة إلى القبائل التي قتلتهم. وبعد حين لم يسمع عنهم شيء[3].

تؤكد المصادر الفرنسية أن الحاج أحمد قام بقتل ما يزيد عن 2000 تركي، على رأسهم الباش أغا وعوضهم بعناصر محلية جعل على رأسها القائد البربري أحمد بن عيسى الذي كان يثق في

[1]– محمد العربي الزبيري ، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص 119.

[2] – محمد العربي الزبيري ، نفسه، ص ص 120–121.

[3]– أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة ، مصدر سبق ذكره، ص ص 252–253

إخلاصه، فولاه زيادة على قيادة الجيش، منصب الخليفة ومنصب الخزناجي المكلف بضرب السكة[1]، وقد صرح هذا الأخير أنه قتل حوالي 2000 تركي.[2]

من جهته ينقل مارسيل إيمري في مذكرات الحاج أحمد أن المتمردين عينوا بايا جديدا مكانه يدعى بن شاكر، وأنهم عندما تأكدوا من عدم تأييد السكان لهم أعلنوا توبتهم وولائهم للحاج أحمد وقاموا بقتل زعيمهم، ويبدوا أن الحاج أحمد تظاهر بالعفو عنهم ولكنه تخلص منهم جميعا فيما بعد، وقد جعلته هذه الحادثة يحمل حقدا شديدا للأتراك فأصبح لا يثق فيهم واتجه للاعتماد على الجيش العربي الذي بدأ في تكوينه[3].

وقد صور الأسير فندلين شلوصر المشهد المروع الذي باتت عليه قسنطينة بعد تصفية هذا العدد الكبير من الانكشارية، بقوله أنه شاهد في الطريق إلى المعسكر بغالا كثيرة لم يكن على ظهرها سوى 254 رأس أرسلت إلى قسنطينة ليشاهدها الناس، بالإضافة إلى عدد من الجثث كان عليهم أن يمروا فوقها وكان بعضها لم يتعفن بعد، أما بعضها الأخر فافترسته بنات آوى[4].

إن تصرف الحاج أحمد باي العنيف والذي استهجنه حتى بعض شيوخ القبائل، يثبت صدق حدس الأتراك تجاه الكراغلة، فلم تتعرض سيطرة الأتراك للخطر إلا بعد أن جردهم الحاج أحمد باي سنة 1826م من امتيازاتهم وطرد الكثير منهم من البايلك.[5]

غير أننا إذا علمنا أن الحاج أحمد بعد أن فرغ من العثمانيين المناوئين، اتجه مباشرة للتخلص من الأخوين ابن كشكال، وكانا قائدي الكراغلة في قسنطينة وهما من حملا إليه رأس ابن شاكر قائد المتمردين[6]، وذلك لمجرد شكه وتخوفه منهما ولم يغفر لهما كونهما من الكراغلة، ضف إلى هذا الظروف التي حدث فيها هذا التمرد والمتمثلة في وجود عدو أجنبي يغزو البلاد، كل هذه المعطيات

---

[1]– جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة، مرجع سبق ذكره، ص ص 342–343.

[2]– فلة القشاعي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني1792–1837، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1983م ،ص 241.

[3]–Emerit , Marcel, Les mémoires d'Ahmed dernier Bey de Constantine ,in R.A,N°93,1949,p75.

[4]– فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832–1837، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص28.

[5]– فلة القشاعي، الريف القسنطيني، مرجع سبق ذكره، ص 241.

[6] – محمد العربي الزبيري ، مذكرات ، مصدر سبق ذكره، ص 122.

تضعنا أمام احتمال أن يكون دافع الحاج أحمد من وراء تصفية الانكشارية ليس فقط الحقد الذي يحمله الكراغلة للعثمانيين على خلفية تهميشهم واحتقارهم، وإنما أن تكون أوضاع البلاد الخطيرة والتي لأتسمح بوجود أي انشقاق في الجبهة الداخلية في ظل ظروف المواجهة مع الغزاة الفرنسيين، ضف إلى ذلك طبيعة شخصية الحاج أحمد الميالة للتخلص من جميع المخالفين. كل هاته المعطيات قد تكون شكلت مبررات لباي الشرق للإقدام على تصفية جميع الخصوم في ظروف لم تعد تتسع للتمرد أو المخالفة .

4-علاقة الحاج أحمد باي بالأمير عبد القادر:

الفكرة التي أصبوا لمعالجتها فيما يلي تبحث في سؤال العلاقة المتوترة بين زعيمي المقاومة الجزائرية، والذي هو جزء لا يتجزأ من السؤال الكبير حول طبيعة العلاقة بين السلطة العثمانية والمجتمع باعتبار الحاج أحمد باي أحد بقايا تلك السلطة المتهالكة في مقابل السلطة المحلية الجديدة ممثلة في الأمير عبد القادر. فهل كانت تلك العلاقة المتوترة نتيجة حتمية لنظام العلاقات الاجتماعية التي كرسها الحكم العثماني والتي جعلت الكراغلة يكونون طائفة متميزة ومنعزلة ذات مصالح تتقاطع مع مصالح الأتراك أكثر مما تلتقي مع تطلعات السكان المحليين ؟ أم أن تلك العلاقة كانت نتاج معطيات أخرى؟

إن فهم خلفيات وأسباب العداء والقطيعة بين الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر من شأنه أن يميط اللثام عن جوانب متعددة من التناقضات التي بات يعيشها المجتمع الجزائري في تلك الفترة، والتي كانت نتيجة طبيعية لممارسات الحكام العثمانيين طيلة وجودهم بالجزائر.

من أوجه هذه التناقضات وجود عدة فئات اجتماعية مقسمة ومرتبة حسب أوضاعها الإقتصادية والاجتماعية ومتفاوتة في الحقوق والواجبات، حيث كان الصنف الأول مستغلا من طرف النظام وحلفائه. والصنف الثاني مستقلا وثائرا يعيش معزولا سواء في الجنوب أو في الشمال على السهول أو على الجبال. والصنف الثالث متحالف مع النظام العثماني وعلى رأسه القبائل المخزنية[1]، مما خلق نوع من التفاوت والإنقسام الاجتماعي وإن لم يبلغ درجة الصراع الطبقي، لكنه في المقابل خلق حالة من استحالة التوحد ولو في ظل وجود عدو مشترك، إذ أن الأمر يحتاج إلى وقت طويل كي تذوب الفجوات والعوازل وتتبلور روح وطنية جامعة .

[1] – عميراوي أحميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،2002، ص 42.

والحقيقة أن التركيبة الاجتماعية بقدر ما كانت عاملا رئيسا في تضخيم الخلاف بين القائدين أحمد باي والأمير عبد القادر، فإنها سببت كذلك متاعب لكليهما. فقد عانى باي قسنطينة الحاج أحمد من الأتراك والعرب في الوقت نفسه[1]، كما عانى الأمير عبد القادر من الكراغلة وقبائل المخزن والحضر.

في هذا السياق يرى المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن الوضع الاجتماعي الذي فرق بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي يعود في أساسه إلى واقع العلاقة بين المدينة والريف، فالمدن الجزائرية حيث تتركز الأقلية التركية وتتواجد العناصر الكرغلية، وتعيش جماعات الحضر وطوائف اليهود كانت من حيث نشاطها الاقتصادي وقدرتها الحربية وثقلها الديمغرافي تعتبر هامشية بالنسبة للمجتمع الجزائري آنذاك، إذ كانت غالبية السكان تتألف من سكان الريف بنسبة لاتقل عن 95 %، وهذا ما جعل الريف الجزائري ينطوي على قدرات عسكرية فعالة وإمكانيات اقتصادية كبيرة واحتياطي بشري متزايد، عكس المدن التي بقيت منعزلة داخل أسوارها تتخوف من الأرياف المحيطة بها، ولعل هذا ما يفسر من جهة أخرى اختلاف مقاومة كلا الزعيمين، فأحمد باي باعتباره من سكان المدن يقدم لنا نموذجا لمقاومة المدينة، هذه المقاومة التي لم تجد صدى بالأرياف المجاورة إذ أن سقوط قسنطينة في يد الفرنسيين (1837) لم يحدث رد فعل بالأقاليم المحيطة بها، في حين نجد أن مقاومة الأمير عبد القادر هي في أساسها انتفاضة الريف الجزائري بما يزخر به من إمكانيات اقتصادية وقدرات عسكرية هائلة، وهذا هو السر في استمرار مقاومة الأمير مدة طويلة ناهزت سبع عشر سنة، بخلاف كفاح أحمد باي الذي ما لبث أن تراجع وانحصر بالزيبان والأوراس إثر سقوط قسنطينة.

كما يمكن أن نفهم موقف الكراغلة عموما من مقاومة الأمير عبد القادر إذا علمنا أن هذا الأخير قد أبطل في دولته جميع الامتيازات الي كانت تحظى بها قبائل المخزن وجماعة الكراغلة والعثمانيين، من معاملة مفضلة على حساب عامة سكان المدن ومجموعة قبائل الرعية بالأرياف، الأمر الذي دفع قبائل المخزن والكراغلة في إقليم وهران إلى الوقوف في وجه مقاومة الأمير عبد القادر و التعاون مع الفرنسيين[2].

[1] – محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 214.

[2] -ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،ج2، مرجع سبق ذكره، ص ص 207– 209

هذا وقد كان للعامل النفسي دور كبير في نزاع الرجلين، فالأمير عبد القادر كان لا يحب الأتراك بعد أن اتسع استغلالهم لطبقات الشعب الجزائري[1]، كما أنه لم يعد يطمئن لجانب الكراغلة بعد موقفهم من المقاومة. وقد عبر الأمير عبد القادر عن استيائه وتذمره من تصرفات الكراغلة هذه، في إحدى رسائله للسلطان العثماني عبد المجيد ، والتي اتهمهم فيها بالتعاون مع الكفار الفرنسيين كما وصفهم بقوله :- " ما من مدينة من مدن الإسلام دخلها الكفار إلا كان الينشارية هم دعاتهم إليها ومن سببها...فذهبوا إلى تلمسان باتفاق الينشاري الذي بها... وترك الكافر بها بعض عسكره مع الينشاري الذي بتلمسان" [2].

في المقابل كان الحاج أحمد باي ومعه معظم الكراغلة متأثرين العثمانيين التي ترى أن الأمير عبد القادر ليس من جنس يستطيع أن يقدم أمراء ليقودوا، كما عبر عن ذلك أعيان الكراغلة في تلمسان من خلال رسالة إلى ملك فرنسا مؤرخة في 1837/06/26، طلبوا فيها العون من هذا الأخير، وفي المقابل اشتكوا من الأمير عبد القادر ووصفوه ب "سلطان البدو"[3].

أما الحاج أحمد باي فوصف الأمير في في إحدى رسائله الأمير عبد القادر بعبارات قاسية قال فيها: " إن هناك منافق يعرف بعبد القادر بن محي الدين ويدعي الشرف ظهر في المغرب". و قد شاركه في موقفه هذا معظم أعيان الحضر وزعماء الكراغلة كإبراهيم باي ومصطفى باي والقائد بيروم وكذلك حمدان خوجة صاحب المرآة الذي أظهر تعاطفه مع أحمد باي في السنوات الأولى للاحتلال ووصف الأمير في إحدى رسائله بهذه العبارة الجارحة:" ومن جملة ما فعل هذا المرتد أنه تحيل على أن يظهر واحد من العرب يحببه الفرنسيين لعل أن يسلموا له البلاد"[4].

إن هذا الوصف ينبئ عن الخلفية التي كان ينظر بها الكراغلة لأي قائد من الجزائريين، ذلك أنهم لم يتصوروا أو يستوعبوا أن يكون في الجزائر حاكم أو سلطان من غير العثمانيين أو أبنائهم الكراغلة ومواليهم، رغم التغييرات الكبيرة التي حصلت بوجود عدو جديد هو الاستعمار الفرنسي الذي يفترض

[1]- صالح فركوس، الحاج أحمد باي، مرجع سبق ذكره، ص 63.

[2] -- أحمد توفيق المدني،: أبطال المقاومة الجزائرية حمدان خوجة، أحمد باي، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية،عدد4، سنة1977، ص 192.

[3] -- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، ج2، مرجع سبق ذكره، ص ص 208-209

أن يكون عامل توحيد لكل فئات المجتمع الجزائري، وهذا ما يفسر من جهة أخرى تفضيل بقايا العثمانيين في الجزائر المقاومة تحت راية مستقلة بهم حمل لوائها الحاج أحمد باي .

وقد أدرك الأمير عبد القادر وفهم هذه الخلفية والنفسية المتعالية التي منعت الكراغلة من الانضمام لمقاومته، فقد أورد ابنه محمد في تحفة الزائر نصا لإحدى خطبه تضمنت هذا المعنى حيث قال " طالما عاملت اعوجاج قبائل وادي الزيتون بالاستقامة، عاملتهم على ما فيه من الإساءة بالمعاملة الحسنة، فلم يزدهم ذلك إلا اعتداء واستكبار مع علمهم أنا قد بذلنا نفيس الأنفس والمال للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، واخترنا ركوب الأخطار للذب عن الدين والوطن ودافعنا الأعداء بالمال والبدن، وقد خالفوا فحالفوا أعداءنا في الدين..."[1]

وبطبيعة الحال أمام هذه التراكمات النفسية يستحيل أي تفاهم بين الطرفين، كما جسده الموقف بين القائدين الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر، فانعكس سلبا على مقاومتهما وشكل الحلقة الأضعف فيها.

في تحليله لطبيعة هذه العلاقات المتناقضة والمتضادة بل والمتضاربة بين مختلف فئات المجتمع الجزائري، ينفي المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن يكون موقف الأمير صادر عن عداء شخصي، أو أن يكون موقف الكراغلة والأتراك والمخزن يعود إلى انتماء عنصري أو طائفي وإنما لوضع اجتماعي مميز هو بالأساس نتيجة للعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في أواخر العهد العثماني في الجزائر، سواء في المدن أو الأرياف، والتي أدت إلى استحالة انصهار واندماج العناصر السكانية، وبذلك استحالة أية مصالحة وطنية واستبعد أي تحالف بين الفئات التي كانت تحظى بالامتيازات وتتولى السلطة الفعلية كالأتراك والكراغلة وبين الفئات الخاضعة كقبائل الرعية وبعض شيوخ الزوايا بالأرياف وجماعات البرانية وغالبة طبقة الحضر بالمدن[2]

لقد كان الحاج أحمد باي يمثل بحق نموذج للكرغلي الذي يحمل دماء عثمانية وجزائرية، فهو لم يشبه حكام وبايات العثمانيين الأخرين الذين فضلوا مغادرة الجزائر محملين بالثروة والممتلكات، فيما فضل هو البقاء في قسنطينة ليدافع عن عائلته وشعبه وممتلكاته...، ولقد ثقل عليه وهو ينتمي إلى العثمانيين في الجزائر أن يرى إخوانه من الدايات والبايات و الباشغات يتسابقون إلى الاستسلام، لكنه في نفس الوقت رفض التعاون مع الأمير عبد القادر لكون هذا الأخير كان من أصل عربي وليس

[1] - محمد بن عبد القادر الجزائري،مصدر سبق ذكره، ج1،ص 192.

[2] -ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 246-348.

تركيا [1]كما تقدم بيانه. وحتى إن كان يؤمن بالتبعية الروحية للباب العالي، إلا أنه لم يفكر في إعلان الاستقلال عنه.

كما كان لتعقيدات التراتب الاجتماعي في الوسط المديني والتي هي أساسا تعقيدات ذات أبعاد إثنية أولا وسلطوية ثانيا الدور الرئيس في بلورة المواقف المختلفة من الاستعمار الفرنسي، بحيث تحددت هذه المواقف على أساس خصوصيات هذا التراتب ودون أن تكون لعوامل الدين والوطنية أي دخل لحسمها. مما يجعل الحقائق التاريخية حساسة و معقدة في كل مقاربة لتفسيرها وفق المعطيات التاريخية، الاجتماعية والأنثروبولوجية[2]. ولعل تضارب وتناقض مواقف مختلف الإثنيات الاجتماعية والجماعات السياسية من مقاوتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي يعكس بجلاء مدى تعقيدات المشهد السياسي والاجتماعي الذي عرفته الجزائر أواخر العهد العثماني.

[1]– العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص ص 166–167.

[2] – سلطانة عابد، الرسائل العربية، مرجع سبق ذكره، ص 31.

➢ رابعا/ شخصية حمدان بن عثمان خوجة:

1- التعريف بشخصية حمدان بن عثمان خوجة:

نسب حمدان خوجة نفسه فقال:" أما فيما يخصني –أنا– فان أبي الذي ليس من الحضر(الأندلسيين) قد كان يشغل منصب كاتب أول للدولة طيلة حياته...وأنا "الكرغلي" بالذات قد كنت مستشارا للحكومة "

فهو حمدان بن عثمان خوجة الجزائري مولدا ومنشأ، الكرغلي أصلا ومحتدا، وكلمة خوجة التي لقب بها والده جاءت من عمله ككاتب للدولة وأمين سرها، وهاته الوظيفة كانت لا تسند إلا لذوي المعارف المتينة كوظيفة شيخ الإسلام من حيث القيمة الأدبية، كما أن خال حمدان خوجة – الحاج محمد– كان يشغل منصب أمين السكة وهو منصب لا يسند إلا لمن توفر فيه العلم والزهد والنزاهة[1].

أما والدة حمدان خوجة فكانت بنتا لأحد الخواجات، وتدعـــى"خديجة بنت إسماعيل خوجة العيون "[2] فهي من النساء اللواتي ولدن في الجزائر من أباء أتراك، وإن كانت هناك كتابات تذهب إلى أن حمدان خوجة من أم جزائرية أصيلة.

ولد حمدان خوجة على أرجح الروايات سنة 1770م، بمدينة الجزائر على عهد الداي محمد عثمان باشا، ونشأ بها نشأة علمية، ما أهله لتولي منصب والده بعد وفاته، فأصبح أستاذا في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية، فضلا عن ولعه بالأسفار والتجارة وتقلده للعديد من المناصب السامية[3]، منها مستشار الداي حسين[4] أثناء الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر كما ساهم كغيره من الجزائريين في الدفاع عن بلاده ولكن بطريقته الخاصة.

---

[1]– محمد بن عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص ص 83–86.

[2] – خليفة حماش، الأسرة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 69 .

[3] – محمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 91.

[4] – عمار عمورة، مرجع سبق ذكره، ص 172.

2- أعمالـــه:

يعتبر حمدان خوجة نموذج للشخصية الجزائرية الكرغلية المتعددة المواهب، ذات الصيت والتأثير الواسع، وسنحاول فيما يلي أن نتعرف على هذه الشخصية من خلال أهم أعماله وأثاره والمجالات التي شملتها هذه الأعمال، حسب درجة العلاقة بموضوع البحث :

2-1- في المجـــال العلمي :

تحدث المؤرخ القدير عبد الجليل التميمي عن حمدان خوجة تحت عنوان " نشاط حمدان خوجة في باريس وإستنبول من أجل القضية الجزائرية " فقال: " لقد كان حمدان رجلا عالما، يتقن العربية والعثمانية والإنجليزية ويتكلم الفرنسية، ومثقفا ثقافة واسعة، ويعتبر من الرجال النزهاء المتدينين، وقد دافع عن الجزائر بقلمه وفكره وماله "[1].

ترك حمدان خوجة العديد من المؤلفات رغم أنه لم يهتم بالتأليف إلا في سني حياته الأخيرة، التي كان له فيها فضلا عن التأليف اهتمامات سياسية تطلبت بدورها تنقلات وأسفارا لم تثنه عن الكتابة في مختلف المجالات السياسية والعلمية والأدبية والتاريخية، وفي هذا الصدد فقد ترك حمدان خوجة أثارا علمية من الأهمية بمكان منها ما يعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي، نذكر منها:

- كتاب المرآة، الذي كتبه في الأصل باللغة العربية سنة 1833م أثناء تواجده في باريس، ثم ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان(Aperçu historique et Statistique sur la Régence d'Alger) أو "لمحة تاريخية وإحصائية على أيالة الجزائر"، وقد كان هدف حمدان خوجة من تأليف هذا الكتاب هو إطلاع الرأي العام الفرنسي على الحقائق المشوهة-آنذاك- في الجزائر، وإبراز الأعمال التعسفية التي يقاسيها الشعب الجزائري على أيدي زبانية الجنود الغازين.

- مذكرات سي حمدان، وهي خلاصة لكتاب المرآة، ولما تألفت اللجنة الإفريقية[2] سلمها نسخة من هذه المذكرة.

---

[1]-عبد الجليل التميمي، نشاط حمدان خوجة في باريس واستانبول من أجل القضية الجزائرية، المجلة التاريخية المغربية، عدد 7-8،1977، ص 13.

[2]- اللجنة الإفريقية: هي لجنة كونها المستدمر الفرنسي على خلفية النقاش الحاد الذي جرى في البرلمان حول تخصيص ميزانية لمواصلة الحرب في الجزائر، وكذا لدراسة العرائض والشكاوى التي تقدم بها بعض المنفيين الجزائريين كحمدان خوجة ضد تصرفات الإدارة الفرنسية في الجزائر، وضغط الرأي العام الأوروبي على فرنسا للإعلان عن=

- رسالة "حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع" شرح فيها قول الإمام أبو حامد الغزالي "ليس في الإمكان أبدع مما كان" وانتصر له فيها انتصارا عظيما.

- رسالة في وجوب الوقاية والاحتماء، سماها" إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء" .

- كتاب ستار الإتحاف ، وهي ترجمة تركية لرسالة" إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء".

- كتاب إمداد الفتاح" وهو ترجمة لكتاب "الإيضاح" للشيخ حسن بن علي الشرنبلي.

- مجموع ضخم يحتوي نقل وتلخيص لعدة كتب في شتى الفنون .

- رسالـــة تتضمن الرد على مـــن انتقد كتابه "المرآة"، سمـــاها جـــواب عن الرد على تأليف حمدان خوجة [1] .

2 -2-نشاطـــه السياسي :

يعتبر حمدان بن عثمان خوجة من الشخصيات البارزة التي لعبت دورا هاما خلال السنوات الأولى للاحتلال، فقد كان من كبار تجار العاصمة و أغنيائها، كما كان من الناشطين في شؤون السياسة والدولة، والمطلعين المتتبعين لأحوال العالم آنذاك سواء بالشرق أوروبا[2]، وقد تقدم معنا أن حمدان خوجة كان يعمل مستشارا للداي قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي كان خوجة حاضرا عند دخوله مدينة الجزائر، حيث لعب دورا هاما ولكن من وراء الستار، فهو الذي على ما قيل، كانت له اليد في الدعوة إلى اجتماع الحضر الذين طلبوا على إثره من الباشا الاستسلام، وقد كان محل ثقة الباشا ولذلك أرسله إلى صهره الأغا إبراهيم ليقنعه باستئناف القتال بعد هزيمته (الأغا) في معركة أسطاويلي[3]، كما أسندت له مهمة دراسة مطالب اليهود من فرنسا لدفع تعويضات عن القروض التي

=موقفها الرسمي من الاحتفاظ أو التخلي عن الجزائر، تكونت بتاريخ 1833/7/7م، وكان هدفها جمع المعلومات التي تنير الحكومة الفرنسية عن حالة الجزائر الحاضرة وعن مستقبلها.

للمزيد راجع أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 97 ومابعدها.

[1]- محمد بن عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص ص 119-138.

[2]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 124.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 79.

كانوا دفعوها للكراغلة والتي أشار لحيثياتها و خلفياتها في كتابه المرآة[1]، كما أصبح خوجة متوليا شؤون المراسلة بين بومزراق باي التيطري وبين السلطات الفرنسية .

غير أن حظوظ خوجة في مساعيه قد فشلت لعدة عوامل منها خلافه مع بوضربة ،وتدخله لصالح المفتي بن العنابي الذي اتهم بالتآمر على أمن الدولة وحكم عليه بالنفي، فضلا عن تآمر اليهود ضده وموقف الفرنسيين من دعايته الواسعة التي قالوا إنه قد نشرها بين الجزائريين حول هزيمة الفرنسين وانتصار المسلمين في المدينة[2] .

وفي سعيه لتجنيب البلاد ويلات الاستعمار حاول حمدان خوجة استغلال علاقاته مع قادة الحملات الفرنسية في الجزائر كدوبورمون و كلوزيل والدوق دورفيقو، بالإضافة إلى علاقاته مع الزعامات الجزائرية أنداك كبوضربة[3] والحاج أحمد باي الذي توسط له حمدان خوجة لدى القائد العام الدوق دي روفيقوا(Duc de Rovigo) في إطار مفاوضات الاستسلام ، وفي هذا الصدد كتب ابن حمدان خوجة علي بن سيدي حمدان خوجة عن هذه المفاوضات ورحلتها التي صحب فيها والده، فذكر أن الدوق دي روفيقوا لم يجد في حاشيته من يصلح لهاته المهمة، التي تكفل بها والده رغبة في إخماد شكوك الفرنسيين إزاءه وللتخلص من الوضع الحرج الذي يوجد فيه [4].

في شهر ماي سنة 1833م كان حمدان خوجة في باريس يدافع عن القضية الجزائرية ويشرحها أمام الرأي العام الفرنسي والعالمي. وكان للضغط الذي قامت به فئة المنفيين الجزائريين في

---

[1] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص118.

[2] – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، مرجع سبق ذكره ،ص 80.

[3] – أحمد بوضربة: كان من حضر مدينة الجزائر وتجارها الميسورين الذين لم يكونوا على علاقة طيبة مع الحكم العثماني، وقد حضر في 04جويلية1830 صحبة حمدان خوجة لدى الكونت دي بورمون، قائد الجيوش الفرنسية، للمفاوضة على تسليم المدينة للفرنسيين، وصفه المؤرخ الكبير المرحوم أبو القاسم سعد الله بأنه شخص غريب الأطوار مغامر أكثر منه سياسي، عرف بمذكرته للجنة الإفريقية التي ضمنها اقتراحات عن مستقبل الجزائر. نشر المؤرخ إيفير(YVER) مذكراته بالمجلة الإفريقية وترجمها الدكتور محمد العربي الزبيري. للمزيد راجع

أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 116 ،ص 76.

محمد العربي الزبيري، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ص 113–125 وص ص 171–201.

Georges YVER , Mémoire de Bouderbah, in R.A,N°57,1913,pp218-219

[4] – علي رضا بن حمدان خوجة، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، تقديم وترجمة علي تابليت، (ترجمه للفرنسية Saulcy-Félicien de)، منشورات ثالة، الجزائر،2008،ص ص 7–8. للمزيد حول موضوع هذه الوساطة وحيثياتها والرحلة المتضمنة لها راجع الكتاب .

باريس الفضل في تحرك البرلمان الفرنسي وضهور اللجنة الإفريقية. وفي نفس الشهر المذكور أرسل خوجة مذكرة إلى مجلس الدولة الفرنسي عن حالة الجزائر[1]، كما مثل حمدان خوجة أمام اللجنة الإفريقية، حيث طمأنه رئيسها على أن الأمور التي اشتكى منها في كتابه ومذكرته ستنال حظها من العناية، فالمساجد التي احتلتها السلطات الفرنسية ستعاد إلى ماكنات عليه، وأن الأملاك ستحترم في المستقبل، وأن الإيجارات ستدفع...، ورغم أن محضر اللجنة قد اختصر إجاباته إلا أنه اعتقد أن النتيجة التي توقعها رئيس اللجنة لن تتحقق بسرعة، ومن رأي خوجة أن فرنسا لن تجني شيئا من محاولتها إغراء الجزائريين بوضع نظام فرنسي مكان النظام التركي أو بالتظاهر باحترام الدين والمعتقدات المحلية.[2]

وقد خاب أمل حمدان خوجة في اللجنة الإفريقية التي لم تحقق ما كان يريد، بل إن آراؤه التي تضمنها كتابه المرآة، عرضته إلى المحاكمات بدعوى التشهير بالغير، ولم يقبل له أي مطلب استئناف حتى الذي تقدم به أمام مجلس الدولة[3] .

توجه بعدها حمدان خوجة إلى إستنبول حيث ظل على اتصال بالحاج أحمد باي قسنطينة، يترجم رسائله إلى التركية ويطلع السلطان على أحوال الجزائر[4].

3- رأي حمدان خوجة في السياسة العثمانية بالجزائر:

ضمن حمدان الخوجة كتابه الشهير "المــرآة" العديد من الأفكار والتصورات حول مختلف جوانب الحياة التي عايشها المؤلف ، لعل من أهمها رأيه في السياسة العثمانية المتبعة في إيالة الجزائر والتي اختلفت حسب مؤلفنا من فترة لأخرى. وتكمن أهمية ما ذهب إليه حمدان خوجة بهذا الخصوص في أنه يشكل رأي أحد أعيان ومثقفي الكراغلة حول سياسة وحكم آبائهم العثمانيين للجزائر، الشيء الذي قلما نعثر عليه نظرا لشح هذا النوع من المعلومات.

يرى حمدان خوجة أن الحكام العثمانيين الأوائل اتصفوا بالعدالة والجهاد ضد الإسبان، وكونوا دولة على مبادئ معتدلة تدعوا للتفاهم مع الأهالي، كما وصف الأتراك الأوائل بالقناعة والشرف

[1]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سبق ذكره ، ص 81.

[2] - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص ص 125-126.

[3] - المرجع نفسه، ص 82.

[4] - المرجع نفسه، ص 83.

والكرم، وأنهم كانوا يتزوجون من الأهالي، وفي موضع أخر من كتابه أشار إلى أن هناك فئة من الأتراك تتعمد عدم الزواج لتترك ثرواتها لبيت المال.

كما وصف حكومة الأتراك بأنها لا تطاق إلا إذا كانت عادلة، الأمر الذي سرعان ما بدأ يزول بالنسبة للحكام المتأخرين لاسيما المنحدرين من الانكشارية .

أيضا فقد تناول حمدان خوجة في ذات الكتاب علاقة الكراغلة بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال التعرض لبعض الأحداث المهمة في مسار هذه العلاقة خاصة أحداث سنة 1630م والتي يرى أنها السبب في إبعاد الكراغلة عن السلطة، حيث يلتقي حمدان خوجة في أراءه حول قضية الكراغلة في الجزائر مع ماذهب إليه معظم المؤرخين والدارسين لهذه المسألة. فهو يرى أن الكراغلة كانوا ضحية حرص العثمانيين الشديد للاستئثار بالسلطة في الجزائر، مما خلق حالة من الشقاق بين الطرفين ما فتئت تتزايد منذ أحداث سنة 1630م إلى نهاية الوجود العثماني بالجزائر.

لقد حز في نفس حمدان خوجة الصراع القائم بين الأتراك والكراغلة ، ما جعله يتعرض لموضوع العلاقة بين الطرفين في أكثر من موضع في كتابه المرآة ، بحيث شدد على أن هاته العلاقة المتوترة خلقت حاجزا وهوة كبيرة بين الفريقين فوتت على الأتراك حتى الاستفادة من علوم أبنائهم ونفوذهم في البلاد لما لهم من أقارب فيها. كما يرى حمدان خوجة أن الانكشارية وخاصة المتأخرين منهم، كانوا السبب الرئيس في فساد الحكم العثماني من خلال تعديهم على الحقوق والظلم والحكم بلا قوانين، وكان حمدان خوجة يؤيد إشراك القبائل والبدو في الحكم الأمر الذي لم يستسغه الانكشارية[1]، كما يبدوا في رأيه هذا مخالفة لما كان عليه حال الكثير من الكراغلة في شأن علاقتهم بالسكان المحليين خاصة في أواخر الوجود العثماني بالجزائر .

وعن موقف حمدان خوجة الداعي إلى وقف القتال غداة دخول الفرنسيين الجزائر ودعوته إلى الصلح بشروط، يرى المؤرخ محمد بن عبد الكريم أن حمدان خوجة أول من نادى بأن الجزائر للجزائريين، وأنه كان يمهد لنواياه المتعلقة باستقلال بلاده من كل نفوذ أجنبي، كما كان يرى أن انتصار الفرنسيين على أتراك الجزائر وإخراجهم منها يعد في نفس الوقت انتصار للجزائريين أنفسهم

[1]– حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص ص 114–121.

على الانكشارية التي استبدت بالحكم واستحوذت على السلطة ومنعت اولئك الجزائريين بما فيهم " الكراغلة" من مشاركتهم إياها في ذلك[1].

من جهة أخرى يرى حمدان خوجة أن الانهيار السريع للحكم العثماني أمام القوة الفرنسية الغازية ير جع إلى عاملين اثنين :

- استشراء الفساد داخل منظومة الحكم العثماني، من خلال فقدان القيم العسكرية للإيالة وإسناد المسؤولية إلى من ليسوا أهلا لها من الانكشارية، ويضرب مثالا لذلك بتولية الأغا إبراهيم الذي كان صهرا للداي حسين قيادة الجيش الجزائري في وقت حرج وهو الذي لا يفقه شيء في أمور الحرب، مكان القائد يحي أغا الذي شغل هذا المنصب مدة اثني عشر سنة في عهد حسين باشا، ويعتبر أشهر قائد عسكري عرفته الإيالة في عهد الآغوات والدايات[2].

- سياسية التهميش والإقصاء التي مورست ضد السكان الأصليين ومنهم الكراغلة، من طرف الساسة والعسكريين العثمانيين، ما تسبب في خلق حاجز بين السكان والحكام وخلق نوع من عدم الثقة بين الطرفين. كما يشير إلى أن هذا الإقصاء الذي عانى منه الجزائريين استغله اليهود في التقرب من الحكام من أجل المصلحة السياسية، وجمع الأموال الطائلة[3].

أيضا فقد عكس حمدان خوجة الوضعية الاقتصادية والمالية التي كان عليها معظم الكراغلة خاصة مع نهايات الحكم العثماني، حيث ركز الكراغلة اهتمامهم في الأنشطة التجارية والاقتصادية كتعويض عما فاتهم في الجوانب السياسية والعسكرية، فأصبحوا من كبار الملاك والتجار، وفي هذا الصدد يقول حمدان خوجة عن نفسه: "...لأنني كما ذكرت في السابق ،احد المالكين في المتيجة، وأزرع سنويا في هذا السهل، ولحسابي الخاص، حوالي مائة وستين حمولة جمل من القمح، وحوالي مائة أو مائة وعشرين من الشعير"[4]. ويؤكد ابنه علي بن سيدي حمدان هذه الوضعية من خلال إشارته

[1]– محمد بن عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص 190.

[2] – حمدان خوجة ، مصدر سبق ذكره، ص ص 150–158.

[3]– المصدر نفسه، ص 118.

[4] – حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره ،ص 49.

إلى أن والده حمدان كان يقرض البايات عندما يزورون مدينة الجزائر لأداء الدنوش فينقصهم أحيانا مبلغ الجزية والهدايا الواجب تقديمها، فكان حمدان خوجة يريحهم مقابل استلام القمح والجلود كتسديد[1].

في الأخير فإن دراسة هذه الشخصيات والتي تمثل عينات فقط مما قدمه الكراغلة للجزائر من شخصيات أسهمت في مختلف المجالات وكان لها تأثيرها الجلي في حياة المجتمع ، تجعلنا نقف على تجليات مختلف العلاقات بين مكونات مجتمع الجزائر العثمانية، خاصة العلاقة بين الكراغلة والعثمانيين، ودور الكراغلة في تاريخ الجزائر العثمانية، وهنا نشير إلى ما ذكره حمدان خوجة بخصوص الفوائد التي ضيعها الصراع بين العثمانيين وأبنائهم الكراغلة، والتي كان يمكن أن يستفيد منها الجميع:" ...بحيث أصبحوا لا يستفيدون من علوم أبنائهم ولامن نفوذ ما لهم من أقارب في البلاد"[2].

والملاحظ أن هذه النماذج التي تناولنا جانبا يسيرا من سيرها ومآثرها قد غطت من خلال إسهاماتها جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية والعلمية وغيرها.

كما أنها جاءت في لحظات تاريخية مفصلية، وصنعت أحداثا لازالت أثارها جلية، فحسن باشا بن خير الدين حاول مبكرا تكوين جيش محلي جزائري للحد من نفوذ طائفة الانكشارية وانعكاسات ذلك على السلطة والمجتمع . أما الباي محمد الكبير فإنه لو لم يكن من حسناته سوى استعادة مدينة وهران وتخليصها من الإسبان لكفاه فخرا، أما حمدان خوجة فهو شخصية سياسية وثقافية نافحة عن الجزائر في فترة حرجة من تاريخها وإليه يعود الفضل في تدوين جانب من هذا التاريخ، وأخيرا تأتي شخصية الحاج أحمد باي التي قدمت نموذجا حيا فيما يتعلق بسلوك الكراغلة في السلطة خاصة تجاه العثمانيين ،كما أن مقاومته للغزو الفرنسي تمثل نموذجا ثانيا حول مدى تعلق الكراغلة ببلادهم التي ولدوا ونشأوا فيها.

---

[1]- علي رضا بن حمدان خوجة ، مصدر سبق ذكره، ص ص7-8.

للمزيد حول سيرة وأثار حمدان خوجة راجع:

Georges YVER ,Si Hamdan Ben Othman Khodja,in R.A,N°57,1913,pp96-138.

[2] -حمدان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 119.

الخاتمة

ختاما فإن البحث في موضوع "الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني " كان سانحة وفرصة لمراجعة الكثير من الكتابات حول تاريخ الجزائر العثمانية عموما، محاولا قدر المستطاع أن تكون تلك المراجعة واستخلاص المادة العلمية وفق قواعد ومنهجية البحث العلمي، التي أوصلتني لمجموعة الاستنتاجات التالية :

– كانت علاقات المصاهرة بين العثمانيين والسكان المحليين في بدايتها سياسية ولدواع مصلحية لكلا الطرفين، وكان من نتائج هذه العلاقة ظهور فئة اجتماعية جديدة ممثلة في الكراغلة ،الذين تواجدوا خاصة في المدن وأثروا في مختلف جوانب الحياة وتأثروا بدورهم.

– رغم أن علاقات المصاهرة ونتائجها كان يمكن أن تلعب دورا هاما في انصهار الوافدين الجدد في السكان المحليين إلا أن ظاهرة الانغلاق والانعزال التي ميزت العثمانيين حالت دون ذلك، بل ومهدت لقيام ثورات وتمردات كان الكراغلة أحد مدبريها وأطرافها.

– إن الكراغلة لم يكونوا في نفس المستوى الاجتماعي بل توزعوا عبر مختلف الفئات الاجتماعية، كما أنهم ظلوا مبعدين عن المهام الرئيسية في الدولة، وذلك لعدم اكتسابهم الثروات الطائلة وعدم تمكنهم من تكوين قوة عسكرية رادعة.

– لأجل المحافظة على قوتها ومكتسباتها لعبت الإنكشارية دورا كبيرا في تأجيج الخلاف والصراع ين الكراغلة والعثمانيين ممثلين في الحكام الذين غلبوا مصالحهم على مصلحة البلاد التي يحكمونها.

– تفاوتت مستويات اندماج الكراغلة في المجتمع، وكان أعلى مستوى من الاندماج ما حدث في بايلك قسنطينة، في حين بقي الكراغلة على تميزهم في أغلب المناطق خاصة التي شهدت تكتلات وثورات كما في وسط وغرب البلاد .

– كان المجتمع الريفي أكثر عددا و تجانسا مقارنة بمجتمع المدن، إلا أن العلاقات بين مختلف الجماعات والفئات كانت تحكمها المصالح الضيقة، الأمر الذي سهل تدخل الحكام العثمانيين لتنظيم وتوجيه هذه المصالح بما يخدمهم ويحول دون توحيد صفوف المجتمع.

– بسبب تخوف العثمانيين من احتمال قيام أي تحالف بين الكراغلة والسكان المحليين أو أي تحالفات أخرى ضدهم ،عمدوا إلى سياسة فرق تسد من خلال استحداث قبائل وجماعات مبنية على أساس القوة العسكرية والإمكانيات المادية .التي أصبحت هي معيار العلاقات القائمة بين فئات المجتمع بعضها بعض وبينها والسلطة.

– أفرزت سياسة العثمانيين الرامية للمحافظة على امتيازاتهم ونظام حكمهم في الجزائر تعقيدات في المشهد السياسي والاجتماعي في الجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر، كانت هذه التعقيدات ذات أبعاد اثنية وسلطوية مما جعل المصالح الضيقة لكل جماعة تطغى على المصلحة العامة وتحول دون تبلور وعي وطني.

– كان من الممكن لو فتح المجال مبكرا للكراغلة أن يلعبوا دورا مهما في تحويل نظام الحكم العثماني إلى نظام حكم وطني يحتوي العثمانيين أنفسهم. لكن هذه الفئة ليس فقط لم يتح لها المجال للعب هذا الدور بل لقد تعرضت لضغوط كبيرة دفعتها للثورة، وكان فشلها عامل أخر من عوامل ضعفها.

– انعكس فشل الكراغلة في تحقيق طموحاتهم في الاكتفاء بالترضيات التي كان يمنحها لهم العثمانيون ممثلة في بعض المناصب السياسية والعسكرية، لينصب اهتمامهم على تنمية ثرواتهم وتجارتهم. بل إن تحول كراغلة واد الزيتون "الزواتنة" إلى قبيلة من قبائل المخزن الدائرة في فلك السلطة العثمانية مؤشر على مدى الهزيمة النفسية والمعنوية التي بات عليها الكراغلة والتي دفعتهم إلى التسليم بالأمر الواقع .وبذلك يكون الكراغلة قد فشلوا في التعبير عن طموحات الأهالي الذين كان عدم الاستعانة بهم أحد أكبر أسباب ذلك الفشل .

– فيما يرى فريق من المؤرخين أن ثورات الكراغلة أسهمت في تعقيد الوضع الداخلي وتعميق الهوة بين السلطة والمجتمع وانعدام الثقة، الأمر الذي أدى إلى تسلط الإنكشارية على مقاليد الحكم. يرى فريق أخر نؤيده أن هذه الثورات شكلت نوعا من المعارضة الداخلية التي كانت تحتاج إلى نضج أكثر حتى تؤتي أكلها.

– جانب الكراغلة الصواب خلال مشاركتهم في الصراع الدائر بين الحكام العثمانيين في الجزائر وطائفة الإنكشارية ودعمهم لطرف دون أخر من غير أن تكون لهم أية رؤية استراتيجية لاستغلال ذلك الصراع لصالحهم وصالح البلاد. ويبدوا أن مرد ذلك إلى غياب قيادات وزعامات تحدد معالم الطريق خاصة في بداية الصراع مع العناصر التركية. ويتعزز هذا الاستنتاج أكثر إذ أحصينا عدد المرات التي

لجأ فيها العثمانيين لخدمات الكراغلة من خلال تجنيدهم في الجيش لسد العجز البشري الناجم عن نقص المجندين القادمين من المشرق أو عن الكوارث الصحية التي اجتاحت البلاد وأهلكت العديد من أفراد الإنكشارية.

– تؤكد مختلف حركات الكراغلة وثوراتهم وكيفية تعاطي نظام الحكم العثماني معها، أن هذا الأخير كان يعاني من أزمة عميقة عجلت بنهايته وأدت إلى سقوط البلاد فريسة للاستعمار بعد أن تهيئة ظروفه، وقد تجلت أزمة نظام الحكم العثماني ومدى التعفن الذي وصل إليه من خلال كيفية تعاطيه مع الحملة الفرنسية ضد الجزائر والتي تحولت إلى استعمار ما كان ليكون لولا حالة التردي والقابلية للاستعمار التي باتت عليها الجزائر. والتي دفعت قطاع عريض من الجماعات والقبائل إلى تغليب المصالح الضيقة على حساب المصلحة العليا للبلاد وسط غياب تام للوعي الديني والوطني .

– إن تتبع وتحليل الأحداث التي شهدتها الجزائر العثمانية من خلال ربط نتائجها بمسبباتها يجعنا يوصلنا إلى استنتاج يتعلق بمدى الإخفاق الذي وصلت إليه السلطة العثمانية في مختلف المجالات، وكيف أن سقوط الجزائر في يد الغزاة الفرنسيين كان أكبر شاهد على ذلك، وقد توالت شهود هذا الإخفاق ممثلة في مظاهر الفرقة بين مختلف فئات ومنظومات المجتمع الجزائري.

– إن النتائج المتوصل إليها من خلال البحث تضعنا أمام تساؤلات أكبر وأعمق وأدق ، من شأنها أن تشكل أفاقــا لدراسات أخرى، فقد عكس تعقيد المشهد السياسي والاجتماعي في الجزائر مدى التأزم الذي وصلت إليه البلاد، تجلى ذلك من خلال عدة معطيات على رأسها التخلي السريع للعثمانيين عن البلاد، وقوف الكراغلة في وجه مقاومة الأمير عبد القادر، مقابل وجود بعض الكراغلة الذين تزعموا المقاومة السياسية والعسكرية، لكن دون التطلع لتوحيد الجهود الوطنية، ما يضعنا أمام تساؤلات واستفهامات شائكة .

في الأخير أرجوا أن تكون هذه المساهمة المتواضعة قد وفقت في تحقيق بعض أهدافها، وإن كان البحث يبقى بحاجة إلى مزيد إثراء وتدقيق نظرا لما يطرحه من إشكاليات وقضايا.

الملاحق

قائمة الملاحق:

رقم الملحق	الموضوع
ملحق رقم 1	جدول تاريخي يوضح أهم الأحداث المرتبطة بالكراغلة
ملحق رقم 2	مقتطفات من تقرير الضابط بوتان عن الجزائر1808
ملحق رقم 3	مقتطفات من نص وثيقة عهد الأمان
ملحق رقم 4	جدول يوضح التركيبة البشرية للعثمانيين في الجزائر من خلال دفتر المخلفات
ملحق رقم 5	نماذج من القول أو غليين(الكراغلة) من الطبقة الثانية والثالثة والوظائف التي تولوها في مدينة الجزائر
ملحق رقم 6	جدول يوضح أنواع المصاهرات عند انكشارية قسنطينة من خلال سجلات عقود الزواج
ملحق رقم 7	مقتطفات من مذكرات الحاج أحمد باي
ملحق رقم 8	مقتطفات من نداء الموجه من طرف الجيش الفرنسي إلى الكراغلة أولاد الأتراك العرب القاطنين بايالة الجزائر
ملحق رقم 9	خريطة الجزائر الوسطى في أواخر العهد العثماني توضح موقع كراغلة واد الزيتون
ملحق رقم 10	مخطط حصن القصبة الذي شهد بعض الحوادث المرتبطة بالكراغلة وفيه يظهر موقع مستودع البارود.
ملحق رقم 11	خريطة توضح تموقع الحاميات العسكرية بالإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر.
ملحق رقم 12	خريطة توضح توزيع السكان بالجزائر في أوائل القرن التاسع عشر.

الملحق رقم 1 : جـدول تاريخي يوضح أهم الأحداث المرتبطة بالكراغلة .

التـــاريخ	أهــم الأحداث والوقائــع
1544-1552م	تولية حسن باشا بن خير الدين بيلربايا على الجزائر من طرف السلطان العثماني سليم الثاني.
1557-1562م	حسن باشا بن خير الدين بيلرباي للمرة الثانية،وصراعه مع الانكشارية على خلفية تجنيده السكان المحليين ضمن صفوف الإنكشارية.
1562-1567م	حسن باشا بن خير الدين بيلرباي للمرة الثالثة، وتجدد الخلاف مع الانكشارية حول قضية التجنيد.
1580م	صدور فرمان من السلطان العثماني مراد الثالث ، إلى البيلرباي جعفر باشا ، بخوص النظام المالي للإيالة ،يأمره فيه بتعيين شخص من طائفة قول أوغلو(الكراغلة) ذي كفاءة لتسيير النظام المالي للإيالة.
1596م	مشاركة الكراغلة في المواجهة التي حدثت بين الانكشارية وخضر باشا إلى جانب هذا الأخير وبتحريض منه.
1629/1630م	ثورة الكراغلة في مدينة الجزائر ضد الانكشارية الماسكين بزمام السلطة، كان من نتائج فشلهم أن طردوا من المدينة نحو بلاد القبائل ومدية وحمزة. وابتداء أمر ما أصبح يعرف بالزواتنة
1632م	عودة الكراغلة المبعدين إلى تونس على خلفية أحداث سنة 1630، قاصدين بلاد زواوة.
1633م	قيام الكراغلة بثلاث محالات للاستيلاء على مدينة الجزائر،كان أهمها تلك التي جرت في شهر جويلية من نفس السنة،والتي أدت إلى انفجار مستودع البارود وسقوط العديد من الضحايا .
1638-1639م	مشاركة بعض العناصر من الكراغلة في إنتفاضة الشرق الجزائري ضد السلطة العثمانية.والتي كان من نتائجها استفادة لكراغلة من العفو كبند من بنود الصلح.
1648-1650م	لجوء السلطات العثمانية إلى قبول تجنيد الكراغلة لسد العجز في صفوفهم بعد انتشار وباء الطاعون الذي قضى على العديد من الانكشارية.
1659-1671م	استفادة الكراغلة خاصة في دار السلطان من الأوضاع الصحية المتدهورة بسبب الأمراض والأوبئة، والوضع السياسي المتوتر الذي عرفه عهد الآغوات، وذلك من خلال تجنيدهم في الجيش وتوليتهم بعض المناصب.

1669م	الكراغلة في تلمسان يتزعمون ثورة ضد العثمانيين، ورغم قمعها خاصة خلال سنتي 1670-1671إلا أن الثورة انتشرت وكبدت العثمانيين خسائر فادحة وإن لم تحقق أهدافها.
1693م	الداي الحاج شعبان وتحت ضغط نقص المجندين يصدر قرا را يسمح بموجبه للكراغلة بالتجنيد وأن يعاملوا كبقية العناصر التركية.
1695م	الداي الحاج شعبان يقود حملة تصفيات في صفوف الكراغلة خاصة في مدينة الجزائر بعد اتهامه لهم بمحاولة إغتياله. الأمر الذي حدث فيما بعد.
1748م	ثورة الكراغلة في الغرب والتي كان منطقها ومركزها بتلمسان ونواحيها، بحيث استمرت الاضطرابات حتى سنة 1766م. كان من نتائجها وقف تعيين الكراغلة في منصب الباي،حيث تم تطبيق القرار خلال الفترة من 1748إلى 1780م.
1775م	مشاركة الكراغلة إلى ضمن صفوف الجيش في صد العدوان الذي شنه الإسبان على مدينة الجزائر.
1804م	مشاركة بعض العناصر الكرغلية في ثورةابن الأحرش.
1808م	مشاركة الكراغلة في وضع حد لتمرد الجنود الانكشارية واعتدائهم على السكان في مدينة الجزائر.
1818م	مشاركة الكراغلة بقوة في عميلة إصلاح النظام السياسي والعسكري التي قادها الداي علي خوجة .
1818-1830م	قرار الداي حسين بتجنيد الكراغلة وأن تدون أسمائهم في دفتر الانكشارية حتى تنسحب عليهم جميع الحقوق والواجبات.

الملحق رقم 2 : مقتطفات من تقرير الضابط بوتان عن الجزائر1808.[1]

قوات الداي:

" إن المشاة تتكون من الأتراك...بمعنى أولئك الذين قدموا مباشرة من الشرق وكذلك من الكوغلية أبناء الجنود الأتراك الذين رخص لهم بالزواج في الجزائر ومن عدد قليل من الزواوة. وجميعهم يمكن أن يصل عددهم إلى خمسة عشر ألف، أي عشرة آلاف تركي وخمسة آلاف كلوغي...ومن هذا العدد تتشكل حاميات مختلف المدن في البلاد ولن يبقى في مدينة الجزائر أكثر من عشرة آلاف جندي- ففي الحملة ضد تونس تم تعبئة ثمانية آلاف جندي ولم يبقى سوى عدد قليل من القوات في مدينة الجزائر وكل الناس لاحظت ذلك."

[1] – جمال قنان، نصوص ووثائق، مرجع سبق ذكره، ص 248.

الملحق رقم3: مقتطفات من نص وثيقة عهد الأمان[2]

"...وابتداء من هذا اليوم، فكل ما حدث ولو بين الأب والابن قد نسي وعفى عنه، والتخلص من الكبرياء والغضب والكره، وكل ما يؤدي إلى العداء المجاني...

ومن الآن فصاعدا الشيوخ يبقون شيوخ، وآغاواتنا آغاوات، وكيخياتنا كيخية، والياياباشي ياياباشي، والبولكباشي بولكباشي، والأوضاباشي أوضاباشي، والإنكشاريون انكشاريين. كل في مهامه يعمل خدمته الموكلة إليه دون تعد، ودون تهاون أو تراخ .

ومن الآن فصاعدا سيكون أولادنا الإنكشاريون إنكشاريين، وأولادنا المدفعيون مدفعيين، وأولادنا الشواش شواشا، وأولادنا الصبايحية صبايحية. كل في مكانه، وكل عضو من الأوجاق يتولى الخدمة باستمرار دون خطأ في أوجاقه، ودون أي تعد وتعسف، وبغير وجه حق.

وهاهي قواعد عهد الأمان وأسسه.

منذ اليوم يمنع، ولا يسمح لأولاد الشواش، والمدفعين التسجيل في سلك أوجاق الانكشارية، وكذلك الحال بالنسبة لأولاد الصبايحية، والأعلاج، والقياد، أما بالنسبة لأولاد الانكشارية الذين هم في الخدمة، فليس هناك من داع لعدم تسجيلهم. وهذه هي القرارات المتخذة...."

[2]– توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان، مرجع سبق ذكره، ص ص 47–49.

الملحق رقم4: جدول يوضح التركيبة البشرية للعثمانيين في الجزائر

من خلال دفتر المخلفات[3]

الأصل	النسبة المئوية
الأتراك الأناضوليون	%47
الأعلاج	%3
البشناق	%4
الكراغلة	9%
الأرناؤوط	%8
الأتراك الأخرون	%29

[3]- اعتمد طال شوفال لدى دراسته لأصول الانكشارية على ثلاث دفاتر لبيت المال تعود إلى فترات مختلفة من القرن الثامن عشر(1699-1701)،(1786-1792)،(1797-1803). وقد أحصى من خلالها حوالي1460 انكشاري، من بينهم 147 فقط تعرف على أصولهم، وارتكز على هذه العينة الصغيرة أساسا لتحديد الأصول العرقية والجغرافية لأفراد الأوجاق بالنسب المئوية.

أنظر أمين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 241. نقلا عن

ShuvalTal, op.cit,pp 59-62.

الملحق رقم5: نماذج من القول أو غليين(الكراغلة) من الطبقة الثانية والثالثة والوظائف التي تولوها في مدينة الجزائر[4]

الاسم	الطبقة(الجيل)
محمد باي الكبيرابن صفر باي ابن الباشا أومحمد شلوق	2
محمد الانجشايري ابن عبدالرحمن بلكباشي ابن علي آغا	2
الحاج مصطفى آغا ابن أحمد بن مراد خوجه	2
محمد رئيس الانجشايري ابن يونس بن عبدالله بلكباشي	2
قدور الانجشايري ابن يحيى ابن خوجه بيري	2
عبدالرحمن الانجشايري البلكباشي ابن محمد بن علي آغا	2
محمود الانجشايري الحوكي ابن أحمد بلكباشي الحوكي ابن عليوة	2
محمد الانجشايري ابن علي بن الحاج محمود بيت المالجي	2
أحمد الانجشايري ابن مصطفى الانجشايري الحفافا بن علي خوجة	2
أحمد الانجشايري وحسن الانجشايري ومحمد الانجشايري أبناء الحاج مصطفى بن محمد بن يوسف بن محمد بن محمد آغا قاره يوز ابن(فراغ) التركي.	4

[4]- خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 67.

الملحق رقم6 : جدول يوضح أنواع المصاهرات عند انكشارية قسنطينة من خلال سجلات عقود الزواج[5]

الفتـــرة	الأعيـــان	أســـر البايات	الانكشارية	العـــــامة	العتيقات	الإسلاميات
1232-1202هـ (1817-1788م)	24	00	36	224	02	01
1232-1224هـ (1817-1809م)	43	23	287	610	04	05
المجموع	67	23	323	834	06	06
النسبة	**%05.3**	**%01.8**	**%25.6**	**%66.7**	**%0.4**	**%0.4**

[5]- جميلة معاشي، مرجع سبق ذكره، ص 271.

من خلال الجدول أعلاه نسجل مدى إقبال الانكشارية في بايلك قسنطينة على مصاهرة مختلف فئات المجتمع خاصة العامة منهم ،الأمر الذي يعكس اندماج الانكشارية في المجتمع القسنطيني على غير ما كان عليه الوضع في بقية مناطق البلاد خاصة الوسطى والغربية.

الملحق رقم7: مقتطفات من مذكـــــرات الحاج أحمد باي

" في سنة 1830 ذهبت إلى الجزائر لأداء الدنوش أو الزيارة الإجبارية التي يؤديها إلى الباشا جميع البايات مرة كل ثلاث سنوات. كنت بايا لقسنطينة منذ أربعة أعوام،وكانت تلك هي المرة الثانية التي أقوم فيها بهذا الواجب. فلم أكن إذن مستعدا أي استعداد لمحاربة الفرنسيين، ومع ذلك كان الداي حسين قد أخبرني بمشاريعهم في رسالة ذكر لي فيها أنه يجب أن أهتم بعناية فقط. ولم يكن قلقا لا على نفسه و لا على مدينته الرئيسة. وهكذا، جئت كالعادة أحمل "اللزمة" ومعي أربعمائة فارس أو أقل...

وعندما حضرت بين يدي الباشا قال لي:" ليس لديكم أكثر من الوقت الكافي للخروج إلى الفرنسيين الذين سينزلون بسيدي فرج،إنني أعرف مكان النزل من الرسائل التي تصلني من بلادهم ومن كتاب طبع في فرنسا وأرسله لي جواسيسي من مالطة وجبل طارق"ثم أضاف بأن الرسائل ترد إليه باستمرار من فرنسا وأنه على علم بكل ما يجري هناك...

في أثناء غيابي عن قسنطينة دبرت مؤامرة ضدي. لقد تركت في المدينة حامية الشتاء وهي مكونة من الأتراك واليواداش. فأراد هؤلاء الأجناد أن يقلدوا ما كان قد جرى في مدينة الجزائر، أعلنوا انهم لم يعودوا يعترفون بي كباي ...

لم ألاق أي عناء لاسترجاع سلطاني،ولكنني أردت أن أضرب مثلا، فوضعت يدي على المجرمين، ووفقا للقانون حكمت عليهم بالإعدام ونفذت فيهم الحكم...

استدعيت الجيوش من مختلف أنحاء المقاطعة، فلم يتخلف أحد عن الموعد المضروب، وأقمت معسكرا جمعت فيه من المشاة1500ومن الفرسان5000...

وفيما يخص طريقة الدفاع عن المدينة، كنت أمرت بوضع عدد من الألغام ولكن جهل المنفذين أفقد هذه الوسيلة قيمتها....مما جعلني فيما بعد أتأسف لعد وجود خبراء في هذا الفن من فنون الحرب، وتهافت جميع الجنود الفرنسيين على المدينة من مداخل متعددة ....

هكذا، إذن، سقطت المدينة في قبضة العدو وبعد أن أصبت بخسائر فادحة قتل أحسن أعواني ومن جملتهم محمد بن البجاوي قائد الدار، رحمهم الله...."[6]

[6]-محمد العربي الزبيري،مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،مرجع سبق ذكره، ص ص11- 102.

الملحق رقم8 : مقتطفات من" النداء الموجه من طرف الجيش الفرنسي إلى الكراغلة أولاد الأتراك والعرب القاطنين بإيالة الجزائر"[7]

" نحن الفرنسيين أصدقاءكم سنذهب إلى مدينة الجزائر لنطرد منها الأتراك الذين قد طغوا عليكم واضطهد وكم واغتصبوا جميع ممتلكاتكم ومنتوجات أراضيكم، أولئك الذين لم ينفكوا عن تهديد حياتكم.

نحن لانغزوا المدينة لنقيم بها ونسكن فيها كأسياد أو رؤساء، إننا نقسم لكم بدمنا أن لا يكون ذلك. فانضموا إلينا وكونوا جديرين بحمايتنا كي تسودوا في وطنكم مثلما سدتم فيه سابق وتصبحوا رؤساء أحرار في مسقط رأسكم....

فابقوا حياديين مسالمين فالفرنسيون لا يحتاجون إلى من يساعدهم على قتال الأتراك وطردهم فنحن أصدقاؤكم المخلصون وسنبقى دائما كذلك. اتصلوا بنا فسنكون بكم مسرورين وستزداد محبتنا لكم فإذا جلبتم إلينا الأقوات والأعلاف والبقر والغنم وسندع إليكم قيمتها حسب أسوام السوق، وأن أوجستم خيفة من جيشنا فما عليكم إلا أن تدلونا على مكان يستطيع جنودنا أن يذهبوا إليه بدون سلاح.

فهناك يكون اتصالكم وستتيقنون من حسن نيتهم لاسيما عندما يسلمون إليكم دراهمهم في مقابل المؤن التي تزودونهم بها.

وبهذه الوسيلة ستثبت وستتحقق ثقتكم فينا ونعيش جميعا في سلام من أجل سعادتكم وسعادتنا.

[7]– عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830–1900،موفم للنشر،الجزائر،2010،ص 30.نقلا عن كتاب المرآة لحمدان خوجة ،وثيقة رقم (8).

الملحق رقم9: خريطة الجزائر الوسطى في أواخر العهد العثماني توضح موقع كراغلة واد الزيتون[8].

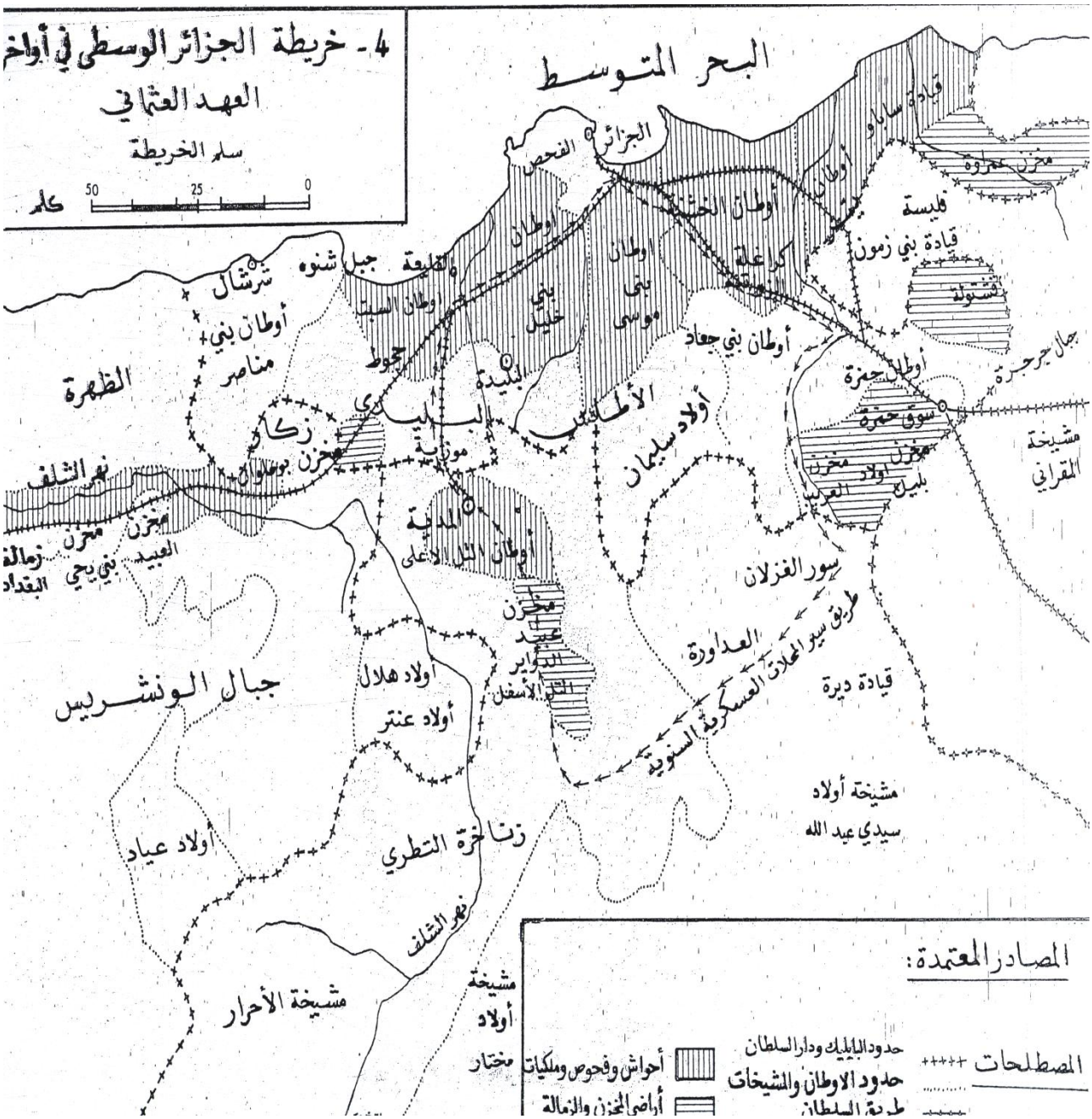

[8]– ناصر الدين سعيدوني،النظام المالي للجزائر،مرجع سبق ذكره،ص 260.

الملحق رقم 10: مخطط حصن القصبة الذي شهد بعض الحوادث المرتبطة بالكراغلة وفيه يظهر موقع مستودع البارود[9]

[9]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 263.

الملحق رقم11: خريطة توضح تموقع الحاميات العسكرية بالإيالة الجزائرية

في أوائل القرن التاسع عشر.[10]

[10]- ناصر الدين سعيدوني ،النظام المالي للجزائر،مرجع سبق ذكره، ص 262.

الملحق رقم 12: خريطة توضح توزيع السكان بالجزائر في أوائل القرن التاسع عشر[11]

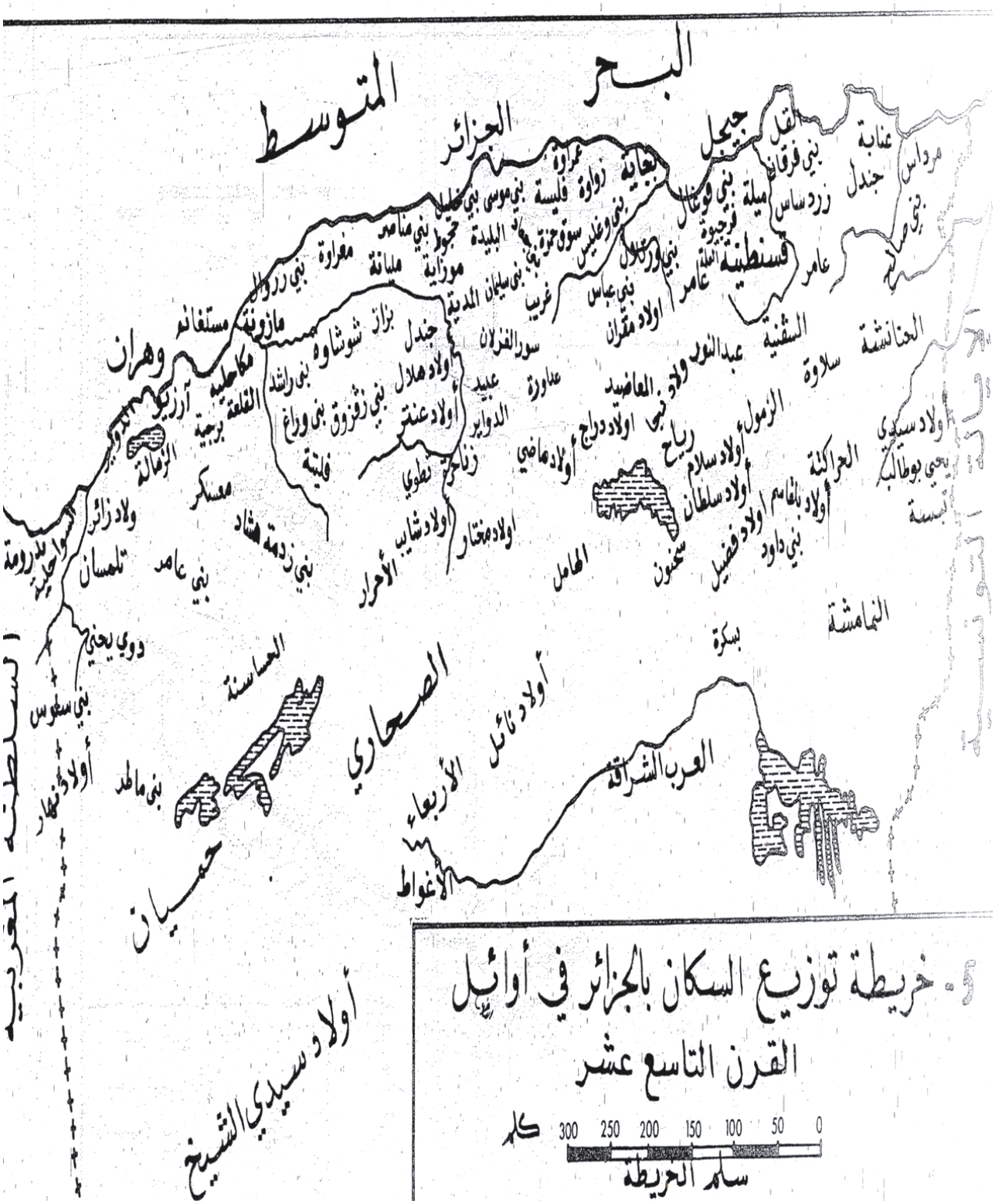

[11]- ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 261.

البيليوغرافيا

أولا- المصادر العربية والمعربة:

- ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، ط1، نشر بيت الحكمة،الجزائر2009.

- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة ، ديوان المبتدأ والخبر،ط1، دار الفكر، بيروت لبنان،2004.

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وأخرون، دار المعارف، القاهرة، الجزء 5، بلا تاريخ.

- أبو راس محمد بن أحمد ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق طرف محمد غالم، ج1 منشوراتCRASC، وهران،2005.

- أبوراس محمد بن أحمد، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، ط1، تقديم وتحقيق سليمة بنعمر، دار صنين للطباعة والنشر، بيروت، 2002.

- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم أو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974.

- التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ،ط1،تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم،عالم الكتب،القاهرة،1969.

- التلمساني محمد بن أحمد(ابن مريم)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر1908.

- الجزائري عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أحوال الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت،الجزائر،1984.

- الجزائري محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،ش.و.ن.ت،الجزائر،1981.

- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، م.و.ن.إ، الجزائر، 2005.

- خوجة علي رضا بن حمدان ، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية ، تقديم وترجمة علي تابليت ، ترجمه للفرنسية Saulcy–Félicien de، منشورات ثالة، الجزائر،2008.

- الراشدي أحمد بن محمد ، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، سلسلة التراث، الجزائر.

- الزبيري محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،ش.و.ن.ت،الجزائر،1973

- الزهار، أحمد الشريف، مذكرات الحاج احمد شريف الزهار1754–1830، تحقيق وتقديم

أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت،الجزائر،1980.

- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق الشيخ المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، الجزائر،1978.

- شالر وليام : مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر1816–1824،تعريب وتقديم إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر،1982

- شلوصر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832–1837،ترجمة أبو العيد دودو،ش.و.ن.ت،الجزائر،1980.

- عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني "مذكرات تيدينا نموذجا"، دار الهدى،الجزائر،2003.

- العنتري محمد الصالح(بن)، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، د.م.ج،الجزائر1991

- العنتري محمد الصالح(بن) ، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر،1974.

- العياشي عبد الله بن محمد بن أبي بكر،ماء الموائد، تقديم وتحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي تحت عنوان الرحلة العياشية، ط1،دار السويدي، أبو ظبي ،الإمارات العربية المتحدة ،2006.

- فايست أوجين، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي ، تحقيق صالح نور، دار قرطبة، الجزائر،ط،2010

- فون مالتاس هاينريتش، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا،ج2، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.

- كاثكارت جيمس لندر، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي،د.م.ج،الجزائر،1982.

- الماوردي علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق نبيل عبد الرحمان حياوي، م.ك.ث، بيروت.

- المشرفي ع،

- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تحقيق ونشر عبد القادر نور الدين، مطبعة رودوسي قدور،الجزائر1934.

- مذكرات خيرالدين، ترجمة وتحقيق محمد دراج،ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010.

- المزاري بن عودة (الآغا)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز،ج1،دار البصائر للنشر،الجزائر،2009.

- الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2،ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1983.

- الوهراني مسلم بن عبد القادر، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت،الجزائر،1974.

ثانيا– المصادر باللغة الأجنبية:

- ARAMBUR(Don Joseph De), Oran et l'ouest Algérien au 18ème sic, présentation et trad., Mohamed ELKorso DE Epalaza, Bibliothèque Nationale, Alger, 1978.

- ARVIEUX(Chevalier), L.L.d'. Mémoires du chevalier d'Arvieux, mis en ordre par le R.P.Jean-Baptiste LabatT.VI, Delespine le fils, Libraire, Paris,1735.

- BAUD (L): l'Algérie, arthur bertrand; 2ème éd, Paris 1841.

-BONNAFONT (Jean-Pierre), Réflexions sur l'Algérie, particulièrement de la province de Constantine, Lib,Ledoyen ,Paris,1846.

- BOUTIN (C), reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, publié par G Esquer, bib ancienne honore champion, Paris, 1927.

- DAN (P), Histoire de la barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoly, Seconde éd P.Rocdet,Paris1637.

- DETASSY (L), histoire du royaume d'Alger, H, de souzet, Amsterdam, 1725.

- DEVOULX (A), Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imp, du gouvernement, Alger1852.

- GRAMAY, (JB), journal de JB, Gramaye, évêque d'Afrique, traduit du latin et annoté par Abd el- Hadi Ben Mansour sous le titre: Alger 18, 19 siècles, cerf Paris, 1998.

- HAEDO (FD), histoire des rois d'Alger, traduit de l'espagnol par Delmas de grammont, éd, grand Alger livres, Alger 2004.

- MORGAN (J), Histoire des états Barbaresques qui exercent la piraterie, traduit de l'anglais par P. Boyer de Pebrandié 2T,T2,Paris 1731.

- PANANTI (Filippo), relation d'un séjour à Alger, le Normant, Paris, 1820.

- PEYSSONNEL (Jean. André), Voyage dans la régences de Tunis et d'Alger, Présentation et note de L.Valensi,1ere éd1838,Paris,La découverte 1987.

- ROZET (M), voyage dans la régence d'Alger, ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, Arthus Bertrand, éd, 3T, T2, Paris1833.

- ROZET (M) et CARETTE (E), Algérie états tripolitains, éd bouslama, Tunis, 1980.

- SHAW (T), voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par J, mac carthy, 2éd bouslama, Tunis, 1980.

- VALLIERE (JA), mémoire sur la forme du gouvernement d'Alger et sur les mœurs de facultés, qui habitent le royaume, pub par chailou sous le titre Alger 1781, IPC, France, 1979.

- Vallére (C.Ph), L'Algérie en 1781.Mémoire du Consul C.Ph Vallére,Pub par Lucien Chaillou,Valbert Rand,Toulon,1974

- VENTURE DE PARADIS(J.M), Tunis et Alger, au 18 siècle, bib, Arabe sandbad, Paris, 1983.

ثالثا- المراجع العربية والمعربة:

- إشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبة للنشر،الجزائر،2007.
- اوكان عمر، مدخل لدراسة النص والسلطة،ط1، مطبعة إفريقيا الشروق، الدارالبيضاء، 1991.
- اينالجك خليل، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2007.
- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش و ن ت، الجزائر،1979
- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط9، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين،بيروت1981.
- بن عبد الكريم محمد، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، ط1، دار الثقافة، بيروت لبنان،1972.
- بنوجيت يوسف، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد، ترجمة سامية سعيد عمار، دار دحلب للنشر،الجزائر،2007.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997.
- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، د.م.ج، الجزائر،2009.
- يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780-1798)، د.م.ج، الجزائر،1993.
- بيهم محمد جميل، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، االقاهرة، 1950
- الترعزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت،1989.
- الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، ط1، دار لشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1997.

- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة،ج2،الدار التونسية للنشر،1983
- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر،2010.
- حليمي عبد القادر علي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر 1972.
- خليل احمد خليل، ط1، العرب والقيادة، دار الحداثة، بيروت 1981.
- دحماني توفيق، دراسة في عهد الأمان، الدار العثمانية،الجزائر،2009.
- درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر،2007.
- دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان1830-1855، م.و.ك،الجزائر،1989.
- دولوز جيل، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو،ط1،ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت،1987.
- الديب حاتم بن حسن، ماذا تعرف عن هذه المصطلحات،ط1، مؤسسة الصحابة للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية،2011.
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972.
- زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، موفم للنشر،الجزائر2010.
- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت الجزائر،1980.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، م.و.ن.ت، الجزائر، 1980.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر،ج2، دار الرائد، الجزائر، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ط1،ج4، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1996
- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، عالم المعرفة، الجزائر،2009.

- سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي في الفترة العثمانية،1800-1830، ش.و.ن.ت الجزائر، 1979.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية،م.و.ك،الجزائر1986.
- سعيدوني ناصرالدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، ج1، م.و.ك. الجزائر،1984.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة،ج2، م.و.ك،الجزائر،1988.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000.
- الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ط2، ج1، مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة،1984.
- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541، ترجمة جمال حمادنة،د.م.ج،الجزائر،2007.
- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830،ط1، دار الكتاب العربي ،الجزائر،2011.
- شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي،ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.
- الضيقة حسن، الدولة العثمانية ،الثقافة المجتمع والسلطة، ط1، دار المنتخب العربي ، بيروت، 1997.
- طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قبام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، ط2، دار النفائس، بيروت لبنان،2008.
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-830 ، ط3، دارهومة، الجزائر ،2011.

- الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، م.و.ك، الجزائر،1984
- العربي إسماعيل، العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1816، ش.و.ن، الجزائر، 1978.
- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر،2006.
- علي خنوف، السلطة في الأرياف الشمالية لباليك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر،الجزائر،1999.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ،ج2، دار المعرفة، الجزائر ،2009.
- عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، مطبعة دار البعث، قسنطينة، 2000.
- عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة،الجزائر،2002.
- فارس محمد خير ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دمشق، 1969.
- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر،2005.
- فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة1826-1850، د.م.ج،الجزائر،2009.
- فكاير عبد القادر، الغــزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره1505-1792م، دار هومة،الجزائر، 2012.
- فليح حسن خلف ،النظم الاقتصادية،ط1، عالم الكتب الحديث ،عمان الأردن، 2008.
- قاسمي زيدين، قيادة سيباو1720-1857، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2009.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة،2005.
- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830 ، م.و.ك، الجزائر،1987.

- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، م.ج.ط، الجزائر،1987.
- الكعاك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دا ر الغرب الإسلامي، بيروت،2003.
- كوثراني روجي، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام،ط1، دارسات الوحدة العربية،بيروت،1981.
- كوران أرجمند، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر،ط2، ترجمة عبد الجليل التميمي، تونس،1974.
- لابيار جان وليام، السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، ط3،عويدات الطباعة والنشر، بيروت،1977.
- لاكوست إيف وأخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح إستنبولي ، منصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984.
- محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، دار البصائر،الجزائر،2011.
- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792،ط1، دار البصائر ،الجزائر،2007.
- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، م.و.ك، الجزائر1986.
- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج1،تقديم وتصحيح محمد الميلي ، م.و.ك،الجزائر.1989.
- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- الميلي محمد المبارك و شريط عبد الله، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، قسنطينة، مطبعة دار البعث، 1965.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب، الجزائر، مطبعة البعث، 1965.

- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1862، د.م.ج،الجزائر،1995.
- هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ، دار الهدى، الجزائر،2007.
- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- وشن مزيان، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007.
- ولد داداه محمد، مفهوم الملك في المغرب،ط1، دار الكتاب اللبناني، 1977.
- وولف جون، الجزائر وأروبا1500-1830، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة،الجزائر،2009.
- يحي جلال، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت 1981.
- يوسف عواطف محمد، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

رابعا- المراجع باللغة الأجنبية:

-BARGES(Abbé), Complément de l'histoire des Beni Zeiyan , rois de Tlemcen.éd, Lib, Ernest Leroux,Paris,1887.

- BELHAMISSI (Moulay), marine et marins d'Alger 1518-1830, 3T, T1 bib nationale d'Alger 1996.

- BELHAMISSI (Moulay), Mazouna, une petite ville, une longue histoire, Alger, SNED, 1981.

- BEL (Alfred) et RICARD (Prosper), Le Travail de la laine à Tlemcen, Alger, Jourdan, 1913.

-BERBRUGGER(Adrien), Les époques militaires de la Grande Kabylie, éd, Bastide lib, Paris, 1857.

- BOYER (Pierre), l'évolution de l'Algérie médiane- ancienne département d'Alger de 1830 à 1956, Adrien-Maisonneuve, Paris, 1960.

- BOYER (Pierre), La vie quotidienne à Alger a la ville de l'intervention francaise, Hachette,Paris1963.

-BRAHIMI(Denise), Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux XVII et XVIIIe siècle, société nationale d'édition et de diffusion,Alger,1978.

- CARETTE et WARNIER, Description et Division de l'Algérie, Paris, Hachette, Paris, 1847.

- GAID (M), l'Algérie sous les turques, éd mimouni, Alger 1991.

- GARROT(H), Histoire générale de l'Algérie, imp, Cresenzo Vautes, Alger1910.

- GRAMMONT (H.DE), Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830),éd Leroux,Paris,1887.

- JULIEN(CH.A), Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et le début de la colonisation1827-1871, P.U.F, Paris, 1964.

- KADDACHE(Mahfoud), L'Algérie durant la période ottomane, OPU, Alger, 1992.

- LUCETTE(Valensi), Le Maghreb avant la prise d'Alger1790-1830, Flamanion, Paris, 2002.

- MERCIER (Ernest), Histoire de l'Afrique Septentrionale(Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française(1830), T.3, Ernest Leroux,Paris,1891.

- M'HAMSADJI(Kaddour), Sultan Djezair suivi de chansons des Janissaires Turcs d'Alger, fin du XVIIIe siècle, par Jean Deny, O.P.U, Alger, 2005

- NETTEMENT(Alfred), Histoire de la conquête d'Alger écrite sur les documents inédits et authentiques, Paris, Jacques le coffre, 1856.

- RAYMOND (André), Grandes villes arabes a l'époque Ottomane, Paris, Sandbad, 1985

- SHUVAL(Tal).La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle. Population et cadre urbain, CNRS EDITION, Paris, 1998.

- VAYSSETTES (Eugène), Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517-1837, Présentation O.S Tengous.éd.Bouchene, Paris2002

- WEISSMAN(Nahoum), les Janissaire, étude sur l'organisation militaire des Ottomans, th.de Doctorat, F. des lettres de Paris, 1938, librairie orient Edition, Paris, 1964.

خـــامسا– الدوريات

1– باللغة العربية:

– بالحميسي مولاي، سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أعمال الملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب ،ج1 د.م.ج،الجزائر،1983.

- برشان محمد، دور الزاوية الزيانية في بلاد السيبة، مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخـــي (تراجم ومصادر) جامعة وهران–الجزائر، العدد20،جانفي–جوان 2013

- بونوسلفاتوري: العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي، ترجمة أبي القاسم بن التومي، مجلة الأصالة، العدد 7، السنة 1972.

– التميمي عبد الجليل، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، م.ت.م، العدد 8 ، زغوان، تونس، السنة 1976.

– التميمي عبد الجليل، نشاط حمدان خوجة في باريس واستانبول من أجل القضية الجزائرية، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد 7–8،1977.

- التميمي عبد الجليل، " الدولة العثمانية وقضية المورسكيين"، م.ت.م، العدد 23–24،تونس،نوفمبر 1981م.

– حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة ،عدد خاص، جويلية– أوت، 1975.

- زيادة خالد، السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، عدد 39-40، تونس، 1985.

- السامرائي أحمد محمود و محمد حمزة حسين الدليمي : الانكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826م، مجلة التربية والعلم، المجلد 17، العدد2، السنة 2010، جامعة الموصل، العراق 2010.

- سعد الله أبو القاسم، من أخبار شعبان باشا داي الجزائر1695، مجلة التاريخ، العدد18، الجزائر 1985،.

- سي يوسف محمد، المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، م.ت.د.م، العدد 25، زغوان تونسن2002.

- عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118،كانون الثاني-حزيران،2012.

- لبصير سعاد، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516-1830، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، مطبعة ألكسندر، قسنطينة، 2009 .

- محمد السيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر)أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الرابع، العدد السابع، جدة، 2013.

- المدني أحمد توفيق، أبطال المقاومة الجزائرية حمدان خوجة، أحمد باي، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية،عدد4، سنة 1977.

- مسدورفارس و كمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ والحاضر والمستقبل، مجلة أوقاف، مجلة علمية نصف سنوية تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف، دولة الكويت، العدد15.

- مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر،السنة1، العدد3، 1971، بدون رقم الصفحة.

- معاشي جميلة، الانكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، مطبعة ألكسندر، قسنطينة،2009.

- ياسين حكمت، الغزو الإسباني للجزائر في القرن 16م، مجلة الأصالة، الجزائر1973، العـــــدد 14-15.

2- باللغة الأجنبية:

- BERBRUGGER(Adrien), Notes relatives à la révolte de Ben Sakhri, in R.AN°10,1866.
- BERBRUGGER(Adrien), des frontières de l'Algérie, in R.A N°4,1860.
- BERBRUGGER (Adrien), Un Cherif Kabile en 1804, in R.A N°3, Alger, 1858
- BOYER (P), le problème Kouloughli dans la régence d'Alger" in R.O.M.M, n° spécial (N°8) 1970.
- Boyer (P), Des Pachas Triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey1571-1817 », in RH N° 244 ,1970.
- Boyer (P), Contribution a l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger XVI-XIX Siècle" in R.O.M.M, N°1,1966.
- BRAUDEL,Fernand,Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492à 1577,in RA N°69,1928
- COLOMBE(Marcel), Contribution à l'étude du recrutement de l'oudjaq d'Alger dans les derniers années de l'histoire la régence d'Alger, in RA N°87,1943.
- DENY(Jean), les Registre de Solde des Janissaires d'Alger, in R.A N° 61,1920
- DEVOULX (A), Ahad aman ou règlement politique et militaire, in RA, N°4, Alger 1850-1860.
- DEVOULX(A), La marine de la Régence d'Alger, in RA N°13,1869
- DEVOULX(A), Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville, in RA, N°20,1876
- EMERIT (M), le voyage de la condamine à Alger 1731, in RA N°98, 1954.
- EMERIT(M), les Tribus Privilégiées en Alger dans la première moitié du 19 siècle, in annales économiques sociétés civilisation, 21 année, Janvier-Février1966.
- EMERIT (M), La situation économique de la régence d'Alger en 1830, in information historique, N° Mars-Avril, 1952.
- EMERIT (M), Les mémoires d'Ahmed Bey, dernier Bey de Constantine, in R.A, N°93,1949.
- FEDERMANN(H) et AUCAPITAINE (L. Baron), Notes sur L'histoire et L'administration du Beylik de Titri, in RA N°11,1867.
- FERAUD (L. Charles), les chérif Kabyles de 1804-1809 dans la province de Constantine, in R.A, N°13,1869
- FERAUD (L. Charles), Notes sur Tébessa, in RAN°18,1874 Alger
- FERAUD (L. Charles), Les Chérifs Kabyles de 1804 et 1809 dans la province de Constantine" in R.A, N°13, Alger, 1869.

- FERAUD (L. Charles), Zabouchi et Osman Bey, in R.A N°6, Alger, 1862.

- FERAUD (L. Charles), notes historiques sur la province de Constantine, les Beni djallabs, sultans de touggourt in R.A N°24 Alger1880

- FERAUD (L. Charles), L'exploitation des forêts ou la Karasta, dans la kabyle orientale sous la domination Turque" in R.A, N°12, 1868.

-GRAMMONT (H.DE), relation entre la France et la régence d'Alger au 18ème siècle, in RA, N°23, 1879.

- GRAMMONT (H.DE), Correspondance des Consuls d'Alger" in R.A, N°31, Alger, 1887.

- GUIN, Notes sur le Bey Mohammed, dit EL-Bey Debbah, in R.A, N°7, Alger, 1863.

- HAEDO (FD), Topographie et histoire générale d'Alger", traduit de l'espagnol par Berbrugger (A) et Monnereau, in RA, N° 14-15, Alger ,1870-1871.

- HEES (Thomas), Journal d'un voyage à Alger1675-1676", trad. par G.H. Bousquet et G.W. Bousquet- Mirandolle, in R.A, N°101, Alger, 1957.

- LESPINASSE(E), Note sur Hachem de Mascara in R.A, N°21, Alger, 1877.

- OGUZ (Ocal), mariage entre les turcs et les femmes d'Afrique du Nord et problème de « Kuloglu » à l'époque Ottomane" in A.H.R.O.S, N°25 Zaghouan, Aout 2002.

- PIESSE, L'Odyssée ou diversité d'aventures, par le sieur du Chastelet des Boys, in R.A N°12,1868.

- RINN(L), Le royaume d'Alger sous les derniers deys, in R.A N°41,1897.

- RINN(L), Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey.in R.A N°43,1899.

- TEMIMI(A), le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey, Presses de la Société Tunisienne des Arts Graphiques, Pub de la Revue d'Histoire Maghrebine, Vol.1, Tunis1978

- SANDOVAL(C.X.de-),Les inscriptions d'Oran et de Mar-Elkebir.in R.A,N°15,1871.

-VAYSSETTES(Eugène), Histoire des derniers Beys de Constantine" in R.AN° 3,1858.

- VENTURE (De Paradis), Alger au XVIII siècle, in R.A,N°41,Alger,1897.

- WATBLED (Emest-), Etablissement de la domination turque en Algérie" in R.A N°17Alger 1873.

- WATBLED,(E), "Pachas Pachas Day", in R.A,N°17,Alger,1873..

-YVER(Georges), Les Mémoires de Si Hamdan Khodja,in R.A, N°57,1913.

-YVER(Georges), Mémoire de Bouderbah, in R.A, N°57,1913.-

سادسا- الرسائل الجامعية:

- أمزيان حسين، الإغريق واليهود والألمان في فلسفة نيتشه، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعصر، جامعة قسنطينة،2007.

- حماش خليفة ابراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي 1798-1830،رسالةمقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية،1988.

- حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة،2006 .

- خلاصي علي، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداي ،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر.

- سلطانة عابد، الرسائل العربية بأرشيف وزارة الحربية الفرنسية دراسة لعينة من رسائل المخزن ، الكراغلة وزعماء القبائل بإقليم وهران 1830-1843م، رسالة ماجستير، جمعة وهران،2003.

- سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر 1832-1847،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران،2001.

- فلة القشاعي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني1792-1837، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر، 1983م.

- فلة القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي1518-1871،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2003- 2004.

- كشرود حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659إلى 1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2008.

- معاشي جميلة: الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008.

- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،93-1994.

سابعا- موسوعات ومعاجم:

- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، ج2، المطبعة الحديثة المصرية، القاهرة،1983.

- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1996.

- ذبيان سامي وأخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والإجتماعية،ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان ،1990.

- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد،الرياض،2000

- عبد الغني مصطفى، معجم مصطلحات التاريخ العربي الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2005.

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط2،مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان،1980.

- الموسوعة العسكرية، مجموعة من المؤلفين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

الفـهارس العامة

أولا- فهرس الأعلام

ثانيا- فهرس الأماكن والبلدان

ثالثا- فهرس الرتب، الوظائف، الهيئات والجماعات

رابعا- الفهرس التفصيلي للموضوعات

ملاحظـــــة: من الجدير التنبيه إلى أنني أسقطت الأسماء التي تتكرر في أغلب الصفحات والتي يمكن العثور عليها باستمرار، خاصة مثل الكراغلة، الأيالة، الجزائر العثمانية، السلطة العثمانية، العثمانيين .

أولا- فهــرس الأعلام:

ـــ أ ـــ

الأمير عبد القادر9،12،14، ،45،91، 173، 190، 193، 194، 230، 231، 232،233،234

ابن الأحرش 29،153

ابن باديس 106

أحمد بن سحنون الراشدي 11،23، 110، 219،220،221،222

أحمد بن هطال 192،11،217،220،223

أحمد الشريف الزهار 11،31،154،189،190، 224

أحمد توفيق المدني12،136،192، 216

ابن خلدون 144، 169

ابن الشريف 31

ابراهيم باشا150

أبو القاسم سعد الله 2، 6، 12، 33، 49، 54، 101، 146،147،168، 201، 202 203

أبوراس الناصر 11، 19، 29،96

اكسمونث 11

ألبير دوفولكس 11،15،26،28،38،45،63

ابن المفتي 10،94،95

ابراهيم باشا 22،24،25،33،63،103،104،110،127،133

ابن القاضي 114

ابن قنفد 92

ابن منظور 143

ابن مريم 93

ابن مرزوق 92

اميريت مارسيل 84

أوزن حسن 27

ايف لاكوست 153

ــ ب ــ

بالحميسي مولاي 14،21،46،

باراداي 11،13،21،33،35،43،45،61،109،160

بارجي آبي 134،133

بربروجر 14،31، 135

باننتي 25

بايسونال 64،65

بوتان 13،36،49،74،112،106

بياربوير
13،64،65،80،83،90،111،115،121،122،123،126،128،130،133،151،
157،162،168،189

ــ ت ــ

تانفيل 112

تيدينا 45،180

ــ ج ــ

جون ديني 14،35

جون وولف 13،30،34،35،36،51،73،94،130،172، 174،178،،204

جوليان 23،39،115،118،128،137،148،176

ــ ح ــ

حسن أغا 149،172

حسن بن خير الدين 6،75،95، 101،102 ،114،116،145،159،
149،157،162،171،172،173،174،175،176،177،178،179،189

حسين داي 161،164،167،168

الحسن الوزان 30

حسين زرق عينو 68

حسن بوحنك 69

حمدان خوجة
125،121،119،96،89،84،80،75،67،65،59،56،50،46،31،15،11،10،9،8
206،205،204،203،202،201،200،199،196،188،161،158،156،138،

ـ خ ـ

خضر باشا 156،105،119،118

خير الدين 78،76،71،63،52،41،33،32،29،28،23،22،20،10

ـ د ـ

دان 117،105،30،13،12،

دارفيو 128،111،36،

درنالي 135

درغوث رايس 47

دوغرامون 21،13،

الداي محمد بن بكير 110،63

الداي الحاج شعبان 132،131،130،111،63،

الدوق دي روفيقو 221

دي بورمون 202

ـ ذ ـ

ذباح 162،93

ـ ر ـ

رجم البجاوي 134،133،105،

روزي 89،88،85،12،

ـ س ـ

سالم التومي 28

سليم الأول 63،33،32،22

سلفاتور بونو 26

سيار الجميل 2،18،24،74

سيمون بفايفر 12،75،84،85،86،89،97،166،167،168،

ــ ش ــ

شعبان أغا 111،128

ــ ص ــ

صالح باي 188،189

ــ ط ــ

طال شوفال 4،11،13،14،66،72،73،75،89،153

طوماس شاو 11،21،148

ــ ع ــ

عبد الرحمان الجيلالي
12،23،24،26،28،30،38،41،52،62،68،103،120،131،133،136،137،139،
172،173،175،179،184،185

عبد الجليل التميمي 22،41،88،117،200

عثمان بن محمد الكبير 90

علي الغسال 136

العنتري
10،24،45،46،52،120،126،131،135،149،162،163،173،178،189،190

العياشي148،149

ــ ف ــ

فاليه 51

فاغنر88،89

الفيروز آبادي 143

فيدرمان 40

فيرو 14،21،23،25،135

فندلين شلوصر 193،12

فالييز82

فون هاينرش مالتسان 79

ـــ ق ـــ

القائد سليمان191

قارة ابراهيم 111

قايد مولود102،114،119،131،132،137،139

قراماي 52،63، 108

ـــ ك ـــ

كاروت 108، 146

كاريت 70

كاثكارت 12،105،111،112،120

كارل برولكمان 18

ـــ ل ـــ

لوجي دو طاسي 11، 55،64،73، 104،161،

لويس رين 13،14،31،57،87

ـــ م ـــ

مارسيل كولمب 14،35.

الماوردي 144،145.

محمد بن عبد القادر43،197.

محمد بن يوسف الزياني 10،27،28،29،32،113،135،162،172،183،184.

محمد باي منماني 189

محمد التيجاني 35

محمد بن عثمان 32،134،163،183

محمد كرد أوغلي 104

محمد فريد بك 63

مراد الأول 62،100،103،115

مراد الثالث 109،116

مسلم بن عبد القادر 10،19،70،87،165،172،181،182

مصطفى العمر162

المشرفي عبد القادر185

المهدي البوعبدلي 21،27،57،76،87،120،125،135،159،164،164،172

مورقان 52.

ـ ن ـ

نتشه 142.

ـ هـ ـ

هولن 112.

ـ و ـ

وايزمن ناحوم 13،14،99،105.

وليام سبنسر 14،19،37،50،70،81،83.

وليام شالر 12،40،42،48،49،51،81،85،104،106،109،130،136،148.

ثانيا- فهرس الأماكن والبلدان

ـ أ ـ

أراضي العرش 42، 43

أزمير 167

إسبانيا 18،19،37،54،135

إسطمبول 14،24،25،26،37،38،100،154

آث عباس 176

الأناضول 33،35،39،54، 85،91

الأندلس 18،23،41،49،54،55،94

إفريقيا 19،20،23،37،38،47،70،79،117

الأوراس146

ـ ب ـ

بجاية 19،20،29،53،55،92،114،121

البحر الأبيض المتوسط 18،21،30،

برج سباو29

برج حمزة 29

برج زمورة 123

برج مولاي الحسن 120،175

البرتغال 37

بلاد السيبة 150،152

بني منصور 29

بني عباس 29،57

بيزنطة 18

ـ ت ـ

تركيا 45،74،79،183،198

تلمسان 30،50،53،55،77،78،80،81،87،88،90،129،133،134،163،165،187

تقرت 55

تونس 21،23،25،30،40،45،88،158،

التيطري28،29،30،69،78،82،182،175

ـ ج ـ

جبال البابور146
الجزائر29،30،31،32،33،32،78،80،81،82،135،136،137،138،146،147،148
،149،150،180،183،185

جيجل 19،20،28،53،79،117،135،152

ـ ح ـ

الحرمين الشريفين 43،44،186

حصن الإمبراطور 120

حصن القصبة 137

حمزة 29،189

ـ د ـ

دار السلطان 78،87،128،130،137،161،163،182

ـ ر ـ

روما 18

الروملي 54،62

ـ س ـ

الساورة 149

ـ ش ـ

شرشال 29،50،53

شمال إفريقيا 19،20،37،38،70،117،

ـ ص ـ

صخرة البنيون 19،28،

ـ ط ـ

الأطلس التلي 28

طرابلس 23،47،72،132،138

ـ ع ـ

عين ماضي 27،55،181

ـ غ ـ

غرناطة 18،30،171

ـ ف ـ

الفحص 87

ـ ق ـ

قسنطينة 28،29،30،31،34،46،53،55،69،76،79،88،163،178،188،189،202

القسطنطينية18،21

القصبة 46،77،109،123،137،138،164

قصر الجنينة 137،139

ـ ك ـ

كوكو 68،102،114،122

ـ م ـ

مازونة 28،53،55،162،172،175،185

مجانة 56،57

المتيجة 28،29،46،89،205

مدينة الجزائر 19،20،29،49،66،78،81،89،158،167،168،184،187،199،206

مستغانم 50،52،52،55،77،81،169،176،185،187

مستودع البارود 124

معسكر19،30،53،76،77،78،169،172،180،181،183،185،187

ـ و ـ

وادي الزيتون 78،79،81،86،90،122،123،125

واد ملوية31

وادي الصمار29

واد يسر 75،122

الونشريس 146

وهران 19،27،29،47،88،96،130،136،163،169،178،182،183،185،186

ـ ي ـ

يسر 29،44،75،122

ثالثا- فهرس الرتب، الوظائف، الهيئات والجماعات

ـ أ ـ

أجشي باشا 65

الأعلاج 36،37،54،61،64،73،105،105،108،115،177

أسكي يولداش 39

أغا السبايهية 164

أغا النوبة 40

الأغوات 24،25،42،103،104،111،128،123،205

الأعراش 49

الانكشارية
2،4،7،16،21،31،34،35،36،41،62،63،65،68،155،156،167،168،174،206

أمريكا اللاتينية 72

الأندلسيين 52،85،91،94

الأهالي
32،37،42،50،56،67،73،83،84،85،101،102،110،114،135،155،169،172،
174،178،203،204

أولاد الفكون 92

الأوجاق 24،25،34،35،50،54،67،70،103،127،156،160

أوضاباشي 139

ـ ب ـ

الباشوات 6،23،24،61،75،102،103،105،117،126،127،129،139،146

الباشا
26،27،29،32،39،63،64،92،102،103،104،108،119،146،162،168،178،
182،192،201

الباي
22،29،31،32،42،45،90،96،102،106،113،115،134،147،152،173،206

البيلرباي 22،23،39،62،108،113،115،116،117،171،173،174،175

البرانية 55،91

البربر 49،53،56،77،80

البشناق 217

بني ميزاب 44،120

البولكباشي 21،27،32،37،39

بيت المالجي 32،65

– ح –

الحضر
46،47،50،53،54،59،77،79،80،83،84،136،163،165،168،169،195،196،
199،201

الحفصيون 19

– خ –

الخزناجي 26،32،45،101،193

الخواجات 32،65

الخلافة 18،58،92،143،144،145

خليفة الكرسي 32

خوجة الخيل 26،32

– د –

الديايات 25،26،27،48،63،64،65،103،104،110،111،129،130،132،197،205

الدوايرر 31،99

الديوان
22،23،24،25،26،45،48،89،94،103،105،117،123،130،132،147،160،161

الدفتردار 26،62

الدفشرمة 34،70

الدنوش 31،42،162،188،189،206

– ر –

رياس البحر 2،14،21،22،23،24،25،37،61،87،102،103،108،111،156،173،175

– ز –

الزمالة 31،99

الزواتنة 75،78،80،81،86،90،168

زواوة
86،87،101،102،108،112،114،115،121،122،124،128،139،156،164،172
،175،213،215

الزيانيون 19،175

– س –

السعديين 176

السلطان20، 23 ،24 ، 26،
27،28،29،32،46،62،68،70،73،87،102،103،109،114،116،129،130،137،
139،145،146،161،169،176،177،178،179،182،213

السلطنة 18،20،23،24،62،70،74،105،113،117،146،147

سنجق 19

السودانيون 54

– ص –

الصبايحية 26،109

– ط –

الطوبجية 99

– ع –

العبيد 31،74،75،90،99،113،114،154،182

عهد الأمان 19،63،64،110،111،126،127،134

العواسي 188

ـ ف ـ

الفرنسيون
30،41،53،57،66،70،72،74،81،82،88،96،104،112،126،163،167،168،
169،191،192،194،195،196،200،202،220،222

ـ ق ـ

القائد 49،58،77،133،135،192،196

قبائل المخزن 31،35،49،56،57،75،99،150،152،194،195

قبائل الرعية 42،57

القرصنة 35،37،47،52

القضاء 54،58

ـ ك ـ

كتاب الدولة 32

الكاثوليك 18

الكاخية 216

الكاهية 26،39

كريول 72

ـ م ـ

المحلة 40

المرابطين 59،61،151،152،153،184

المسلمين 18،19،20،33،63،145،154،202

المسيحيين 18،19،20،34،36،43،66،73،94،105،130

المفتي 59،95

المكحلية 99

المورسكيين 18،41

ميليشيا 111

ـ ن ـ

النوبة 40

النصارى 20،21،27،33،43،44،55،59

ـ هـ ـ

الهنود الحمر 72

ـ و ـ

وكيل الحرج 32،101

وكيل الأوقاف 43،160

ـ ي ـ

يايا باشي 216

يني يولداش 39

يولداش 34،39،61،63،65،69،71،72،100،154،191

الفهرس التفصيلي للموضوعات

المقدمـــــــة:.....ص1

المدخـــــــــل

الأوضاع العامة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م

أولا- التطور التاريخي لنظام الحكم ص18

1- التطـــور السياسي لنظام الحكم العثماني في الجزائر.....ص18
2- المنظومة الإدارية العثمانية في الجزائر.....ص28

ثانيا- الأوضاع العسكرية.....ص32

1- البحرية الجزائرية.....ص37
2- ألقاب الجند ورتبهم.....ص39
3- مهام الجيش.....ص40

ثالثـــا- السياسة الاقتصادية والمالية ص41

رابعا- الأوضاع الاجتماعية.....ص48

1- البنية الاجتماعية والديمغرافية.....ص59
2- التنظيم الاجتماعي.....ص53

2-1 سكان المدن.....ص54

2-2 سكان الريف.....ص56

3- القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني.....ص58

الفـــصل الأول

التشكيل التاريخي لفئة الكراغلة المولدون في الجزائر العثمانية

أولا- خلفيات وأبعاد علاقات المصاهرة.....ص61

ثانيا- فئة الكراغلة، المصطلح والمفهوم.....ص70

ثالثا- التوزيع الجغرافي للكراغلة وعددهم في إيالة الجزائر.....ص76

رابعا- مكانة ودور الكراغلة في التركيب الاجتماعي لإيالة الجزائر.....ص82

خامسا- مكانة ودور الكراغلة في الحياة الاقتصادية لإيالة الجزائر.....ص88

سادسا- مساهمات الكراغلة في الحياة الثقافية والدينية لإيالة الجزائر.....ص91

أ- الإطار الثقافي الذي نشأ وعاش فيه الكراغلة.....ص91

ب- نماذج من إسهامات الكراغلة.....ص93

الفـــصل الثـــــاني

الوضع السياسي والعسكري للكراغلة في الجزائر العثمانية

أولا- طبيعة الجيش العثماني ودوره في إيالة الجزائر.....ص99

ثانيا- وضع الكراغلة ودورهم في الجيش العثماني بالجزائر.....ص107

ثالثا- وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة البايلربايات.....ص113

رابعا- وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الباشوات.....ص117

- أحداث سنة 1633.....ص123

خامسا- وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الأغوات.....ص127

سادسا- وضع الكراغلة السياسي والعسكري خلال مرحلة الدايات.....ص129

الفـــصل الثـــالث

طبيعة السلطة العثمانية في الجزائر

أولا– السلطة، المصطلح والمفهوم.....ص142

ثانيا– التركيب التاريخي للسلطة العثمانية في الجزائر.....ص146

ثالثا– الكراغلة والعثمانيين في الجزائر، إشكالية العلاقة.....ص153

رابعا– مشاركات الكراغلة في دوائر السلطة ص158

خامسا– مصير ووضع الكراغلة في الجزائر مع نهاية الوجود العثماني.....ص164

الـــفصل الـــــرابع

نماذج لشخصيات كرغلية في مجتمع الجزائر العثمانية

أولا– شخصية حسن باشا بن خير الدين.....ص171

1– التعريف بشخصية حسن باشا.....**ص171**
2– حسن باشا الحاكم.....**ص172**

2 –1 ولاية حسن باشا الأولى 1544–1552م.....**ص175**

2 –2 ولاية حسن باشا الثانية 1557– 1562م.....**ص175**

2–3 ولاية حسن باشا الثالثة 1562–1567م.....**ص178**

ثانيا– شخصية الباي محمد الكبير..... .....ص180

1– التعريف بشخصية الباي محمد الكبير.....**ص180**

2–سياسة الباي محمد الكبير في الحكم **ص181**

3– أهم أعمال وإنجازات الباي محمد الكبير.....**ص182**

3–1 فتح وهران.....**ص183**

3–2 المجال الإجتماعي.....**ص186**

3–3 المجال الثقافي والديني.....**ص186**

3–4 إنجازاته في مجال العمران.....**ص187**

ثالثا– شخصية الحاج أحمد باي.....ص188

1– التعريف بشخصية الحاج أحمد باي.....**ص188**

2- ملامح من سياسة الحاج أحمد باي.....**ص189**
3- علاقة الحاج أحمد باي بالانكشارية.....**ص191**
4- علاقة الحاج أحمد باي بالأمير عبد القادر.....**ص194**
رابعا- شخصية حمدان بن عثمان خوجة.....**ص199**
1- التعريف بشخصية حمدان خوجة.....**ص199**
2- أعماله.....**ص200**
2-1 في المجال العلمي.....**ص200**
2-2 نشاطه السياسي.....**ص201**
3- رأي حمدان خوجة في السياسة العثمانية بالجزائر.....**ص203**

الخـــــاتمة.....**ص207**
الملاحـــــق.....**ص211**
البيبليوغـــرافيا.....**ص227**
الفهارس العامة.....**ص245**
أولا- فهرس الأعلام.....**ص246**
ثانيا- فهرس الأماكن والبلدان.....**ص252**
ثالثا- فهرس الرتب، الوظائف، الهيئات والجماعات.....**ص 256**
رابعا- الفهرس التفصيلي للموضوعات.....**ص 261**

الملخص

تعد إشكالية السلطة وعلاقتها بالمجتمع من أعقد وأوسع الإشكاليات التي يطرحها واقع البحث في التاريخ السياسي للدول والمجتمعات، خاصة إذا تعلق الأمر بمحاولة التركيب التاريخي لهذه العلاقة لرصد صيرورتها وتجلياتها، كونها تشكل مدخلا لفهم طبيعة مختلف العلائق والتفاعلات بين السلطة والمجتمع بمختلف أطيافه. وفي هذا السياق فإن سؤال العلاقة بين فئة الكراغلة والسلطة العثمانية في الجزائر يشكل نموذجا ممتازا ليس فقط لفهم طبيعة السلطة العثمانية بل ولطبيعة الوجود العثماني في الجزائر ككل.

وفي مجال البحث التاريخي فإن موضوع الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) يكتسي أهميته كونه يسلط الضوء على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وكذا على مختلف الفئات الاجتماعية التي عاشت في الجزائر العثمانية، وبالتالي يشكل سانحة لدراسة وفهم مختلف العلاقات بين هذه الفئات، ومدى تفاعلها وتأثيرها في بعضها البعض وفقا لسنة المدافعة.

الكلمات المفتاحية:

الكراغلة؛ السلطة العثمانية؛ إيالة الجزائر؛ البايلك؛ العثمانيين؛ دار السلطان؛ البيلربايات؛ الباشوا ت؛ الأغوات؛ الدايات.

نوقشت يوم 04 جوان 2014